

الكتاب العربي السعودي



سعد البواردي

حتى لا تفقد الذاكرة

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية



الكتاب العربي السعودي
٨٤

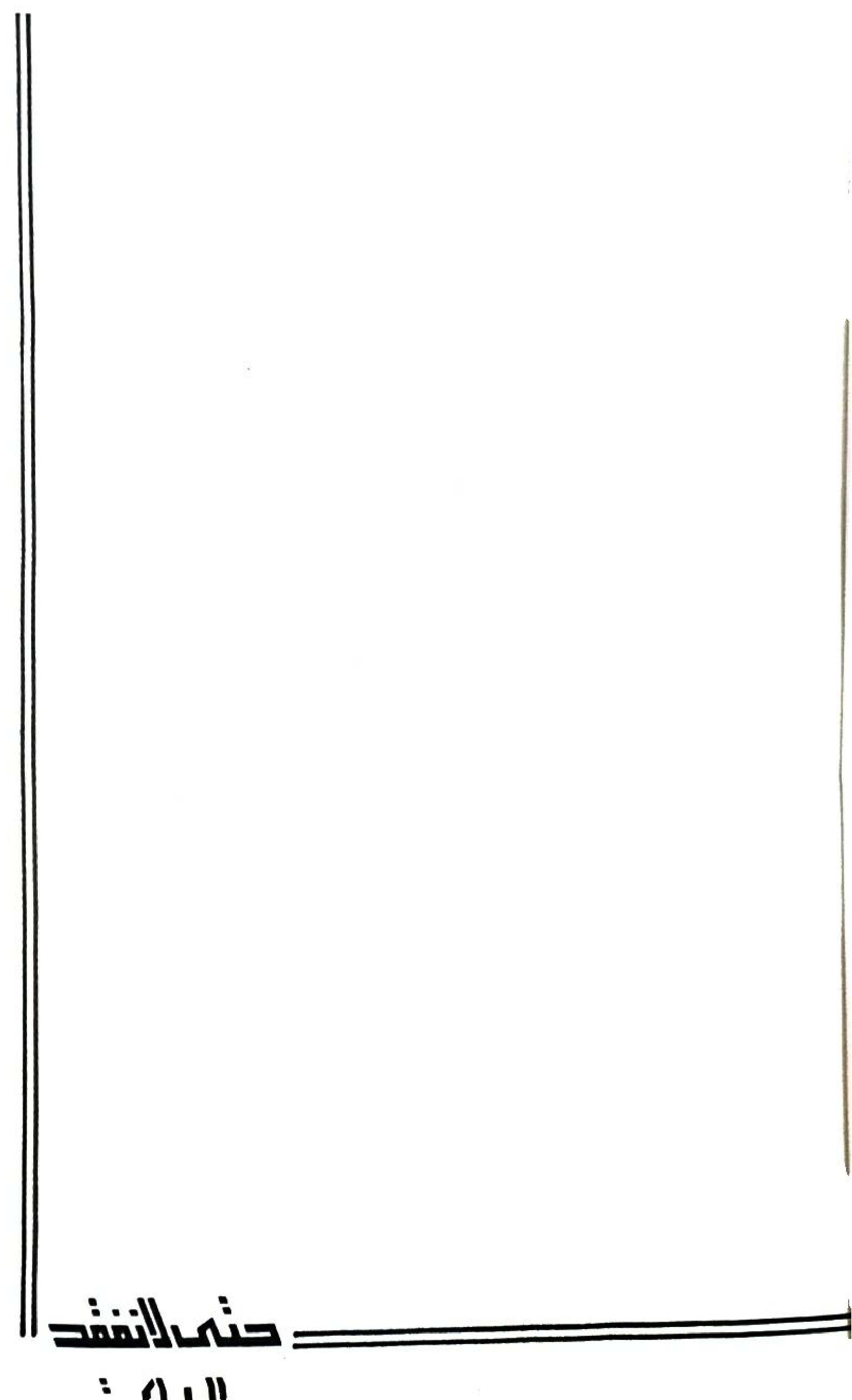
سعد البواردي



حتى لا تفقد الذاكرة

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم


حتى لا تفقد
الأمل :

الإهداء

إلى صَغيري "وليد" الذي يثرثر كثيرًا ..

ولايفهم إلا القليل ..

مشاركة له . في الثرثرة .. وقلة الفهم ..

ابتهال

« ١ »

يارب .. امنحنى اليقين لأبصر الاشياء بمنظار الايمان الذى لايعكر نقاءه ولا صفاءه شك .. وامنحنى الحب لأمتطى صهوة الرحمة ساعة غضب .. وانفعال ..

وامنحنى الصدق لأرسم بلسانى مقولة العفة فيما اتناوله من اشياء .. وامنحنى التواضع لأتعرف على واقع البسطاء الذين يفترشون الأرض دون ترفع أو كبرياء وامنحنى القدرة على العمل حتى لايتسرب الجحود الى قدراتى فتصبح معطلة مشلولة ..

يارب ..

مما اعطيتنى أعطنى القدرة على ان أكون حيث أردت ..

ومما حذرتنى أعطنى الاستطاعة فى أن أقف عند حدودْ ما أمرت ..

ومما خيرتنى امنحنى بصيرة الرؤية لكى أميز بين جدية الصواب .. وجادة الخطأ .. بين مسلك الوعى .. وطريق الدعى ..

يارب ..

ليكن عمرى شمعة تحترق من أجل اضاءة درب معتم ..

وليكن صبرى على ما أواجه مؤشر يقين بالقدرة .. لا مؤشر عجز عن ادراكها ..

وليكن عمرى حصاد خير يطعمه الغير .. لاحصاد منة اتجمد عند اطرافها .. شحا .. وتراجعا ..

يارب ..

حلمك ليكن ايقاظا لضميرى عند سقطة خطأ ..

وعلمك ليكن دفعة لخروجى من دائرة الحيرة .. والشك .. الى دائرة الضوء والابصار .. فدون علمك لا ابصار لمبصر .. ودون حلمك لامكان لخاطىء.. ودونك انت يارب .. لاأحد .. لا أحد ...

المنقد الذاتى

« ٢ »

اذا كان « الحطيئة » قد تناول قديما بشعره الهجائى مجموعة كبيرة من معاصريه حتى ان أمه لم تسلم من هجائه .. والى درجة انه هو نفسه هجا نفسه حين لم يجد من يهجوه بقصيدته التى قال فيها :

ارى لى وجها قبح الله خلقه
فقبح من وجه .. وقبح حامله

اذا كان ذلك هو الحطيئة قديما .. فما أحوجنا حديثا الى حطيئة من نوع جديد .. حطيئة يجعل من ذاته .. ومن صفاته حقل تجارب لافكاره باعتباره نموذجا وشريحة لغيره .. يجسد فى شخصه كل صفات الانسان بتناقضاتها ومضاداتها وبحسناتها .. وبسيئاتها .

ولاضير ان يشرك صغاره ايضا كنماذج تتقاسم ادوار نقده عن الآخرين باعتبارهم أيضا شركاء المستقبل بكل تبعاته .. وبكل ما سيأتى به من لقطات رائعة .. وسقطات مريعة .. هى فى مفهوها ومضمونها الحقيقة المتكررة على مدار الزمن بكل اجياله .. وفى كل نقلاته ..

ان فدائية الفكر كأروع ما تكون خصوبة وامراعا واشباعا حين تنطلق فى معالجتها للأشياء .. وفى رسمها للصور من اخيلة ذاتية خاصة تؤدى دورها نيابة عن الآخرين .. متحملة من أجلهم كل تبعات السخرية .. وكل هموم الغمز واللمز .. وكل اثقال النقد الهادئ الهادف القوى .

حين نقدر على ان نجعل من انفسنا أبطال الحركة النقدية لما يطرح .. وحين نقدر على ان نجعل من أرضيتنا الخاصة مزرعة وحقلا لبذور المعالجة الاجتماعية والانسانية .. حين تكون لنا القدرة على تلك الشجاعة .. فان ذلك سيكون ايذانا بميلاد فجر جديد .. اسمه النقد الذاتى الموضوعى .. اسمه فدائية الحب من أجل من نحب .. انطلاقا من القاعدة التى تقول : « اياك اعنى .. واسمعى يا جارة » .

عامل الجذب للأشياء

« ٣ »

لمجرد عجزك عن الوصول الى شيء ما .. أو الحصول عليه حتى ولو كان زهيدا فانك تظل مشدودا اليه بكل حواسك .. وهواجسك كما لو كان شيئا غاليا يشكل تواجده ضرورة لامندوحة .. أو غنى عنها ..

إن مجرد التمرد على الشيء يضفى بريقا من الرغبة لاينطفىء الا بانتهاء التمرد .. والاستسلام تحت قيود التملك .. ومن ثم يتحول ذلك الشيء الذى أثار وثار الى شيء مغمور مطمور فى زاوية الاهمال أو النسيان ..

إن نهمنا للحصول على الأشياء .. جل الأشياء لم يكن وليد ضرورة لها .. ولاحاجة اليها .. فنحن برغبتنا فى الاحتواء نتحرك عبر مساحة واسعة تتعدى حدود متطلباتنا .. وتتجاوز أبعاد مستلزماتنا ..

طبيعة جبل عليها الناس .... ان الأشياء تستهويهم فيطربون لها .. ويقتربون منها .. ثم يندفعون اليها فى حب السيطرة .. ثم يستطرون ويخف بعد ذلك .. او يجف بعد ذلك كل البريق الذى كان يأسر ويستهوى .. لا لشيء الا لانه أمكن الوصول اليه .. والحصول عليه .. ولكى نكتشف الحقيقة فى نفوسنا جموحا فى الرغبة .. وجنوحا عنها بعد ذلك يكفى ان نتلمس الميل الهائل فى رغباتنا لكل ما هو خارج سيطرتنا .. بل لكل ما هو محظور علينا .

اننا نطلق الأثمن لنتعلق بالأبخس ثمنا ., حتى يكون الثانى حرا طليقا متمردا على زنزانة الاحتواء الذاتى..

ولست وحدى الذى اكتشف لغز التضاد فى جموح الانسان وجنوحه فى رغبته فى الاستحواذ .. ثم التراجع ، كثيرون عبروا عنه نثرا .. وشعرا .. وحكمة .. أليس أحدهم القائل :

احب شيء الى الانسان ما منعا

ولاضير أن أضيف اليه مقطعا جديدا آخر من الشعر يكمل إطاره أو يزيد فى وضوحه .

وأرخص الشيء للانسان ما جمعا .

ماينشل .. وماينشر ..

« ٤ »

بين ما ينشر من فكر .. وما ينشل مما ينشر من فكر تبدو هوة سحيقة من الفاجعة الأدبية لايمكن ردمها .. ولا لجم حصان مخاطرها .. ما لم تمد عبرها جسور جسورة من المساءلة .. والحساب ..

وإذا كانت سرقة الدرهم والدينار تحكمها ضوابط .. وقواعدها من القصاص العادل فى سرقة الأفكار تبدو حرة طليقة لايحكمها سلطان عدل .. ولا مساءلة .. مما أعطى للصوص الفكر فرصة الانتشار فى أكثر من موضع .. على أكثر من ساحة ..

وإذا ما كان لنا أن نحمى حقوق المفكر من دخيل يتسلل عبر نافذته .. أو عبر بابه ليسرق منه عطاءاستنفذ منه الجهد الكثير .. إذا ما كان لنا أن نحمى المفكر نفسه من جرثومة المتطفلين عليه .. والواقفين أمام محرابه بثياب مستعارة .. مسروقة .. اذا ماكان لنا أن نحمى المفكر .. والفكر فان علينا أن نرسى الموازين العادلة وأن نقيم الضوابط محكمة.. وحكما .. وإنفاذا .. وإلا فان بؤرة اللصوصية الجديدة سوف تنشر حبال رواق شرها على مستوى المقالة .. وعلى مستوى القصيدة .. وعلى مستوى الكتاب .. بل وعلى مستوى الرسائل الدراسية الجامعية والعليا .

كثيرون يشكون .. وقد سرقوا ..

وكثيرون آخرون يتوقعون سرقة أفكارهم ..

وأكثر منهم يأملون أن تطرق مسامعهم كلمة « محكمة » بحاجبها بقضاتها .. بمرافعاتها .. بدفاعاتها .. بعدالة حكمها .. وبانفاذ ذلك الحكم .. لكى يستريح المفكر .. ولكى يسلم الفكر من الأيدى التى تتحرك فى الظلام .. وتنتشل ما طرحه المفكر من كلام ..

القمر .. بين نظرتين

« ٥ »

هل القمر فى الليالى « العيدية » أبهى وأنضر منه فى الليالى « العادية » ؟!

بعض مطربينا يتغنون بجمال محبوباتهم مشبهين ذلك الجمال بالقمر فى ليلة العيد .. مع أنى لا أرى فارقا بين القمر فى ليلة العيد وبينه فى أية ليلة ثانية إلا بمقدار ما يكتمل قرصه .. ويشع سناه .. وتتسع دائرته ..

ولعلمى فان القمر يبدو صغيرا .. أو قد يبدو غير مكتمل ليالى العيد حسب ما نحسب ونرصد ونعد لأيام الشهر ..

وإذا كان العيد فى قلب الشاعركما يقولون .. إذا كان مجازيا يعنى الفرحة .. واكتمال الصورة لتقبل الأشياء .. فانه يبدو أقرب الى فهم العبارة .. وأصدق فى تعبيرها .. وتصويرها ..

وكما يكون الاحساس الخفى لدى الانسان بظواهر ما حوله .. وتقبلها .. هو المنطلق الأساسى لسبرها .. وتحجيمها .. وتلوينها .. إن لم اقل وتكوينها أيضا .. فان كل ما يطرحه من صور وصفات تتلون بألوان الرؤية المنتزعة من أعماقه ..

فقد لايكون البدر بدرا رغم إشراقته .. إذا كان ضباب الرؤية النفسى يبنى جدارا مانعا من القتام والتشاؤم .. داخل محيطه النفسى ..

وقد يكون هلالا فى يومه الاول وتكاد تلمحه عيناه .. إلا أنه يتمثل بدرا ضاحكا بشوشا مكتمل الصورة إذا كانت الأحاسيس داخل اعماق الانسان مضيئة بالأمل والتفاؤل والتقبل .. وحسبى أن الكثيرين ممن يجدفون بمجداف الحب عبر قارب صغير يرون فى قاربهم يختا .. وبختا شامخا .. تتكسر تحت اقدامه كل أمواج المحيطات .. لأنه الأقدر على الثبات .. والتماسك ..

مفهوم الأمومة .. والأبوة

« ٦ »

ماذا تعنى « الأم » ؟ وماذا يعنى « الأب » ؟

أى شىء تعنيه الأمومة والأبوة بشموليتها .. وفى إطار مفهومهما الواسع ؟!

هل الأمومة انجاب فقط ..؟

وهل الأبوة اخصاب فقط ؟!

ماذا يعنيه انتماء طفل افتقد من أمه حضنها الرؤوم رحمة .. وافتقد من أبيه قلبه الرحيم التزاما ؟! ..

أهو انتماء من يملك أبوين يمكن أن تعطى لهما صفة الأمومة .. والأبوة لاصلتهما ؟! .

نحن نفهم الميلاد انتسابا .. إلا اننا نفهم أكثر الانتماء انتسابا واحتسابا ..

الأم حين تنجب هى أم .. إلا أن المهم فى أمومتها الربط لما بعد الأمومة .. استشعارا بحاجة طفلها الى كل ما تملكه الأمومة من حنو .. وحنان .. وحب .. والأب حين يخصب فهو أب .. الا أن أبوته تبدأ وتولد يوم ميلاد طفله .. التزاما بكل تبعات الحياة للمولود الوافد .. والى ان يشب عن الطوق ..

ان أمهات .. لايملكن من الامومة الالفظها المجرد .. وان أباء كثيرين لايملكون من الأبوة .. الا لفظها المجازى لانهم اكتفوا من أمومتهم وابوتهم بالانتساب وحده .. بالصفة وحدها .. بينما عطلوا الصلة فجف المداد .. اننا نجد على الطرف الثانى امهات .. وأباء لم يلدوا .. وانما احتضنوا .. وأقاموا جسور الوصل لا الأصل بينهم وبين صغار تخلت عنهم الدار .. انشغالا .. أو إهمالا .. أو عجزا عن لقيا البراعم .. وضيقا بها ..

وتبقى الأم أما .. ويبقى الأب ابا .. بالانتساب اليهما .. الا انه يظل الأفضل .. والا أنها تظل الأمثل حين يمتد بساط ما بعد المولد .. وما بعد ميلاد الطفل من مسؤوليات وتبعات تبقى هى الأهم فى رصيد الانتماء .. وفى رصد النماء أيضا .. ورب أخ لك لم تلده امك ..

بين الفهم .. والتفهيم

« ٧ »

أصعب شيء في حياة الانسان أن لايجد من يفهمه ـ بفتح الياء ـ فيفهمه ـ بضمها . .

- أن يكون مسؤولا فلايجد من يصارحه بالحقائق كما هي ..
- أن يكون عليلا فلايجد من يشتكي اليه علته وسقمه ..
- أن يكون محتاجا فلايجد من ينتشله من بين براثن الحاجة والعوز ..
- أن يكون مظلوما فلايجد من يرد له ظلامته ..
- أن يكون حائرا فلايجد من يدله على مسلك اليقين وجادة الوضوح ..

أن يكون جائرا فلايجد من يقول له : « انك ظالم » ..

- أن يكون منحرفا فلايجد من يقول له : « قف عند حدك وثب الى صوابك » ..
- أن يكون مسرفا مزهوا فلايجد من يقول له :

« انك لن تخرق الأرض .. ولن تبلغ الجبال طولا » ..

- أن يكون أنانيا .. ذاتيا .. وصوليا .. فلايجد من يقول له : « انك دون غيرك لاتساوى شيئا »
- أن يكون اتكاليا سلبى الحركة .. فلايجد من يقول له :

« تحرك يا أبا الهول هذا زمان تحرك كل مافيه حتى الحجر » ..

- أن يكون سفسطائيا لا أهداف واضحة له .. فلايجد من يقول له :

« لقد انتهى عهد الطلاسم .. والغيبيات ياهذا » ..

- الا يكون شيئا البتة .. فلايجد من يقول له :

دون هذا .. ويبتاع الحمار .. يرحمك الله .. فأنت حى كميت .. والسلام ..

يا الله ..

« ٨ »

حتى الكافر الملحد الذى يتجرأ فى وقاحة على إنكار وجود الله .. حين يكربه كرب .. وحين تضيق به دائرة التفكير .. انه يهتف من أعماقه بشكل عفوى ضاغط .. « يا الله » .

حتى الكافر الملحد حين تستنزفه ظاهرة كونية تتجاوز حدود تفكيره المحدود .. يردد مع نفسه ومع فكره الحائر المشدد .. المشدود .!!
« يا الله » ..

حتى ذلك الذى لايؤمن بوجود الله .. انه يكذب نفسه بنفسه لينسخ من حقيقته الظاهرية ضباب حقيقته الظاهرية .. فيعود الى معتقده الباطنى مؤكدا وجود خالق لهذا الكون .. مدبر لأموره .. باعث لحركته .. ناشرا لرواق قدرته ..

واذا كان جحود الانسان الظاهرى لخالقه .. يعنى جحود الانسان لخلقه .. يعنى إضفاء الارتجالية على كل شىء فى مدار حسه .. وفى قرارة نفسه .. يعنى تجريده للأشياء من مقومات صنعها وصانعها .. ومن القدرة العظيمة التى تسيرها .. وتسخرها وتعطى لها التوازن والانضباط .. اذا كان مجرد الانسان الظاهرى لذلك فان ذلك وليد عناد وتمرد شيطانى بليد فاقد للحس .. وفاقد للقدرة على ادراك البدايات .. والنهايات لكل شىء .. بل انه انسلاخ رهيب من دائرة الوعى .. والوجدان .. والكينونة .

ولايملك الانسان مهما كان عصيانه .. ومهما كان حجم شيطانه ان يتجاوز حدود حجمه الى درجة الصدام باشياء تكبره .. وتكبره . الى الحد الذى يبدو فيها نقطة حقيرة صغيرة فى فلك واسع شاسع .. يدور بالحركة .. والتجدد .. والا تحول الى فقاعة بهلوانية مهترئة الوجود فى عالم يموج بالقدرة .. ويتعمق بايمان الخلق بالخالق .

أيهما يحب أكثر ..

« ٩ »

سألت الصبية شقيقها البالغ من العمر عامين وشهورا .. سألته على محضر من والديها ..

– تحب من أكثر ؟! « بابا » أو « ماما » ؟!

وبعد لحظة صمت منه قال :

– با .؟ وصمت ..

وتطلع الى وجه أمه كمن يتعرف على وقع وتأثير رده .. ثم استدرك قائلا :

– ما .. ولم يكمل ..

ثم ادار وجهه .. وراح يتطلع الى وجه ابيه كمن يكتشف شيئا اخر .. وسرعان ما التقط أنفاسه .. وأجاب :

– احب باما ..

ليجمع الاثنين فى حب واحد لاتمييز فيه .. الا ان الصبية الشقية لم يقنعها الرد .. والحت عليه بالمفاضلة فى حب احدهما .. فما كان منه الا أن حرك ساقيه للريح كمن يهرب من مطب .. وقال بصوته الطفولى :

– احب .. صالح ..

وصالح هذا شيخ طاعن فى السن تعود مؤانسته ومجالسته بين وقت وآخر حين يفد الى داره فى عمل يؤديه ..

أيكون ذلك التهرب من الطفل عن وعى مبكر منه ..؟ أم انه مجرد حيرة الجمت لسانه .. وأسلمته للهرب ..؟!

أيا كانت النتيجة فقد استطاع برده .. ان يجمع بين الرضى لهما .. والرضى منهما .. وانفكاك من مصيدة الصبية الشقية التى حاولت ايقاعه فى الشرك .. ولكنه .. نجا .. مفضلا ان يجعل من « با » و « ما » و « باما » مترادفات لمن يحب .. وليس المهم لمن تكون البداية .. لأمه أم لأبيه .. أم للشيخ الطاعن العجوز الذى يأنس له كلما التقى به .. المهم انه يحب .

كم اليوم من التاريخ ؟

« ١٠ »

كم اليوم من التاريخ ؟!

سؤال يطرحه البعض على البعض ممن لايشعرون فى حياتهم وفى خطواتهم ان التاريخ ليس زمنا تحدده الساعات .. وانما عملا تحدده المواقف ..

كلنا يشد معصمه بساعة لضبط اوقاته .. الا ان اوقاته تتهادى منهوكة متآكلة بعامل التواكل الحسى .. والنفسى .. وتبقى الساعة بدقاتها المتلاحقة .. تبقى وحدها بشكلها المظهرى تمثل مظهر الربط المفضوح بيننا وبين حياتنا ..

ولكأن الذى يعنينا من دقات الساعة الموجعة هو متى نأكل ؟! ومتى نسترخى ؟ ومتى نشخر ؟!

ان يقظة الحس لدى الانسان هى وحدها الساعة الصادقة والأمينة التى ترصد للتاريخ نبضاته الواعية .. وما الساعة التى نقتنيها .. ونحلى بها سواعدنا الا أداة ضبط وربط لعلاقتنا بالزمن .. تنظم تفاعلنا معه .. وتعاملنا مع احداثه ..

وحين تغيب عن بالنا هذه الحقيقة كأننا نحول التاريخ الى جماد . ونحول الساعة النابضة الى حركة خرساء لاتحصى .. ولاتعد ..

الانسان هو الزمن .. وهو التاريخ .. وهو بما يعطيه ويمنحه .. ويمنعه كتلة النشاط التى تدور من أجلها عقارب الساعة وتتحرك ..

وضبطنا من خلال الساعة لمواعيد طعامنا .. ومنامنا .. لايغضبنا أن نتجاهل ولا ان نتكاسل عما يفصل بين نومنا ويقظتنا .. بين طعامنا واحلامنا ..

ان ما بينهما هو المهم .. والمهم .. وما الاغفاءة الا استراحة لتنشيط العقل .. وما الاطعام الا وجبة لتنشيط الخلايا .. من أجل أن نتحرك مع عجلة التاريخ فى رسم بيانى .. وإيمانى لايجوع فيسلم الى الهزال .. ولاينام فيسلم الى الموت ..

فى بيتنا أكثر من شغالة

« ١١ »

لاحسان عبد القدوس قصة بعنوان « فى بيتنا رجل »
ولكن للكثيرين منا .. والكثيرين جدا قصصا أخرى متماثلة وعنوانها « فى بيت كل منا أكثر من امرأة » .
وحين أضع النقط على الحروف .. لاتحدث عن هذه القصص الكثيرة المتماثلة اتحدث عنها من أكثر من زاوية جميعها تصب فى قالب واحد تعارفنا عليه بمفهوم « الشغالة » .. ولا اقول « الخادمة » .
ذلك انه لايكاد يخلو بيت من شغالتين او اكثر تكل اليهما ربة البيت كل شؤونه طبخا .. وتنظيفا .. ورعاية للأطفال .. الى درجة الاستئثار ..
واسرافنا الى هذا الحد فى الاتكال .. ينسخ بصورة او بأخرى مسؤولية الزوجة والتزامها الطبيعى نحو بيتها .. وينقلها الى هامش المسؤولية .. إن لم أقل خارج أسوارها .. وبالتالى تفتقد قدرتها على السيطرة الذاتية المنوطة بها .. بل إن هناك ما هو أخطر حين تكل الأم شؤون اطفالها الصغار ورعايتهم الى مربية او شغالة .. وتبتعد عن مسؤوليتها نحوهم لانشغالها بأمورها الذاتية ..
إنها حين تصنع ذلك تجرد أطفالها من أهم عناصر الحنو .. والرعاية .. والتوجيه . فيشب الطفل كما لو كان يتيما فاقدا لأمه بحكم عدم التصاقهما ببعض .. ان بصمات الأمومة فى وجدان طفلها لايمكن تعويضها .. ولا الاستعاضة بغيرها ايا كانت الرعاية التى ستمنح له من مربية وافدة عليه ينقصها حماس الأمومة .. وحنانها .. ودفء صدرها .. وعاطفتها ..
وحتى لاتفقد الأم موقعها كأم .. وكربة بيت .. وكزوجة مسؤولة فان عليها ان تتعامل بحضور .. وباشراف مباشر .. بل ومشاركة مباشرة حتى لو كان فى البيت اكثر من امرأة .
ذلك موقعها .. وهذا واقعها .. وماعداه ابتعاد .. ومجازفة مهما كان مريحا .. لانه غير مريح فى سوق التعامل الأسرى .. وهنا مكمن الخطورة ..

« ١٢ »

أخى « ... » يا ابن العم نحنا شرابة الدم

عندما يتناهى الى سمعك مثل هذا الهتاف الدموى يفتق حناجر الهاتفين .. إن صورة واحدة فقط تبرز على خيالك قاتمة .. قاتلة .. صورة مصاص الدماء الذى تتحدث عنه الأساطير .. وهو يعب من دم ضحاياه الواحد تلو الآخر ..

ولقد شعرت بصدمة حزينة .. وقد تناهى هذا الهتاف نفسه الى سمعى عبر المذياع من اذاعة عربية لاداعى لذكر اسمها ..

وقلت فى نفسى ..

ماذا عندما يسمع الآخرون هتاف شرابة الدم ؟!

اية صورة سوف تلتقط لمجتمع يدق الطبول فى تعطشه لشرب الدماء ..؟!

اننا نخطىء كثيرا حين ندع لحناجر جاهلة فيما تقول .. وفيما تعنى .. نخطىء حين ندع لها فرصة ابراز الخطأ .. وافراز العبارات المرفوضة ذوقا .. وسلوكا .. وعلى مسمع من العالم كله ..

اننا نحصد الكثير من الخسارة فى سمعتنا .. ومن احترام الآخرين لنا .. من جراء سقطات الجهل .. والجهلاء .. والغوغانية التى تصفق أمام كل مذياع .. لتهرف بما لاتعرف .. ونتصرف بما يسىء ويفضح .. ويوضح بساقط العبارات ..

وحتى لايأخذ عنا غيرنا اننا سلالة « دراكولا » مصاص الدماء .. ومن على شاكلته .. فان علينا ان نبعد الاصوات النشاز لا ان نعدها ونضع لها فرصة الظهور واذا كان لابد من ظهور فليكن اعدادنا لما يهتف به فى حكم المعقول .. والمقبول لا فى حكم الأكل .. والمأكول ..

لكي نحمي كفاءاتنا

« ١٣ »

لك ان تصدق اذا قيل لك :

ان الحداد او النجار يتقاضى من الأجر ضعف مايتقاضاه حامل الدكتوراة ..

وإن الحلاق أو الكوافير يتقاضى ربحا عشرة اضعاف ما يتقاضاه حامل الدكتوراة ..

وان صاحب البقالة .. أو بائع العطور .. أو تاجر الأقمشة .. أو صاحب متجر عقارى .. أو بائع ساعات ومصاغات .. أو تاجر اسمنت وحديد يتقاضى من الربح مائة .. أو مئات ما يحصل عليه حامل دكتوراة من مرتب ..

كل هذا صحيح .. وكل هذا يحمل اصحاب المستويات العالية من الكفاءة على الاتجاه الى طرق أبواب ثانية غير أبواب تخصصاتهم للحصول على الربح المضاعف دون حرج .. ولا تردد ..

وأذكر قصة ذلك المسؤول عن إدارة ما فى إحدى الوزارات والذى استدعى أحد الفراشين .. لديه ليعاقبه على غيابه أو ليعاقبه على عدم مداومته للعمل ..

أذكر قول ذلك الفراش بعد أن استمع إلى عتب رئيسه .. وتهديده إياه .. بالحسم .. وبالفصل من الخدمة إن هو استمر فى غيابه ..

لقد قال له ذلك الفراش .. وعلى شفتيه ابتسامة لاتخلو من ثقة ومكر .. متسائلا ..

– كم تقبض ياسيدى من المرتب ..؟!

وكان يعلم أن رئيسه يحصل على ما يقارب الستة آلاف ريال شهريا ..

قال له ..

– اننى مستعد ان اضاعف لك المرتب اذا ما قررت العمل معى .. اما العمل الذى كان يشير له ذلك الفراش هو ان يتقلد مسؤولية ادارة اعماله العقارية التى كثرت .. وانتشرت ..

ولن نحمى كفاءاتنا العالية .. ونحميها شر التسرب .. ونقيها أخطار التهرب .. الا حين نزيد فى تقديرنا لها مادة . ومدا .. والا فانها وفى وقت ليس بالبعيد قد تتحول الى نقط متناثرة فى طوفان الباحثين عن كسب أكبر .. وأكثر .. ولن يكون ذلك حين يحصل ذنبهم .. وإنما ذنب التيار المادى المتلاطم .. المتعاظم والمغرى من حولهم .. والذى لم ينصفهم ..

حين أتعرف على حقيقتى

« ١٤ »

أحس بتفاهتى كل ما ابصرت من هو أفقر منى .. وأقدر منى على العطاء والبذل ..

أحس بتفاهتى كل ما ابصرت من هو ارحم منى .. وأكبر ملامسة لشغاف قلوب الناس رغم قدرتى العاجزة عن الرحمة .. أحس بجهلى كل ما وقفت بليدا عاجزا عن فهم ما يدركه الآخرون .. لأنهم تعلموا فعلموا .. ولأنى توقفت فتجمدت ..

أحس بغبائى وأنا أنصت الى الصغير من أبنائى أو غير ابنائى يتحدث أكثر من لغة حية ومازال طفلا .. بينما تسمرت قدماى عند حدود متدنية من لغة واحدة ليس أكثر ..

أحس بعجزى وأنا أبصر ماحولى بصنع من الطائرة الى الابرة .. بينما لا أحسن حتى نظم السلك فى الابرة لأن فرائص يدى ترتعش خوفا من الفشل ..

أحس أننى طفولى طفيلى .. وكل قدراتى تتجه للالتهام .. وملء الكرش بينما الآخرون يزرعون الحقل بعرق جباههم .. ويكرمون العقل بسواعدهم الرجولية ..

أحس أننى لاشىء .. وكل ما حولى من صنع غيرى .. لاموضع لقدمى فيه .. ولامكان لسعيى معه .. لأننى أثرت السلب على الايجاب .. الاستهلاك على الاشتراك ..

مجرد صفر على اليسار .. هذا أنا فى عالم يزخر بالخانات والأرقام ..

تراث .. يجب أن نحميه

« ١٥ »

عندما تتآكل لدينا القدرة على الاحتفاظ بتراثنا الشعبى فان هذا يعنى اننا بدأنا ننسلخ رويدا رويدا عن شخصياتنا .. ونتعرى .. ونواجـه حاضـرنا بمفهوم مستعار لاينم عنا .. ولايدل علينا ..

وعودة الى ربع قرن من الزمان أو يزيد نجد أننا نتحرك أكثر وأكثر ضمن اطار خصائصنا الذاتية بما نمنحه .. وما تصنعه بسواعدنا كشواهد أمينة على اننا نملك قدرة العطاء .. وان كـان هذا العـطاء نفسه فى اطار محـدد يتناسب مع امكانياتنا المتاحة .. الا أنها كانت امكانيات فاعلة لايجد الخمول الكسول اليها سبيلا ..

ولنا ان نتساءل عن الكثير الكثير ممـا كنا نستعمله من أدوات لهـا كل خصائص البيئة .. ولها كل مقومات الشخصية .. ثم افتقدنـاها فى مـوجة الاستيراد .. ولم نحتفظ بها حتى كقطع اثرية تتحدث عن حقبة زمنية جادة من تاريخنا ..

ان ما يصل الينا مما صنعـه غيرنـا حتى ولو كان انضر .. وارخص .. لايعفينا من مسؤولية الحفاظ على ما كنا نعطيه ونقدمه لمجتمعنا .. والا فاننا بذلك الاستسلام المريع نحكم على قدراتنا بالموت .. وعلى طاقاتنا بالشلل .. وهذا أخطر ما يمكن أن يواجه به مجتمع نام تقع عليه مسؤولية الحفاظ على آثار بصماته فى صنع حياته .. ومستلزمات حياته ..

ولكى لانعطل عقولنا لنستعيض عنها بما تفتقت عنه عقول الآخرين فان علينا أن نواجه مشكلة العصر بتحرك عقلانى استغلالى ذاتى اكثر .. خوفا من أن يبتلعنا الطوفان .. وتتلقفنا المتاهة ..

السعادة كيف نعرفها

« ١٦ »

كيف لنا أن نعرف السعادة ؟!

كيف لنا أن نحدد أطرها فى عالم يستشعرها بطرقه المختلفة ويتقبلها بمذاقاته المعتادة ؟

فينا من يرى السعادة استشعارا بالراحة النفسية .. فهو سعيد بهدوء عالمه من حوله ..

فينا من يرى السعادة طموحات تتجدد حتى ولو كانت تلك الطموحات مرة المذاق طعما .. الا أنها حلوة المذاق طعما واستزادة ..

فينا من يرى السعادة جهدا .. واجهادا الى درجة الانهاك .. والقتل .. الا انه يستشعرها بخطواتها اللاهثة كما لو كانت رصيدا بعدد الخطى .. ورصيدا بعديد الأنفاس .. فينا من يرى السعادة على أنها حلم أفلاطونى ما ان تقترب منه حتى يبتعد .. كالسراب تماما فى عينى ظامىء متعطش الى الماء ..

فينا .. وفينا .. من يراها بصور متعددة ..

البعض يحسها فى دمعة منسابة فوق جفنيه ..

والبعض يحسها فى ابتسامة متثائبة تنم عن كسله .. وتقاعده ..

والبعض يحسها فى إسعاد من يقدر على إسعاده ..

والبعض الآخر يحسها أيضا فى إيلام من لايرضى عنه .. اشباعا للسعادة الشقية المتوهجة فى اعماقه ..

كل هؤلاء يدعون انهم سعداء .. حتى الأشقياء منهم .. حتى اولئك الذين يحفرون قبورهم بأظفارهم .. أو بأنيابهم على الأصح ..

وتبقى السعادة مشاعة فى نظر الناس اليها .. يتذوقون اطباقها وفق شهياتهم ووفق شهوانياتهم ..

الكل سعداء .. والأكثر أشقياء .. بسعادتهم الشقية .. أو بشقاوتهم السعيدة بمعنى أصح ..

« ١٧ »

الذين يحشرون انوفهم فيما لايعنيهم .. وهم كثرة كاثرة والحمد لله الذى لايحمد على مكروه سواه .. الذين يشغلون انفسهم بمشاغل الآخرين تطفلا .. وتدخلا .. يمثلون شريحة مريضة فى جسم المجتمع يلزم علاجها .. او عزلها ..

واذا كان الانسان فى احوال كثيرة يضيق بمشاكله ومشاغله .. وهمومه .. اذا كانت تثقل كاهله سقطات منه او غلطات منه يود لو ازاح حمل ذكرياتها عن كاهله حتى لايخر .. وحتى لاتسلمه الى نوبة قلبية مدمرة .. إذا كانت تلك هى حال الانسان مع نفسه حتى انه لايقدر فى مواقف كثيرة على حمل هموم اولاده .. وتحمل مشاكلهم فانه يبدو وبكل معانى الغرابة أن نجد من البشر من لاتشغلهم حياتهم بكل ما فيها من أثقال .. وأعمال .. أو إهمال .. وإنما يمدون عقيرة فضولهم وتطفلهم ليشغلوها بحياة الآخرين .. ماذا قالوا ؟! ماذا أكلوا ؟! ماذا لبسوا ؟! ماذا ربحوا ؟! وكما لو كانوا مؤشر رصد للوصاية .. واحصاء الأقوال .. والأفعال ..

قد يقول البعض :

– الفراغ هو المشكلة .. الفراغ هو السبب ..

وهذا صحيح بعض الصحة .. لاكلها .. ذلك أن من بينهم من يملك من الأشغال ما يكفى لاشغاله ومع هذا يأبى مرضه السلوكى الا ان يكون فما جائعا سليطا يقتات ويطعم سمعة الآخرين .. وخواص حياتهم ..

وليت شعرى متى تكون استجابتنا لضمائرنا .. داخل جدار حياتنا الخاصة وحدها .. مرددين مع الشاعر العربى مناشدته ونشيده :

عليك نفسك فتش عن معايبها
وخل عن عثرات الناس للناس

« الاحداث . » و .. « الأحداث »
« ١٨ »

(الاحداث) .. والاحداث ..

مواقع خطى احداثنا تتكاثر وتتعاظم على سلم درجات الانحراف .. والجريمة .. يوما بعد يوم .. دون أن نعيرها ما تستحق من دراسات .. وضوابط نضع لها الحلول .. أو نخفف على الأقل من انحرافها .. وانجرافها نحو الهاوية ..

● حوادث السرقة ..
● المشاركة فى عصابات القتل ..
● الاتجار بالمخدرات .
● الجنوح الأخلاقى ..

وحين نحاول أن نضع أصابعنا على مواطن الخطأ .. نجد أن الثغرات التى يتسلل من خلالها عامل الانحراف كثيرة لعل أخطرها .. وأهمها

● التسيب .. والتشرد ..
● عدم إحكام الرقابة فى التوجيه .. والرعاية ..
● المشاكل الزوجية المتفاقمة التى تجعل من البيت لدى الأبناء جحيما لايطاق ..
● الوسائل الاعلامية المسموعة .. والمقروءة .. والمنظورة التى لاتتحرى الدقة والحذر فيما تقدمه من برامج ومسلسلات .. بل إنها احيانا تساعد على زرع بذور الجريمة لدى الطفل بما تقدمه من مشاهد عنف تذكى لدى المشاهد الرغبة فى المحاكاة .. والتقليد .. ولعل قصة ذلك الطفل الذى لم يتجاوز من عمره العاشرة .. والذى نشرت عنه الصحافة المصرية اخيرا اكبر مصداق على ذلك ..

لقد حاول ذلك الطفل وبعد ان خلت به الدار مع شقيقته البالغة من العمر اربع سنوات حاول ان يقلد مشهدا رآه اكثر من مرة على الشاشة الصغيرة .. مشهد انسان ينتحر بحبل معلق .. وكان له ما اراد .. وكتم الحبل انفاسه فى لحظات ..

ان زخم الاحداث المؤسفة فى دنيا « الاحداث » لن يتوقف .. مادمنا نتفرج دون اكتراث دون ردم الهوة السحيقة فى فوضانا الاجتماعية .. والسلوكية .. والتربوية ..

ولابد من تحرك سريع قبل ان تتحرك عجلة القطار المجنون .. ولايتوقف ..

حين يستفزنى شيطان الغضب

« ١٩ »

تمر بى كغيرى من البشر لحظات استشيط فيها غضبا وغيظا فأفقد أعصابى وهى هزيلة ضعيفة .. فأرغى وأزبد .. وأتمنى لو كنت أملك كل اسلحة الدمار .. والفتك لاقتص .. ولامتص بنشوة القصاص مراجل غيظى الدفينة .. والثائرة ..

جنون من الحماقة يهز كيانى لحظة غضب شيطانى .. فاندفع كالمحموم .. ولكن فى عجز الذليل .. متطلعا الى حق من اكره فى الحياة على انه لايستحق الحياة ..

وحين أفيق .. وبعد صحوة من غفوة عقل اتحسس قدرتى .. واستطاعة اعصابى المهزوزة على مواجهة الأشياء ..

فلا أجد إلا الضعف .. ولا أجد إلا الخوف .. ولا أجد إلا الرعشة الذليلة أمام أى حدث صغير .. أو حادثة أصغر ..

وأتساءل . :

- أين عملقة الغيظ .. بصلفها .. ونشوتها .. للدم .. وللآلام ؟!
- اينها فى كيان هزيل تخيفه عصا .. وترهبه صفعة ؟! ..
- هل انها القوة ؟! أم انها القدرة وحدها على تسخير القوة ؟!

اجابة واحدة انتزعتها من احساسى بنفسى .. هى ان القوة فى غير مكانها تبدو ضعفا .. وان الضعف فى مكانه يبدو قوة .. وان الكثيرين من قيل عنهم جبابرة اناس مرضى بقوتهم لابقدرتهم .. وان الكثيرين ممن قيل عنهم ضعفاء عمالقة بحكمتهم فى بعث روح التسامح والعفو لا الانتقام واشاعة الفوضى .. ولكى نكون أقوياء .. فان علينا ان لا نستسلم لثورة الغضب وثورة الانفعال المجنون ..

الطبيب حين يعجز

« ٢٠ »

من المفارقات ان يكون الطبيب أعجز الناس عن معالجة ولده المريض او والده المريض .. لا لأنه غير القادر على علاج مرض كمرضه أو تشخيصه .. وإنما لأنه العاجز عن السيطرة على مشاعره تجاه فلذة كبده أو ابيه الممد امامه ولأن يديه المرتعشتين خوفا .. وقلقا على مصيره لاتقويان على تحريك المبضع فى جسده .. فى ثبات .. وتركيز ..

ان عدم قدرته على السيطرة على تلك الانفعالات تحول بينه وبين أداء واجبه .. بل انها فى بعض الأحيان وحين تقتحم ميدان التجربة تكون سببا فى فشلها .. وفى خلق مضاعفات ضارة للمريض نتيجة للاضطراب والقلق النفسى الحادين ..

ومثل الطبيب كما يقول البعض .. يأتى المربى .. انه لايملك القدرة التى يمنحها للآخرين فى توجيه سلوكهم .. ومسارهم المنهجى .. لايملكها مع اولاده لا لعجز فى تحديد أطر التربية .. ومفاهيمها .. وانما لاتكالية فى نفسيته .. أو لأسباب أخرى تحول بينه وبين أقرب الناس اليه فى ضبط سلوكهم .. وتوجيههم ..

وليس كل طبيب عاجزاً .. أو فاشلا..

وليس كل مرب أيضاعاجزاً .. أو فاشلا..

الا أن النسبة بالنسبة للاثنين هى الاكثر .. بحكم التجربة .. والواقع .. والوقائع .. ان ما يعطيه البعض للآخرين مما يقدر عليه .. قد لايستطيع منحه لأقرب المقربين اليه وهو القادر عليه ..

ويظل جدار الحب .. وحائط الخشية عنصرين ضاغطين على كتلة الارادة .. مفشلين لمساعيها .. وحادين من تصرفها .. رغم انها تريد .. الا انها المغلوبة على أمرها حين تكون المفاجأة أقوى من القدرة على الاحتمال .. والمواجهة ..

« ٣١ »

القلب .. كالزهرة يتفتح مرة واحدة .. ثم يموت ..

انه لايملك أكثر من حب صادق واحد .. لأنه لايقدر على أكثر من حب واحد .. والا تحول الى ممثل فاشل على مسرح العشق يؤدى ادواره أمام جمهوره .. فى تلوين لنزعاته .. وتباين لتصرفاته ..

واذا كان عمر الزهرة المتفتحة قصيرا .. فان عمر الحب فى القلب ايضا قصير اذا ما تعرض للصدمات فى خطواته الأولى .. وحيل بين خطاه وبين الجادة الموصلة الى دنيا الأمانى .. وسيان أكانت تلك الصدمات مفتعلة بحكم ارادة قهرية ظالمة .. أو بحكم مؤثرات لا ارادية لاسلطان عليها .. فانها تتساوى فى نتائجها .. وفى لون حصارها .. وتكون النهاية واحدة تناثر أوراق زهرة الحب فى القلب .. والجفاف فى أعوادها .. ولن يعيدها أى موسم ربيع أخر يأتى .. لأن الخريف المبكر أجهز عليها .. وأطبق على أنفاسها .. واجتث منها الجذور الموصلة بنهر الحياة ..

ومأساتنا اننا غير قادرين على فهم الحب لكى نحتفظ بالقلب بعيدا عن ويلات الصدمة وآثارها .. لذا فان رياح القسوة تحصد الآلاف .. آلاف القلوب الغضة البضة مع كل مرة تتحرك فيها على دنيا الواقع .. وكأنما كانت خيبة الأمل بمثابة خيمة المستقبل المهترئة أمام مهب العاصفة ..

قد يبدو الحب أفلاطونيا بالنسبة لكثيرين عاشوا معه أحلاما .. واصطدموا به على أرضية التعامل والواقع .. الا انه مع هذا جزء من التكوين للانسان له كل خصائص النمو .. والارتقاء .. متى وجد من يرعاه .. ويترك لخطاه سبيلها الى التحرك فى حرية الاختيار .. وفى اختيار الحرية ..

ومع هذا فلاشىء يبقى على حاله .. لأن لكل شىء نهاية وبداية .. حتى الحب فانه يرحل مع زهرة .. ليولد مع أخرى .. يولد من اجل ان يرحل .. ومن اجل ان يولد،ان الحب شموع تنطفىء .. لتولد من جديد ..

القوة .. والحق ..

« ٣٢ »

القوة تحمى الحق .. تلك هى شرعة الله ..

والقوة تحمى الباطل .. تلك هى شرعة الغاب ..

وبين تينك الشرعتين .. بين القوة التى تبنى .. والقوة التى تهدم وتفنى يقف هذا العالم المتخاصم المتلاطم يشهر سيفه .. ويلوح براياته .. بين غبار من يستشهدون على حق .. وغبار من يتهاوون على باطل ..

ويبقى الحق ضعيفا دون قوة تحميه ..

ويبقى الباطل قويا دون قوة تردعه ..

والقوة قبل ان تكون سلاحا يرعد فى ايدينا .. فهو قناعة راسخة فى اعماقنا .. وتصور ثابت تمليه مواقف جادة لاتعرف الهزيمة ولاتعترف بها ...

ان اى سلاح دون عقيدة تدفع به .. وتدافع عنه لايتعدى اكوام حديد فارغ من كل مضمون لايرشد .. ولايسترشد ..

وعبر التاريخ .. وصراعاته .. فان المنتصر دائما .. وابدا هو الانسان بخيره المبنى على صرح من الجسارة .. والجدارة .. وحين ينعدم عامل الخير فى مساره .. فان الجسارة تتحول الى تهور .. وانهيار .. ومثلها الجدارة فانها تتحول الى جدار آيل للسقوط مهما كان مرتفعا .. لانعدام الاساس الراسخ فيه ..

ولكى يظل الحق قويا .. منتصرا فى مواجهته لكل النزاعات المضادة .. فان علينا ان نتسلح وداخل نفوسنا بقوة الايمان فيما نصوره .. وفيما نقرره .. غير أبهين لمخاطر التحديات .. ولاخائفين فى مواجهتها .. والا .. فان شرعة الغاب سوف ترعى الضعيف الذى لايملك قوة الدفاع على نفسه .. عن حقه فتزهق النفس .. ويتبخر الحق .

حين تختلط الصور

« ٢٣ »

حين يربط الانجاز العلمي بالمحاور السياسية فان اراء الناس تظل متباينة بين مؤيد له .. يتمنى نجاحه ومعارض له يتمنى فشله ..

واذا ما سلمنا بأن اى انجاز علمي هو كسب لطموحات الانسان .. واضافة متقدمة لرصيده .. دون اى اعتبار عاطفي يشوب هذه النظرة .. أو يقلل من حماسها فان ما يتعامل معه الرصد الآلي للنزعة البشرية احيانا يتخذ مسارا مضادا لحكم العقل .. ويظل في تقويمه للأشياء داخل دائرة منفعلة بعاطفة الفعل .. ورد الفعل ..

اننا احيانا نتخلى عن حسنها الداعي .. بفعل مؤثرات علاقاتنا بالحدث .. وبصانع الحدث .. بحيث نصبغ الأشياء بصبغة القائمين عليها في تقبلنا اياها .. وفي رفضنا لها .. نتمنى النجاح ونشد من ازره ونباركه لأن صانع النجاح أسير علاقتنا الحميمة له .. وعلاقته الحميمة بنا ..

وفي المقابل .. لأننا نفرح بالفشل لنفس الانجاز .. حتى ولو كان الفشل على حسابنا .. وعلى حساب مكتسبات الانسان واحتياجاته حتى تكون خيوط المودة لمن فشل مقطوعة .. او معقدة ..

لطالما هتفنا من اعماقنا لاحباط او لفشل علمي ولأسباب سياسية منفعلة يتجسد في أن كل فشل للخصم هو انتصار الغيرة حتى ولو كان على حساب الرصد الحضاري للانسان .. انها اطلالة العاطفة على الاشياء .. وحكمها عليها في قصور لايملك القدرة على الفصل بين ما يعينه العلم وما يعطيه وبين ما تعنيه المؤثرات السياسية بكل متميزاتها .. وما ترسمه من حدود لايمكن تجاوزها .. ولا الخلط فيما بينها ..

« ٢٤ »

ماذا تمنى صاحبى ؟!

تمنى ان يعثر باى ثمن على طاقية الاخفاء السحرية التى لبسها اسماعيل يس « خدعة » فى فيلمه « طاقية الاخفاء » ليجوب بها هذا العالم الواسع الفسيح .. لا ليتفسح .. ولكن ليغتال كل الحشرات الصامتة .. والناطقة التى تلحق الاذى بحياة الناس . حياتهم المعيشية .. وحياتهم المعاشة .. انفاسهم .. واحساسهم .. تمنى لو انه اشتراها .. ليشترى بها كرامة البشر الذين تنهش اجسادهم انياب الاشرار .. وسماسرة الاذى .. وجبابرة الحروب ..

تمناها سلاحا سحريا خفيا فوق رأسه ليتحرك .. وليثأر لقدسية الانسان المرغة فى الوحل .. والمغموسة بالدم على مذبح الاطماع ..

تمناها ليذيق الظالمين طعم ظلمهم .. والمنحرفين عن جادة الحق مرارة انحرافهم .. والمستهترين بحقوق المسحوقين من البشر جزاء صنيعهم ..

تمناها جناحا له .. ورياحا يمتطى بساطها غير المنظور .. ليعيد الى الآدمية نقاءها .. الى الحياة صفاءها .. الى المحبة رداءها .. الى الانسانية بقاءها دون خفافيش دون حشرات .. دون ذبابات .. دون جراثيم .. دون سموم .. دون قتل ..

تمناها كأغلى ما يتمنى .. وكأحلى مايحلم به .. ولكن .. اين ؟! اين الطريق الى حباب ينجاب .. وابوابه موصدة .. والطرق اليه غير آمنة .. وغير سالكة .. انه مع امنياته مازال يتألم كلما ابصر حشرة تلسع .. وتلدغ دون ان يقوى على الاقتراب منها .. لانه الأعزل .. ولأنه الا ضعف مواجهة .. ومجابهة ..

القلق .. ومن أجل ماذا ؟

« ٢٥ »

اذا كان مثلنا الشعبى يقول :

« رمح تطعن به .. ولا رمح توعد به » فان مصداقية هذا المثل تؤكده وقائع واقع البشر وهم يتعاملون مع بعضهم البعض فى نكوص .. وفى نكوث للوعد وللعهد .. يدفع بهم الى التهديد والوعيد .. ان اعنف مراحل القتل تدميرا وفتكا ان يقتل انسان مادون ان يقتل .. ان يظل شبح خوفه على حياته يتراقص امام عينيه وهو يخطو .. وهو يجلس .. وهو ينام .. دون ان يغمض له جفن .. ودون ان يهدأ له بال ..

ان الاستشعار بالنهاية القاسية دون ان تأتى وهو يعلم أنها ستأتى اطالة فى عمر المعاناة والمكابدة .. واضافة مرة الى مرارة النهاية ان الخوف وحده يمثل فى حياة الانسان سرطانا يفتك بالحس .. وبالنفس .. انه الأقوى من المرض .. والأفتك من الجوع .. والأمر من الدموع .. انه الخشية من مجابهة ومواجهة المرض والجوع والدموع مجتمعة ..

ان القلق حين يكون محسوبا بوقائع .. ومنسوبا الى واقعة بعينها فى حياة الانسان يتجسد .. ويتمدد وينتشر بفوضائية وضوضائية الى كل الخلايا والزوايا باعثا فيها رعشة الرهبة لهول ما سيأتى .. على شكل مفاجأة صاعقة مدمرة مرة ويظل الرجل بحكم انتظاره فى احتضاره الذى لا ينتهى .. وفى منازعة انفاسه .. التى لا تهدأ .. خشية رمح وعد به .. ولم يطعن به .. وكان انتظاره الطويل .. او احتضاره الاطول اشد من قتله .. لو أنه مات دون انتظار .. دون ان يوعد بالرمح الكامن خلف ستار .. او جدار .. ويتربص به .. لا يدرى متى ينقض .. ولا متى ينقض ..

اتق شر من احسنت اليه ..

« ٣٦ »

« اتق شر من احسنت اليه »

بهذه الكلمات المأثورة المشهورة بادرنى محدثى قائلا :

« لى قريب اصيب بمرض خشيت على حياته منه .. لم أحدد المرض وخطورته متى استفحل ومتى اهمل .. وانما حدده الطبيب نفسه .. ونقلته الىّ زوجة المصاب بملء فيها .. وكان أن زرته ملحا عليه بالسفر دون ابطاء للعلاج .. والعلاج الناجع .. ولما لم أجد منه الاستجابة التي اتوخاها منه .. ولما كانت حياته تهمنى فقد كلمت من هو اقرب اليه منى .. وكان فى بلد مجاور .. نقلت اليه الصورة كما رسمتها زوجته دون زيادة .. أو نقص .. واتصل به هاتفيا اهلوه يستطلعون الخبر الذى نقل اليهم .. وكان مفاجأة مذهلة لهم ولى .. اذ ماكان من المريض الا ان قال لهم :

– أنا بخير .. ومانقل اليكم .. هى اخبار مشوهة مشوشة .. ان لم تكن كاذبة .. وحين زرته وجدت اوداجا منفوخة تواجهنى .. وعبارات قاسية مرة تتهمنى بالتشهير به .. والتهويل بما هو فيه من حال ..

قلت له :

– اننى لم اتحدث الا عما تحدثت به زوجتك نقلا عما قاله طبيبك وماتعرفه أنت .. ولصالحك من أجل ان يتحرك الأخرون وأنت العاجز لما فيه انقاذ حياتك من شر اهمالك .. ولم يقتنع بالذى قلت .. وانما ظل عابسا .. عاتبا .. غاضبا .. رغم ادراكه الخفى بصدق كل ماقلت له ، ولاقربانه .. وبكل ماحكيت عنه » ..

قال محدثى .. وماهو رأيك أنت فى كل هذا ؟!

ولم أجد ماأرد به عليه غير قول الشاعر القديم .. والحكيم :

يقضى على المرء فى ايام محنته
حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

كم كلمة قالت لصاحبها : « دعني »

« ٣٧ »

قال محدثي :

دخل عليّ في مكتبي شخص لا أعرفه بنفسه .. وراح يتحدث طويلا .. ويسأل أطول .. يسأل عن مايصح عنه السؤال .. وعن مالا يصح ..

كنت أجيبه على ماسأل .. وأحاول رغم ضيقي ببعض أسئلته أحاول أن لا أشعره بذلك الضيق مرغما ..

وقطع حديثنا الطويل الممل أحد الاصدقاء الذى احتل مكانه في المكتب زائرا .. ولما استوى به المقعد التفت الى ذلك الشخص قائلا :

– من الأخ ؟!

مشيرا الى ذلك الصديق .. ولقد تعمدت ان لا أجيبه .. او أرد عليه لسببين اثنين .. أولهما : ان السؤال فى حد ذاته خروج على اللياقة .. ومظهر من مظاهر حب الاستطلاع المرفوض .. والمدان ذوقيا .. واخلاقيا ..

ثانيهما ان السؤال يحمل الكثير من الاحراج لى .. لو كان ذلك الشخص الذى سئلت عنه لا أعرفه .. او غاب عنى اسمه لنسيانه ..

ومع ذلك كان ذلك الصديق مجاملا .. لبقا فعرف بنفسه رغم استشعاره بسخافة السؤال .. وماتلاه من اسئلة عن عدد اولاده .. واين يسكن .. وهل هو مستأجر أم مشتر .. ؟ وهل حول القيمة بالعملة الصعبة أم بماذا .. ؟!

قال محدثى :

انها نوعية طفولية .. طفيلية تلك التى تقتحم عليك خواص نفسك وبيتك .. عبر اسئلة سخيفة ان لم أقل مخيفة .. ومدانة .. ومثيرة للامتعاض .. والانقباض ..

قال : مثل هذه الاسئلة أضيق بها من صديق أعرفه لابتعادها عن دائرة السؤال المقبول المعقول .. فكيف اذا جاءت من شخص لا أعرفه .. إننى أضيق بها أكثر .. وأكثر .. ومع ذلك فقد كنت ساذجا .. لاننى طيب القلب لا أرد لأحد سؤالا حتى ولو كان ثقيل الظل .. فقط أريد ان اسجل رأيى رغم سذاجتى أو طيبة قلبى .. أسجله كخطأ يتكرر بمناسبة .. او بغير مناسبة ..

« ٢٨ »

لا صداقات .. تدوم .. وانما مصالح تدوم ..

المصالح وحدها فى هذا العالم منذ ان وجد هى التى تبنى جسور الصداقات .. وتشيد صروحها .. وحين تنتهى المصالح تتهاوى معها الجسور .. وتتداعى معها الهياكل .. ان نظرة فاحصة الى علاقات العالم مع بعضه تؤكد لنا ان الالتحام بين نقيضين وان السلام بين متضادين .. ان هو الا التحام مصلحى .. وسلام نفعى اسدل ستاره على كل تباين حاد فى النزعات .. لان المصالح وهى الاقوى ارست جذورها وعمقت وجودها .. ولكن الى حين ..

ان مانطلق عليه الوفاق ليس اتفاقا فى المبدأ .. بمقدار ماهو اتفاق على تقسيم الغنائم وتوزيع المصالح بين خصمين عملاقين يبحثان عن ضحايا .. ولكن باسلوب منظم .. وفى تراض بينهما على الضحية .. حجمها .. وقيمتها .. وموقعها .. ومدى اتساعها .. واشباعها ..

حتى الافراد .. ان صداقاتهم جل صداقاتهم هى ربط موثق تستمر باستمرار الخراف .. وتنتهى بحلول موسم الخريف .. حين لا تكون هناك ثمار ..

اذا .. وللوصول الى الحقيقة .. فان تركيبتنا الاجتماعية على مستوى عالمنا الواسع تستمد جزئياتها .. وتقيم علاقاتها .. من منطلق ذاتى وصولى محض .. يتحرك وفق غريزة كسبه .. غير مبال بتأثير ذلك الكسب على مصالح الآخرين .. وهذا نوع من التجرد السلوكى الانسانى المنضبط .. ونوع من التمرد على مفهوم معادلة المعايشة بين فردين متماثلين تربطهما وشائج حب هى اكبر من علاقات مصلحة .. ولكن .. وفى خضم عالم يتحرك .. ويتصارع فى جنون تظل المصالح وحدها لا الصداقات هى التى تبقى .. وتبقى .. لأنها الأبقى فى المفهوم المعكوس ..

الخطأ .. وليس صاحب الخطأ

« ٣٩ »

هل الاخطاء تزول بزوال أصحابها ؟!

ام أن الاخطاء تزول بزوالها هى ؟!

ان الخطأ حين يورث تتجاوز أبعاده مخاطرة شخص صانعه .. ويظل خطأ قائما يجب مواجهته .. ومجابهته فى شخص مورثه .. وفى شخص وارثه ..

ان الأشخاص وحدهم لا يمثلون نقطة خلاف جوهرية لها طابع الاستمرار والبقاء .. لسبب بسيط انهم لا يمتلكون فى حياتهم عنصر الديمومة .. فهم راحلون اليوم .. او غدا او بعد غد ..

الخلاف وحده يتمثل فى مواقفهم الخاطئة التى قد تتحول بطريقة الانتقال الى من بعدهم كامتداد استراتيجى غير قابل للمراجعة .. والتصحيح ..

اذا .. فان مواقف العقل من الخطأ تظل هى هى فى رفضها لصانعه .. ولمن يبقى عليه من بعده .. سيان أكان مورثا .. ام وارثا ..

ان الجدلية فى المواقف تظل اسيرة حركة التغيير بالنسبة اليها .. أسيرة تصحيحها .. والخروج بها من مأزق الانفعال المتشنج ومن أزمة التحدى المغاير لمفهوم العقل .. ولن يكون التسليم بهما سهلا لمجرد تبادل الادوار .. مادام مفهومها الخاطىء هو هو بعينه .. وبحجمه ..

ان بطلا لمسرحية لا يغير فى حكمنا على مضامينها لمجرد احلال بطل آخر مكانه ..

ان حكمنا على الاشياء يستمد من واقعية هذه الاشياء .. ومدى تقبل الوعى بها .. ورصده لابعادها ..

والخطأ يظل خطأ قائما .. حتى يمسخ او ينسخ .. او يسلخ بالصواب .. ولا يهم بعد هذا كله ولا قبل هذا كله من الذى جاء .. ومن الذى رحل ..

رحلة الألف ميل

« ٣٠ »

اذا كانت رحلة الالف ميل تبدأ بخطوة .. فان علينا ان لا نستهين بالبدايات الصغيرة .. والمحاولات الصغيرة .. ذلك ان لكل عمل بداية .. كما ان لكل رجل طفولة تزحف على ركبتيها .. وتتعثر .. ثم تكبر ..

والعمل العظيم .. لا يمكن ان يولد بحجمه الطبيعى .. انه يتم على مراحل .. او على احجام .. حتى يستوى ويكتمل ..

من هنا فان أية محاولة فكرية او ابتكارية قد تبدو للوهلة الاولى كما لو كانت عبثا .. صبيانيا للتسلية وامتصاص الفراغ .. الا ان تلك المحاولات ماتلبث ان تنشط خلاياها وتنتشر داخل البنية الاساسية لصاحبها وتحوله الى مبتكر .. او الى مفكر .. او الى اى شىء آخر .. اتجه اليه فى محاولاته ..

ولو أن الواحد منا ومن موقعه الراهن عاد بنفسه الى الوراء فى اطلالة على ماضيه المبكر .. وعلى أولى بداياته لأدرك كم موقفا مضحكا مر به .. وكم فشلا ذريعا اصطدم به وكم غمزة هزء .. ولمزة استخفاف صدمت ناظريه .. واثقلت اذنيه .. وطعنت قلبه ، ومع هذا فقد استطاع ان يجتاز مرحلة الالف ميل .. ورحلة الالف ميل .. وان يقف بقدميه شامخا فى نهاية المطاف مع اصراره واستمراره .. الذى لا يكل ولا يمل .. المهم ان تكون ارادتنا اقوى من ضعفنا ثقتنا فى النجاح اكبر من تخوفنا وترددنا .. والمهم ايضا ان لا يصل الغرور الى نفوسنا عندما ننجح .. ذلك ان الغرور قتال مدمر ..

ان البدايات تعنى النهايات .. اذ لا نهاية لعمل دون بداية .. حتى ولو كانت تلك البداية بدائية طفولية .. الا أنها جادة مستمرة ..

ومن أراد منا أن يجتاز الطريق الطويل فان عليه أن يتحرك .. وأن يحاول اثبات الخطى حتى ولو كانت متدانية لا متدنية .. المهم أن لا نتوقف .. والمهم ايضا واكثر ان لا ييأس ..

العبث المبكر

« ٣١ »

طفل الصغير بدأ يتعامل مع الأشياء فى اثارة خاطئة متعمدة .. تماما كما نتعامل نحن الكبار مع اخطائنا فى عمد .. وقصد .. واصرار ..

ولتكن هواية مبكرة عابثة بالنسبة للصغير .. او هكذا نريد أن نسميها تجاوزا .. اما تلك الهواية .. او ذلك العبث الطفولى المبكر فيتمثل فى دفق كل مايعطى له من لبن .. او ماء وسكبه .. على الأرض .. عن عمد .. ليهرع بعد ذلك الى المطبخ .. ويعود وفى يديه قطعة قماش ينشف بها ماسكب ..

انه يسكبه من أجل تجفيفه .. أو يكسره من أجل محاولة جبره .. او ينثره .. ويبعثره وصولا الى جمعه من أجل نثره .. وبعثرته .. من جديد ..

تلك هواية طفلى .. او عبثه الطفولى المبكر .. مجرد بداية على الدرب الذى عبرناه ومازلنا نعبره نحن الكبار باخطائنا المتعمدة المقصودة مع سبق الاصرار والترصد .. مكتفين بامل فى الغفران والتوبة لا بعمل على وقف دولاب الخطأ المتكرر .. وعلى صفحات .. الاخطاء المنظورة ..

نحن فى اخطائنا وصغارنا فى عبثهم المثير أشبه بذلك الذى يعمل فأسه من أجل حفر لا يلبث ان يهيل ترابها عليها من جديد .. ليعاود الكرة مرة بعد مرة حفرا .. ودفنا .. ودفنا .. وحفرا .. وتبقى المتاعب .. وتبقى المصاعب .. ولا شىء تم .. ولا شىء انتهى .. نحن الكبار فى خطئنا .. واستذكارنا له .. ومداومتنا على ممارسته .. واطفالنا فى عبثهم الطفولى الخاطىء المتعمد .. نحن واياهم نكاد نلتقي مع الشاعر فيما عناه .. حين قال :

ومطعمة الأيتام من كد فرجها
لك الله لا تزنى .. ولا تتصدقى

المرأة من خلال منظار الاكتناز

« ٣٢ »

ماتملكه امرأة .. وليس طبعا أية امرأة .. ماتملكه من فساتين .. او حلى لا ضرورة لها .. بل لا حاجة اليها تكفى لأعانة .. او اعاشة .. او علاج آلاف الاطفـال .. الذين يتمهم الزمن .. واسلمهـم الى التشـرد .. والجـوع .. والعرى .. واذا كانت المراة بطبيعتها .. وخصائصها الفسيولوجية أقرب الى التأثر .. والانفعال .. والتجاوب من الرجل لما جبلت عليـه من حس مرهف حنون رحيم فان ظاهرة الاكتناز لعشرات الفساتين كهواية .. وليس كاحتياج يشكل عقدة فى تركيبتها الحسية الحساسة .. كالرجل تماما وهو يندفع بكل حواسه لرصد الرصيد الخراف الذى يتجاوز كل استطاعة للتصريف .. او التصرف .. واذا كانت الحياة فى منظورها المنطقى احتياجا ليس الا .. فان الركض اللاهث وراء غبار الجمع فى غير حاجة لا يعدو ان يكون اسرافا فى ارهاق الحس .. وازهاق القدرة القادرة على التعامـل من منطلق الابصـار الواعى ..

ان جنون الجمع لمجرد التعاظم .. والتباهى ـ واشباع الغريزة المـادية الجائعة ضرب من الصدام المؤذى لشفافية النفس .. وبساطتها .. ولون من القيد المرهق الشاذ لخطى الواقعية فى حياة الانسان ..

ولن نتحرر من ذلك الجنون .. وذلك القيد الا اذا كانت خطانا العمليـة محسوبة مدروسة .. متوافقة مع مانحتاج .. ومايحتاج غيرنا ممن جردتهم ظروفهم من اخص خصائص ضروراتهم .. ومتـطلبات يـومهم .. واوليات معاشهم وعيشهم ..

الحياة .. هى المدرسة

« ٣٣ »

فينا من تلفه سحابة من الخجل وقد طلب اليه رصد شهاداته فى بيان حياته الوظيفية لأنه لا يملك شهادة دراسية بالمرة .. أو لان شهاداته صغيرة متدنية ..

ومن واجبنا ان نعترف انه لا مكان للخجل لفاقد شهادة .. اذا ماكانت شهادته فى مدرسة الحياة على مستوى من النجاح والعطاء ..

المدرسة الاولى وشهاداتها .. انها بداية من البدايات لما بعدها .. انها بمثابة بطاقة الاذن للعبور نحو عالم متحرك متشابك يحوجه التمييز .. والفرز .. وكثيرون مرت بهم شهاداتهم الشكلية .. فلم تسعفهم .. ولم تدفعهم .. وانما ألقتهم خارج حلبة مدرسة الحياة مكتفين بأولويات نالوها وشكليات حصلوا عليها ..

وكثيرون أخرون اقتحموا تلك الحلبة بعصامية فطرية فشاركوا صنعا .. وساهموا ايجادا .. فجاءت سجلات اعمالهم تتويجا لأسمى الشهادات وأزكاها ..

نحن لا ندعو الى الأمية ولا ندافع عنها وانما ندعو الى فهم واع بأن الشهادة وحدها دون مضمون عملي على أرضية الواقع لا تتعدى مجرد ورقة لا نصيب لها فى ميزان التقييم والحساب والنجاح ..

ان اصول الاشياء وفصولها .. أن يكون الصدى للشىء متعاملا مع ماحوله .. متفاعلا مع ماحوله .. بما يحمله من اداة تأثير وتفكير خلاق .. والا تحول الى مايشبه الصدى المهزوم المرتد بين فراغات جبل جامد ..

الحياة .. اولا .. واخيرا هى المدرسة .. وماسواها فبدايات .. واولويات .. والناجحون فى الحياة هم الحاملون .. والحاصلون على ازكى واسمى شهاداتها العملية .. حتى ولو لم تعرف خطاهم جادة مدارسهم الشكلية .. المعروفة المألوفة ..

حين نفتقد امانة الصنع

« ٣٤ »

القصة تقول ..

جاء احد بساعته الى مصلح الساعات .. اعطاها له من أجل اصلاحها .. ونقده الأجر الذى اتفقا عليه ..

وبعد يومين تسلمها منه .. وفى اليوم التالى لتسلمها عاد اليه مرة ثانية وقال له :

– لقد عادت حليمة الى عادتها القديمة .. رجعت الساعة كما كانت دون حراك ولا حركة .. وسأله ..

– الا تكون وقعت من يدك .. ؟ أو تعرضت للماء ؟!

ونفى الرجل ان يكون شيئا من ذلك قد حدث .. وبعد الحاح منه تناولها المصلح من جديد وقال له :

غدا تأتى لاستلامها ..

كان الى جوار (الساعاتى) صديق له سمع بالحوار .. وبما دار بين الاثنين .. قال له :

– لقد قبضت اجر الاصلاح كاملا .. أليس شيئا معيبا ألا يكون اصلاحك لها دقيقا كاملا ؟!

ويأتى الرد السريع الواضح الفاضح ..

– ان فى مقدورى ان يكون اصلاحها تاما .. وطويل العمر .. ولكن لو أننى فعلت ذلك فمن أين نأكل العيش ؟!

وهكذا يتصور الكثيرون أن العيش لا يؤكل الا بالغش والخداع .. وبتكاثر الضحايا .. وتردد المحتاجين على أبواب الحاجة .. من أجل امتصاصهم واستنزافهم ..

ولو انهم احسنوا الصنع .. وأتقنوا الصنعة لكان رصيدهم من السمعة الحسنة خير عطاء يجذب اليهم المتعاملين معهم .. والمستفيدين منهم ..

ولكنه الخطأ كل الخطأ بتصوراته وتصرفاته ..

الأنانية .. او مرض القاتل

« ٣٥ »

اكثر الناس عدوانية هو ذلك الذى يجهل انه كائن حى له ما للآخرين .. وعليه ماعليهم .. تسعده بسمته .. وحتى لو كانت على حساب دمعة غيره ..
تسعده صحته .. وحتى لو انها على حساب سقم غيره ..
تسعده ثروته .. وحتى لو كانت على حساب فقر غيره ..
تعجبه ذاته .. ولا يهمه بعد ذاته ان يعيش الآخرون او يموتوا .. يسعدوا او يشقوا .. يطعموا او يجوعوا .. يصحوا او يمرضوا ..
وحين تحتدم الانانية باعراضها .. وامراضها .. فى واقع الانسان ووقائعه يتحول الى كتلة متحركة من البشاعة تطال باذاها وقذاها ذلك المحيط بها .. ويتداعى بالمرض الشيطانى كل مابنته حمائم الألفة من اعشاش لتفرخ فيه .. ولتفرغ فيه آمال حياتها من بعدها ..
وحين تتحطم الحياة فوق صخرة الذات لا شىء يبقى ذلك الا مجرد هيكل شيطانى متحرك يزرع بمخالبه وانيابه بذرة القهر والشر فوق أجساد الناس ليلتهمها دما .. ولحما .. وعظما .. وبقاء وشقاء ..
والحركة المنظورة فى الهيكل الشيطانى لا تعنى حياته بقدر ماتعنى احتضاره الطويل المتشنج على مذبح غرائزه المطلقة فى ايذاء غيره .. واذلاله .. والتعدى على أبسط حقوقه المباحة المتاحة ! وتكون النهاية موته حتى وقبل ان يلفظ انفاسه .. لأنه مسبقا لفظ إحساسه بوجوده انسانا انسانا . ولفظ احساسه بوجود غيره كعنصر تكامل وتكافل .. وتعامل لا تخطىء فيه كفة على أخرى .. ولقد انهزم حين انهزم الميزان .. فلم يعدل .

سقطة الفرد فى معزل عن المجموعة

« ٣٦ »

لا يمكن الحكم المطلق على شعب من الشعوب بسقطة فرد من افراده .. او غلطة عدة أفراد منه جنحوا عن الجادة السوية فجرحوا بتصرفاتهم مشاعر الآخرين ..

الا اننا وفى العالم العربى بالذات نتجاوز بأحكامنا هذه القاعدة فنخلط بين الخصوصيات .. والعموميات فى الحكم .. ونعطى صفة الشمول دون وجه حق .. كل شعب على وجه هذه البسيطة له افرازات صالحة .. واخرى طالحة .. والعبرة تبقى فى النسبة بين الصالحين والطالحين .. وحكمنا من خلال القاعدة الشاذة تحامل لا مبرر له ولا منطق فيه .. بل انه مغالطة مفضوحة تنم عن استعداء .. وقصر نظر لا يخلو من خطورة اقل احتمالاتها نسف الجسور بين مجتمعين او عدة مجتمعات تتماثل طباعا .. وتتمازج مصلحة ..

نحن نعلم ان سقوط الواحد يسىء الى سمعة المجموعة التى ينتسب اليها .. الا ان هذا لا يعنى ان المجموعة متفقة مع هذا الساقط .. ولا راضية عنه بل انها قد تفتح له باب المساءلة .. والحساب .. والعقاب .. ايضا متى توفرت لديها أدلة الادانة .. ونعلم أيضا أن فى كل تمر حشفا .. اذ لا يوجد مجتمع مثالى مائة فى المائة .. ولا مجتمع متخلف مائة فى المائة .. فهنا .. وهناك .. توجد النسبة بين الجادين والهازلين .. بين المنضبطين بتصرفاتهم .. والعابثين بها ..

وهذا مايدعونا الى استنكار كل حكم شمولى بالادانة لشعب من الشعوب وقد تجاوز بعض افراده حدود القواعد السلوكية ..

ولكى تبقى جسور الحب معلقة فان علينا ان لا نضخم رقعة الاشياء وأن لا نحملها مالا تحتمل .. وانما نقول للمسىء وحده لقد اسأت .. وللمحسن ايضا وحده لقد احسنت .. ويبقى الحكم الشمولى على شعب هنا وهناك خارج دائرة الطعن .. او اللعن ..

« ٣٧ »

كثيرا مانظلم اولادنا .. وفلذات أكبادنا حين نجسد لهم المدرسة أو المدرس على هيئة بعبع عقابا لهم على غلطة صغيرة .. وعلى هفوة اصغر ..

ان فينا من يخاطب طفله وقد اخطأ .. قائلا :

- ان عملتها مرة ثانية قلت لأستاذك .. او لأستاذتك ..

ومن سياق مايجرى يدرك الطفل ان المدرسة .. او المدرس عقاب يشهر في وجهه حتى لا يخطىء من جديد .. وبالتالى يرتفع ضغط الخوف لديه .. وتبلغ حرارة الوجل مداها في نفسه لتشكل عقدة من الصعب حلها .. او التهوين من مخاطرها على نفسيته الصغيرة الشفافة الجدار ..

ان طاقات الطفل وقدراته مهما كانت ذكية قوية .. فانها تتناثر على صخرة الخوف فما تقوى على تجميع نفسها . والارتفاع بحصيلتها ..

المدرسة .. والمدرس .. يجب ان نجعل منهما رمز ثواب لا عقاب .. رمز ترغيب لا ترهيب .. ان نرسم عنهما في ذهنية الطفل صورة الأمومة الحانية والأبوة الرحيمة .. حتى لا تجفل خطاه .. وترتد عزيمته وشكيمته ..

بل إن من واجبنا أمام طفل وقد اخطأ ان نجند مدرسه او مدرسته ليقف .. او تقف الى جانبه دفاعا .. واشباعا لثقة لابد من تواجدها في المستقبل بين الطفل ومدرسته ..

لنزرع طريق المدرسة أمام أطفالنا بالثقة والحب .. بالرياحين والحب .. فاقدامهم الصغيرة .. بخطواتها المبكرة لا تقوى على هزة اخافة .. انها تجفل .. وحين تجفل مبكرة تصعب استعادتها بعد ذلك ..

الحضارة بين ادعيائها

« ٣٨ »

أعطونى بلدا على اتساع رقعة المعمورة لا يدعى انه صانع الحضارة وأبوها وأمها .. وأنه سبق التاريخ بتاريخ ..

ولكى يكون مدخلنا على هذا التساؤل سليما معافى فان علينا أولا أن نتعرف على مفهوم الحضارة .. ماذا تعنى ؟! ..

« الحضارة هى اثر حى لعمل حى من انسان حى » ..

قد لا يكون للحضارة فى أمة واحدة صفة الاستمرار .. وقد يكون لها وهذا مايعنينا فى تحديد الانسان الحضارى من حيث صنعه .. والانسان الوارث للحضارة من حيث ادعاؤه فقط ..

ان امة من الأمم لا يمكن ان تكون حضارية لأنها ورثت رصيدا حضاريا دون أن تضيف اليه .. وتحافظ عليه ..

ولك ان تتصور هيكلا آثريا ضخما .. واطلالا لامجاد غابرة يطوف بها وارث مهلهل الثياب لا يكاد يقوى على فك الحرف كل همه أن يحملق فيها .. وان يحلق فى سماء المباهاة الفارغة ..

هل من حق هذا الوارث ان يكون حضاريا ؟! ان يدعى صنع الحضارة .. وسبق التاريخ ؟

ان مظهرا كهذا حين يحدث يعد انتحارا حضاريا فى رصده .. ورصيده وان أمة أخرى من الامم استطاعت أن تصنع انسانها روحا .. وطموحا لهى الأجدر بالانتساب الى الصنع الحضارى التاريخى حتى ولو لم يتجاوز عمرها القرن من الزمان ..

المهم ان لا ينقرض الانسان داخلها .. ان لا يتحول الى مهلهل ثياب وارادة .. يطوف بين الاطلال مباهيا بأمجاد ماضية مبهورا بها .. لا اكثر ولا اقل ..

حق « الفيتو » أو الرفض الذى تتمتع به أربع دول عظمى أو خمس دول فى مجلس الأمن حق يفتقر الى الشرعية الدولية ..

ذلك أن مجلس الأمن ـ وهذا اسمه ـ مجلس من أجل أمن المجموعة الانسانية لا يمكن ان تستثمره دولة من الدول لمصالحها .. واغراضها .. والا افتقد شرعية بقائه كصمام أمان تلجأ اليه الدول الضعيفة من أجل انصافها .. وحل قضاياها ..

وعلى مدى عمر مجلس الأمن فقد كان الرفض .. والرفض المضاد عنصرين ضاغطين مثيرين للحزن .. وباعثين على الأسف لدى الكثيرين ممن أحسنوا الظن وارتطم ظنهم الحسن بصخرة الخيبة .. وجدار الاغفال واللامبالاة ..

ان الأمن حق لكل من ينشد الأمن فى حريته .. وعلى أرضه .. وليس مقبولا أن يقف قاض من القضاة الخمسة فى محكمة دولية ليدافع عن لص تجاوز حدود ملكيته .. او مجرم أباح دم جاره .. والا فان استخدام الرفض سلاحا ليس مقبولا بالمرة ان يبطل صوت واحد من مجموعة اصوات وقفت مع الحق .. وساندته .. لأن له هوى .. أو لأن له مغنما من أصل الغنيمة ..

إن مجلس الأمن ليس مجلسا تجاريا يحكم مجلس ادارته عدد الاسهم التى يتوازعها مجموعة الاعضاء المؤسسين فيما بينهم بحيث يستأثر بها الاكثر نصيبا .. والاكبر اسهاما .. حتى هذا فان الاصوات فى مجملها تنتصر بعامل الاكثرية ان وجدت ..

ولو انصف عالمنا « الامن » لما كان للفيتو الظالم ـ وكثيرا مايكون ظالما ـ لما كان له الحق فى البقاء والاستمرار .. فى ظل شرعية وهمية جائرة .. ولكن يبقى المنطق شيئا .. والواقع شيئا أخر .. وبين المنطق والواقع ضاعت الحقوق .. وتراكم غبار العقوق .. وضاعت الكلمات .. واظنها لن تجد من يبحث عنها ..

الغني حين يكون غبيا

« ٤٠ »

انا لست ضد الاغنياء .. فالثروة ليست عيبا يعاب على صاحبه .. الا انني ضد الاغنياء الاغبياء الذين تحكمهم صرعة المال .. وتتحكم فيهم نزعة الافتراس .. ويأسرهم شيطان الجحود والجمود بعيدا عن المشاركة الواعية الامينة في بناء اوطانهم .. والاسهام في دعم بنيتها الاجتماعية زراعيا وصناعيا واجتماعيا ..

واكاد اقول ..

اعطوني واحدا ممن أغدق عليهم وطنهم بخيراته .. وأغرقهم بملياراته .. أعطوني واحدا أقام مشروعا استثماريا ضخما في حقل الزراعة .. يسد حاجتنا من الاستيراد .. ويعطيه هو اضافة مادية مشكورة مذكورة ..

أعطوني واحدا جند قدرا ضخما من ميزانيته الخيالية .. واستثمره استثمارا صناعيا .. مرسيا بذلك قاعدة للمستقبل حين يشح المستقبل .. أعطوني واحدا بنى دارا اجتماعية .. او مستشفى مجانيا للعلاج .. او .. او اكاد اقول لا احد على حد علمي ..

كل شيء نطلبه من الدولة دون مشاركة منا .. دون تحمل للمسؤولية .. دون بذل وعطاء للمجتمع صاحب الفضل ..

صحيح ان امكانيات الدولة ضخمة وكبيرة .. الا ان هذا لا يعني ان ننسلخ من تربة الوطن .. ورد بعض ماله من حق في اعناقنا ..

ويبقى عقوق الاوطان اقسى من عقوق الانسان ..

الثروة .. حين تتحول الى فقر

« ٤١ »

يقولون ان الفقر المدقع .. كالمال المرهق .. كلاهما يؤذى صاحبه ..

الفقر عذاب بسبابه وبأسبابه .. التى تنثر ويلاتها على ضحاياها دون قدرة على مواجهة السباب والاسباب .. لانعدام فرصة المواجهة بين طموحاته المتحفزة .. واقداره الضاغطة المهيمنة ..

والثروة المرهقة عذاب ايضا بما ترهق به كاهل صاحبها من عناء .. ومعاناة شقية لا تعرف طعم الهدوء .. ولا الاستكانة .. ولا الاستمتاع ..

واذا كان الفقر المدقع يمثل الطرف السالب من خيط الواقع .. لواقع بعض البشر .. فان الغنى الفاحش ايضا يمثل الطرف الواجب من ذلك الخيط .. الا ان ايجابيته تداعت صورها .. واختلطت اوراقها فى غمرة الاندفاع غير المحسوب .. وغير المقدر ..

وكل من طرفى الخيط تحول الى سالب فى نتيجته .. لكن يلتقيان عند نقطة واحدة اسمها الشكوى .. شكوى الانعدام فى الاولى .. وشكوى الصدام .. والاصطدام فى الثانية .. وكلاهما مر ..

واذا كان الفقر لم يدع لفقير فرصة اكتفاء يتمسك بها .. ويعض عليها .. فان الثروة تركت لصاحبها كل فرص السعادة والعيش .. الا انه اهدرها مستعيضا عنها بجنون الاكتناز والجمع دون تقدير للنتائج .. ودون رصد للنهايات .. ويكاد الفقر فى تينك الحالتين يكون ارحم من الثانى .. واسلم ..

الهاجس الشيطانى حين يتحرك

« ٤٢ »

فى اعماق النفس البشرية هاجس شيطانى يستوطنها محاولا التسلل من قمقمه لينقض ماردا شريرا يقتنص ضحاياه ..

ماذا عنه لو انه تحرك ..؟!

ماذا عن هاجس الرحمة وقد نام .. ليستيقظ هاجس النقمة يدمى .. ويبكى .. ويؤذى ؟!

ماذا عن هاجس العدل وقد نام .. ليعقبه هاجس الجور والتعسف .. والظلم ؟!

ماذا عن هاجس الصدق وقد نام .. ليتحرك هاجس الكذب .. والشقاق .. والنفاق ؟!

ماذا عن هاجس الحب وقد نام .. لينقض هاجس الحرب .. والدمار .. والدماء ؟!

ماذا عن هاجس اليقين وقد نام .. لينطلق هاجس الشك والشرك مرعدا مزبدا ؟!

ماذا عن هاجس الامانة وقد نام .. ليطل هاجس الخيانة مسعورا يلتهم الاخضر .. واليابس ؟!

ماذا عن هاجس البر وقد نام .. لينسخه فى دنيا العلاقات هاجس العقوق والقطيعة ؟!..

ماذا عن كل ذلك .. لو تحرك كل ذلك ؟! ..

شىء واحد فقط هو النتيجة .. والحصاد والنهاية ..

ذلك الشىء يعنى ان الانسان انسلخ من آدميته .. ليتقمصه شيطان ظالم .. ظالم .. أثم ..

ولكن ..

يبقى الخير فى اعماق النفس البشرية هو الأبقى .. رغم كل الشياطين المستترة .. والمنظورة .. لأن الخير هو الانسان بأجل معانيه ..

« ٤٣ »

السياسة فى نظرتها الى الاشياء .. وفى حكمها عليها تنطلق فى معظم حالاتها من منطلق عاطفى لا عقلانية فيه ..

واذا كانت الصحافة مرآة للسياسة من حولها .. فان تتبعنا لما تطرحه بعض الصحف من احكام متباينة .. متضاربة بالنسبة لاشياء متماثلة تؤكد لنا صحة هذه النظرية .. وصدقها ..

مثلا .. نجد ان بعض الصحف فى مكان ما تتناول التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا وتشجبها .. بينما تجد حرجا فى ان تتناول التفرقة العنصرية فى الكيان الاسرائيلى .. ومثلا .. نجد ان صحافة فى بلد ما تتناول اضرابات عمالية فى بلد كبولندا مثلا بالتأييد .. والتأكيد على حقها فى ممارسة الاضراب وحتى الاضطراب .. بينما تنظر الى اضراب المراقبين الجويين فى الولايات المتحدة نظرة مغايرة لحكمها الأول .. فى حين ان الاضراب واحد .. ودواعيه واسبابه واحدة ..

مثلا : نجد ان صحافة بلد ماتنشر كل ماهو مع بلد ما لانه صديق متجاهلة كل سقطاته .. وغلطاته .. او محسنة تلك السقطات متجاوزة عن تلك الغلطات .. وراء مبررات لا وجود لها فى دنيا الواقع .. بينما على النقيض من ذلك تنشر كل مايسىء الى بلد آخر .. ـ لخلاف او قطيعة معه ـ متجاهلة فيما تنشر رصدها لايجابياته وانجازاته ..

وجه قاتم .. او قل صفحة سوداء فى سجل السياسة التى لا تؤمن بالعقلانية .. ولا تنصف الحقائق .. وانما تتداعى بظلالها فى مهب الاعصار العاطفى فتصطدم بالأشياء ..

والسياسة .. قبل أن تكون عاطفة عمياء .. انها انعطاف داع يسمى الأشياء باسمائها فلا ينتقص .. ولا يزيد .. ولا يحرف .. ولا يخرف .. يبقى الحسنة حسنة .. والسيئة سيئة .. ولو كانت لأقرب المقربين اليه ..

حين يخدعك العنوان

« ٤٤ »

ليس صحيحا ان كل كتاب يقرا من عنوانه . ولا ان كل كتاب يعرف من عنـوانه .. كتب كثيـرة تجتذبـك اليها عنـاوينهـا .. وتفـرق بينـك وبينهـا مضامينها ..

كتب كثيرة لا يثيرك فيها العنوان .. ويستثيرك فيها مابين السطور من زخم ومدلولات ..

والكتاب .. وليس اى كتاب يجسد عالما متحركا متصارعا متنافرا .. اشبه بالمرآة السحرية التى تكشف لك خبايا مامضى .. وزوايا مافات .. بكل ماتحمل من تناقضات وتضاد .. وماتشير اليه من توافق وتجانس ..

ولو أننا قرأنا .. وتعمقنا وابصرنا .. من خلال فهمنا لما نقرأ لامكن لنا ان نستوعب حركة التاريخ من خلال رصد الآخرين لخطواته .. ولامكن لنا ان نقيم جسرا راسخا داخل اعماقنا .. نعبره من نقطة الاستيعاب الى نقطة التأثر .. والتأثير .. ولأمكن لنا ان نقيم داخل ذاتنا صرحا ثقافيا .. علميا .. تاريخيا ملؤه العظة والعبرة .. والدرس ..

ولكن .. من يقرأ ؟!

ومن هو اذا قرأ استوعب .. وفهم ؟!

ومن هو اذا استوعب .. مارس .. وطبق ؟!

ان الكتاب الغنى بمادته .. الثرى بعطائه يعانى العزلة .. والاعتزال .. من قرائه .. يحجبه عنهم غبار الانكار .. والعزوف ..

من هنا فان خميرتنا العلميـة والثقافيـة محدودة محـدودة .. ومعدودة معدودة فى افراد قلائل نذروا انفسهم للتاريخ .. اما الكثرة الكاثرة .. فانهم يغرقون فى ضحالة مايقرأون .. وفى ضحالة مايستوعبون .. وهنا يكمن هزال مايطرحون على بساط الفكر ..

العلم .. حين لا يكون عقلا

« ٤٥ »

المركبة الفضائية الامريكية (فيوجيرا) الثانية والتى مرت على بعد مائة الف كيلو متر من المريخ .. وبثت الى قاعدتها الارضيـة على مسـافة الف وخمسمائة مليون كيلو متر صورا زاهية واضحة عن المريخ .. وعن الاجرام والكواكب السابحة فى فلكه .. هذه المركبة بماذا توحى ؟!

انها توحى دون شك على قدرة الانسان فى تحديه للمحال .. وعلى اصراره فى ان يجتاز بعقله وبعلمه مدار عالمه الضيق .. الى ماهو ابعد .. والى مايعتبره بالامس ضربا من الامنيات الخيالية .. والاحلام الخرافية ..

لقـطات حية من آلة تصـوير تبث صـورها واضحـة ومن مسافـة الف وخمسمائة كيلو متر امر يدعو الى الاعجاب .. وينم عن الاعجاز ..

بل ان قدرة الانسان على تصحيح مسارها وهى فى البعد البعيد عنه وعن كوكبه الارضى يوحى بانه لو نشط عقله فيمـا يخدم بنى جنسـه بعيدا عن انفعاله الجانح الجارح فى افعاله لامكنه ان يجعل من ارضه ايكـة مزهـرة بالورد .. غامرة بالحب ..

لقد استطاع العقل البشرى ان يسمو ويرتفع بعيدا بعيدا بما أنجزه على مستوى الابتكار والصنع .. الا انه فى جوانب اخرى مازال يلامس التراب .. ومازال يحصى الخراب بضربات فأسه ..

ومهمـا حلق وسما بعلمـه .. واجتـاز المـريـخ .. وعـطارد .. وزحـل .. والزهرة .. بمركباته الفضائية .. فان تحليقه وسموه سيظل متدنيا ملاصقا لارضه مالم يحلق بعقله الانسانى فوق ارضه .. ومع بنى جنسه ..

ويبقى العلم علما .. والعقل عقلا .. ويبقى الانسان مهيض الجناح مالم يحلق بالجناحين سليمين معا ..

الموت « الحي »

« ٤٦ »

منذ ان عرف الحياة عن وعى وهو يعيش تفاعلا .. وتعاملا مع احداثها ..

افطاره السماع ..

وجبة غذائه التفكير ..

وجبة عشائه التعليق .. وطرح المشاعر ..

لا شيء يشغله عن مشاغله .. لا شيء ينسيه انه جاء الى الحياة من اجل أن يحيا .. وان يحيا غيره من الناس كما يجب ..

كان يتعذب مع أحلامه .. وكان سعيدا بعذابه من أحلامه للآخرين ..

وصعقه المرض على حين غرة ..

قال له الطبيب ..

– انك مريض .. وعلاجك الوحيد ان تزيح اثقال أفكارك عن رأسك .. ان تنأى بحسك ومشاعرك بعيدا .. أن لا تفكر ..

قال له الطبيب :

– لا علاج لمرضك الا العزلة .. ان تنسى انك ولدت .. ووجدت من أجل رصد خطوات الحياة والسهر معها ..

وبكى .. قال وهو يشد بيده الراعشة على قبضة الطبيب ..

– انت تطلب منى ان اتحول الى نبتة طفيلية لا مكان لها فى مزرعة هذا الكون ..

إنك تقتلنى بما هو أدهى .. وأمر من كل ماأعانى .. كما لو أنك تطلب الى سمكة تتحرك من حولها شباك الصيادين أن تخرج من الماء لتنجو ..

سأبقى حيث أموت حيا .. بدلا من أموت ميتا ..

من أجل هؤلاء ..

« ٤٧ »

« صندوق البر » الذى تفضل صاحب السمو الأمير سلمان مشكورا باحتضان فكرته .. وابرازها الى حيز الوجود .. كانت خطوة طليعية .. بل وشرعية أعطت ثمارها .. واستطاعت أن تظل بظلالها الوارفة الكثير ممن عضهم ناب العوز .. وحجبهم رداء الحياء من أن يمدوا أيديهم ظاهرة مكشوفة من التعفف وما أحوج مجتمعنا الى الربط بين موسريه ومعسريه عبر تنظيم مسؤول معقول يصل الحلقة بالثانية فى استشعار بالمسؤولية .. وبالمتابعة على جادة البذل والخير .. والعطاء ..

ولكم هزنى خبر المذياع وهو يتحدث عن فاعل الخير الذى سلم لسمو الأمير سلمان مبلغ أحد عشر مليونا من الريالات لصالح الصندوق .. رقم واحد ومن رجل واحد سبقته عدة أرقام لعدة محسنين .. وتلته عدة أرقام لعدة محسنين تشكل فى مجموعها رافدا .. وموردا تطاله نفوس متعطشة جائعة تطاله فى يسر .. وفى ستر .. وفى سخاء ..

ان صندوق البر .. علامة مضيئة فى جبين تكاملنا وتكافلنا الاجتماعى .. وفى صدر تفاعلنا وتعاملنا مع بعضنا تحت مظلة من الحب .. والرحمة .. والوفاء ..

وهذا مانستزيده .. دفعا لعجلة مسيرنا نحو مستقبل أفضل وأمثل .. ونحو جيل مترابط يشد بعضه البعض .. ويعين بعضه الآخر .. ومع الأمل .. والثقة فى انجازات الخير على صعيدنا الاجتماعى الجماعى همسة هادئة الى الواجدين كل الواجدين ..

« اعطوا لصناديق البر دون شح .. انها روافد الحياة اخوتكم منها يعيشون .. وتحت افيائها يستظلون .. من قطرها ينهلون .. انها منكم منحة حياة وحب .. كما هى لهم لمسة وفاء .. ومسحة حنان .. ودفقة ايمان .. واسعاد انسان ..

« ٤٨ »

قال لمحدثه :

– كم هم كثرة أولئك الذين يحفون بصاحبك .. ويحتفون به .. انه لاشك محبوب .. محظوظ ..

وهز محدثه رأسه .. وقال وقد انفرجت شفتاه عن ابتسامة ساخرة :

– صحيح .. صحيح ..

قالها ممطوطة .. ممدودة .. وأردف مكملا عبارته :

– لك أن تعرف أن الكثير من الأكف التى ترمى للآخرين بورودها حتى لايعتصرهم الخريف !! وبملحها حتى لاتصيبهم العين !! هم أنفسهم الذين يتحولون عن مسارهم فى سرعة فيستبدلون الورود بفتح الوريد .. ويستعيضون عن الملح بجرح الكرامة ..

أكثر من هذا لك أن تعرف أن فيمن يشيعون موتانا وهم الأقرب الأقرب اليهم تسبق دمعة فرحهم دمعة ترحهم دون أن يستشعرها من حولهم لأنها دمعة تحجب سر معناها عن الآخرين .. أما لماذا فلأن فقدهم لقريب أقل خسارة من ربحهم لارث ضخم طال انتظارهم له ..

قال :

– وحتى هؤلاء الذين تشهدهم .. يحفون .. ويحتفون .. ستتلاشى خطاهم ذات يوم .. بعد ان يجف نبع العين .. وتبقى البئر خاوية خالية دون ماء .. هكذا علمتنا تجارب الحياة أيها الصديق .

الضريح .. الغير مريح

« ٤٩ »

فى بعض الأحيان نجد من يتشبث بالوهم القاتل بالنسبة لموتاهم .. فيتراءى لهم أن اقامة ضريح .. أو غرفة أو أكثر من غرفة تضم رفات الميت ان هى الا اسعاد لروحه بعد أن يرحل .. ويتوارى ..

سمعت عن هذا من أحد أولئك الذين رحل لهم عزيز .. فى بلد عربى .. ومن بلد عربى ..

قال :

« ان فقيده تراءى له فى حلمه ذات ليلة .. وبعد موته .. وراح يخطط معه كيف يكون القبر .. وكيف تكون استراحة القبر .. وكيف توضع الزهور .. وكيف .. وكيف » .

وصدق مارأى حلما .. ونفذ مارأى عملا ..

فقلت له :

« لاشىء مما عملت يضيف الى رصيد حسنات الراحل .. ولا الى رصيد حسنات الفاعل » .

انه ضرب من الوهم .. والبدعة .. والخرافة أملاه الحب .. والفدائية .. والحلم لغال توارى فى قبره ..

انه لون من التشبث بالوفاء فى غير موضعه ..

وأفضل من كل هذا .. وأنبل من كل هذا أن تكون صلتك بمن فقدت عبر جسر من الصلوات .. والدعوات .. والحسنات .. انها الاضافة العاقلة لرصيد من مات ..

فلا الضريح .. ولا الاستراحة .. ولا كل مايقام حول رفاته سوف يسعد روحه .. فتستريح فى عالمها الآخر .. انها تغمه .. وتغمه .. وتهمه ..

« الآهة » لها أكثر من معنى

« ٥٠ »

لو أن كل من عضه الزمن بنابه قال :

« أه » .

لما وجدت فى هذا الكون الا شاكيا باكيا .. ولكن الناس يختلفون فى قدراتهم على التحمل .. وعلى مواجهة المصاعب .. والمصائب ..

منهم من تكون آهه على شكل صرخة ..

ومنهم من تكون أهه على هيئة دمعة صامتة ..

ومنهم من تكون أهه دفينة فى أعماق أعماقه ..

ومنهم من تكون أهة تمردا على ماحوله .. وصداما مع من حوله ..

ومنهم من تكون أهه متجمدة على عتبة انتظار لايدرى متى ينتهى ..

ومنهم من تكون أهه حائرة تتوازعها خلجاته الدفينة .. أو الظاهرة .. بين ألم يحسه .. وأمل يتطلع اليه ..

لأحد من البشر لايوجد فى قاموس كلماته أكثر من كلمة « أه » واحدة .. ويختلف طرحها .. وشرحها باختلاف المواقف .. وباختلاف وسائل الافصاح .. والتعبير ..

وتبقى « أه » الصدى الأمين الحائر .. وأحيانا الصدى الحزين الجائر ..

تبقى بصرختها .. وبدمعتها الصامتة .. وبغموضها .. وبتمردها .. وبتجمدها وبحيرتها .. تبقى الوجه الأول الشاكى الموجع للانسان .. كل انسان ..

وعلى الرغم من ظلالها الحزينة .. فان الوجه الثانى للعملة .. حيث البسمة .. لايمكن صرفه .. ولا التعامل به .. ومعه الا اذا اقترن بوجهه الأول الباكى الشاكى والسبب فى غاية البساطة : السبب ..

« ان من لم يتألم .. لايمكن له ان يتذوق طعم السعادة .. ولا أن يتعلم .. » .

الشعرة القاتلة

« ٥١ »

قص الشعر كان سببا فى ازهاق عمر ..

هما شقيقان .. أكبرهما فى التاسعة عشرة من عمره .. أما الآخر ففى الرابعة عشرة .. حرص الأول على أن يزجى للثانى نصائحه .. فهو القائم على أمره .. انه منه بمثابة الأب .

الا أن الأخ الأصغر كان متمردا .. متأثرا بما حوله .. كان يصطدم بشقيقه مع كل نصيحة .. انه يرفض دائما مايرى انه يفرض عليه حتى ولو كان لصالحه .. وذات يوم احتدم بينهما الجدل .. قال الأكبر :

– أنت خنفوس .. يجب أن تقص من شعر رأسك الطويل ..

ورفض الثانى .. وأعمل الأول مقصه فى شعر شقيقه وهو يغط فى سباته .. وما ان أفاق من نومه وتعرف على ماجرى حتى أضمر فى نفسه الشر .. وعلى حين غفلة من شقيقه أغمد فى صدره سكينا ليلفظ أنفاسه .. وصرخت الأم مرتاعة وملتاعة على فقد ابنها الذى مات .. وعلى فقدها ابنها الثانى الذى أضحى أسيرا لجريمته .. وأسيرا لعقابها .

وتمزقت أوصال الأسرة لحظة نزق مراهقة .. وخيم السواد القاتل على سماء البيت الصغير الرابض فى احدى الحوارى الشعبية بمدينة كبرى .. وانتهى كل شىء فى حياتها الى خبر صغير تناقلته الصحف فى صفحة الحوادث تحت عناوين مختلفة .. كحدث يومى لحدث صغير أفلت زمام أمره من يده .. دون أن تلتفت الى أبعاد الخطورة للمؤثرات التى يتعامل معها شبابنا وتضع لها الضوابط التى تحد من الاندفاع والتهور والصدام المجنون فى حلبة اللاعقل .

أثرياء .. ولكن من نوع اخر

« ٥٢ »

قال لمحدثه الثرى .. والثرى جدا ..

- « صحيح انكم تحصون ثرواتكم بالشيكات .. اما نحن فبالكلمات ..

صحيح انكم تزنونها بالأرقام .. أما نحن فبالأقلام ..

أنت تشعر وقد أودعت خزانتك رصيدا ضخما من المال .. تشعر بسعادة لاحدود لها وفى مستوى كسبك .. وعلى مستوى ربحك .. وأكثر ..

نفس الشيء بالنسبة الى .. ان كلمة منى تشدنى وتهزنى بقيمتها .. ان قصيدة تثيرنى وتستثيرنى بمشاعرها تفرغ فى نفسى نفس الشعور والسعادة .. ونفس الراحة والنشوة ..

صحيح اننى لو جمعت كل أوراقى المبعثرة .. وذهبت بها اليك طالبا منك شراءها ببضع مئات من عشرات ملايينك .. المكدسة لرفضت .

وصحيح أيضا أنك لو جمعت كل شيكاتك .. وطلبت منى أن أقايضك حصاد أرقامك بحصاد قلمى لما وافقت .. ورفضت ..

قال لمحدثه :

« الكل منا تعرف على الثروة » و « الغنى » .. واختار ..

اخترت الثروة .. وكانت لك الربح والرصيد .. وكل شيء فى حسابك وحسبانك .. أما أنا فقد اخترت « الغنى » .. وماهو أسمى من الثروة .. اخترت غنى الكلمة الصادقة .. التى لاتجهدنى حسابا .. ولا تؤرقنى عذابا .. ولا تستفزنى عقابا .

كان لك خيارك .. فكانت لك سعادة الشقاوة ..

وكان لى خيارى .. فكان لى شقاوة السعادة ..

أنت برنين ملايينك مغرم .. أما أنا فان خشخشة وريقاتى الصغيرة فى أذنى تعلو على كل رنين .. وتطغى على كل دندنة .. » .

وأردف .. قائلا .. وفى عبارة قصيرة موجزة :

كلانا أنا .. وأنت .. كلانا ميسر لما خلق له .. بل وراض بنوعية لقمته ومذاقها .. ولو اتفق الناس لبارت السلعة .. ولما كان هناك على وجه الحياة راض .. ورافض ..

الجنون « الغضب »

« ٥٣ »

لو أن انسانا استوقفك فى الطريق وقال لك بلهجة جازمة :

« أنت مجنون » .

ترى بماذا ترد .. ؟ !

انك دون شك ستستشيط غضبا .. وترد عليه دون تردد :

« بل أنت المجنون » ..

وستكون بانفعالك الحاد المجنون أعطيت له وثيقة اثبات على صحة ادعائه ..

واذا كان الحكم بالجنون القاطع أمرا غير صحيح باطره .. الا أن فيه شيئا من الصحة .. تزيد وتنقص بحجم انفعالات الشخص .. وخروجه عن طور تماسكه وانضباطه .. ووعيه ..

وليس كل جنون هو ذلك الذى يصرع .. ويسلم الى التشنج .. ان حالات كثيرة من الجنون الذى نمارسه .. دون أن نحس به .. أو دون أن نعترف به بمعنى أصح تدفع بنا الى تصرفات حمقاء هوجاء نفقد فيها صوابنا .. ونصب خلالها جام غضبنا دون أن نشعر أننا مجانين .. ولكن طلقاء .

ان الغضب - وكلنا يغضب - ضرب من الجنون الذى يعترينا .. ويستفزنا .. ويقودنا الى تصرفات رعناء لاتصدر الا عن مجانين .. فقدوا صوابهم .. واذا ما أدركنا أن الجنون فى مفهومه هو انعتاق عن ربقة العقل .. وانطلاق من دائرة الحصافة والثبات .. اذا ما أدركنا هذا أمكن لنا أن ندرك أى ميزان نزن به الغضب .. وأية كفة نضعه فيها .. وأى صفة نعطيها له .. ان صرعات جنونية كثيرة تمر بنا .. تتداعى فيها ضوابط المقاومة لدينا .. وتتهاوى فى عصبية وانحسار ..

ان تلك الصرعات .. أو التشنجات .. أو الحماقات .. تشدنا شئنا أم أبينا الى قافلة المجانين .. ولكن من منازلهم فى نتائج الامتحان وحصيلتها ..

تبقى بعد ذلك نسبة الجنون .. ونسبة العقل .. وهذا مانتفاوت فيه .. كما .. لاكيفا .. ومن كان منا بلاغضب فليرمنى بجنون التحامل فيما أدعى ..

اننى أتمنى الهزيمة فى رأيى أمام واحد .. واحد فقط لايغضب أى لايجن ان وجد .

« ٥٤ »

عالم مجنون .. مجنون .. مجنون ..

ولماذا الجنون المكرر لهذا العالم ؟ !!

يكفيه الجنون صفة أن ينفق مع كل ساعة أكثر من خمسة ملايين دولار فى صناعة آلات الدمار .. على الرغم من أن ربع سكان الكرة الأرضية يتضورون جوعا ويتردى الكثيرون منهم فى مهاوى الردى حتفا .. وخسفا .. وعنفا .. لم يكف هذا العالم حصاد الجوع .. ولا اصطياد المرض .. ولا ضحايا الكوارث .. بل سارع وفى وحشية ضارية ينصب شراك الموت ومصائده فى كل طريق .. وبعوامل قاتلة من معامله الجهنمية المجنونة ..

مائة وعشرون مليونا من الدولارات مع صبح كل يوم تتحول الى قنابل (وأرامل) الى صواريخ و (صراخ) الى رصاص .. و (اقتناص) الى حراب .. والى (خراب) .. تضاف الى رصيد المآسى .. والى صفحة الوفيات .. وكأن هذا العالم المتوحش عقد عهدا مع الفناء .. دبر وعدا أن يجهز على من لم يستطع الجوع .. أو المرض .. والكوارث الاجهاز عليه ..

ربع سكان « المعمورة !! » يدمرهم الجوع وحده .. والثلاثة الأرباع الباقية يهددهم شبح السلام الرهيب تحت مظلة « السلام !! » الظالم والمظلوم .. والعالم يتحرك .. ويتحرك .. ويتحرك .. ولكن الى أين ؟ ! ..

انه فى صعود !! مندفع الى الهاوية ..

وياله من عالم طائش يرفعه الله الى أسفل ..

مع اعتذارى لشاعر مسخت أو نسخت أو سلخت بيت شعره .

هؤلاء يضايقوننى

« ٥٥ »

كل هؤلاء يضـايقوننى .. وهم كثـرة هذه الأيـام .. والحمد لله .. الذى لايحمد على مكروه سواه .

● الممثل السينمائى .. أو المقدم الاذاعى الذى يركب موجة الطرب دون صوت يقبل .. ودون صمت يعقل .

● مقدم البرامج الذى ينتزع الحديث .. واللقطات التلفزيونية من ضيف البرنامج .. ليستبقيها لنفسه كما لو كان هو المتحدث .. والضيف .

● ادعياء الثقافة والأدب الذين يتحدثون فى إعجاب بـأنفسهم .. وعن اعجاب الناس بمعطياتهم الفكرية .. حتى لو كانوا على صدق فيما يتحدثون .

● اولئـك الذين يـرون الصحيفـة أو المجلة مجـرد اطار ملون منمق الحروف .. زاهى الألوان .. دون الأخذ بنزاهة الحرف .. وقدسية الكلمة .. وحرية الحوار .

● اولئـك الذين يصنفون الكلمـة حسب أولويات العـلاقة الخـاصة .. فيحلونها سماء .. ويطرحونها أرضا وفق هواهم .

● اولئـك الذين ينظرون الى اقـلام البراعم الشـابة نـظرة استخفاف واستعلاء فيودعونها سلة المهملات .. ناسين .. أو متناسـين انهم بالامس والأمس القريب كانوا براعم مثلهم .. عمرا .. وفكرا ..

كل هؤلاء يضايقوننى .. ويستفزون أعصابى .. وربما أعصاب وأغضاب الكثرين غيرى .. ممن يطمحون الى الواقعية .. والموضوعية .. والتجرد .

الكم .. والكيف

« ٥٦ »

قصة من الواقع ذكرتنى بوقائع من الواقع ..

القصة لذلك الأعرابى القصير القامة الذى أم المدينة لشراء قميص . وهو يستعرض الثياب أمام البائع وجد ان لافرق كبيرا فى الثمن بين المقطع الواسع .. وبين الصغير .. فاختار ثوبا له يتسع له ولاولاده جميعا لأنه الأرخص ثمنا قياسا لوفرة خامته وكثرتها .. وحين حاول لبسه قيل له إنه غير صالح الا بتقصير ..

وأن لاتقصير الا باعادة خياطه .. وأنه لاخياطة الا باضافة أجر ..

ذكرتنى هذه القصة ببعض الوقائع من واقع بعضنا .. والمتمثلة فى أننا نسرف كثيرا فيما نستهلك .. ونهدر دون ضرورة .. بل دون حاجة ..

ان فينا من يبنى له داره تتسع لعشرات الأشخاص على الرغم من أنه وأسرته لايعدون أصابع اليد الواحدة .. وحين تطرح عليه تساؤلا عن حكمة اسرافه يقول لك : ان سعة البيت من سعة الرزق .. وهذا صحيح اذا كانت هذه السعة مقدرة ومحسوبة .. الا انه غير صحيح بالمرة أن تكون هذه السعة مجرد واجهة للتباهى .. والتفاخر .. أو التماثل مع هذا الذى أقام قصرا .. أو ذاك .. وفينا أيضا من فرض على مائدته اليومية اطباقا واطباقا لا تتناولها الأيدى لكثرتها .. وتعدد اصنافها .. وينتهى بها المطاف الى برميل هنا .. أو حفرة هناك .. ان السعة فى السكن .. وفى الرزق مطلوبة .. ولكن فى حدود .. وحين تجتاز تلك الحدود تتحول الى ضرب من الاسراف لايختلف كثيرا عن قميص الأعرابى الذى ابتاعه ودفع فيه الثمن .. الا أنه أضاع فيه .. وأضاع منه الفائدة ..

وخير الشىء فى الأمور الوسط ..

الشباب .. ماذا نريده ؟!

« ٥٧ »

الشباب .. نصف الحاضر .. وكل المستقبل ..

فماذا أعددنا له فى مواجهة حاضره .. ومتطلبات مستقبله ؟!

ان عوامل التأثير .. وعواصف التغيير تهب راعدة مظلمة تقتلع من حولها كل الأشجار الصغيرة التى لم ترسخ قواعدها بعد فى أعماق الارض .. وشبابنا الغض فى مهب الأعصار الزاحف علينا من كل الاتجاهات .. السلبية نوع من الأعصار المدمر ..

الاتكالية او الاسترخاء ضرب من القتل البشع ..

المحاكاة .. والتقليد الأعمى لون من مسخ الشخصية .. والانسلاخ عن واقعية الكائن .. ومقوماته الذاتية ..

ولكى نعمر حاضرنا بأرضية المستقبل .. يجب ان يكون اعدادنا للشباب اعدادا محسوبا بدقة ..

ان انفصام حلقات السلسلة عن بعضها .. انفصام الماضى عن حاضره .. وانفصام الحاضر عن مستقبله .. يعنى ان فجوة بين حلقات التاريخ قد وجدت واتسعت ابعادها من جراء عوامل الاهمال .. والتسيب .. وعدم القدرة على ضبط الحركة بين جيلين أو أكثر ..

ولكى ندرأ خطورة الانفصام والانفصال عن واقعنا فان علينا خلق الأرضية المواتية من التوجيه الواعى .. والمسؤول الذى يميز فى حزم .. وفهم .. أسلوب التعامل .. لما يجب أن تكون عليه مسيرة الجيل القادم ربطا بماضيه .. وضبطابسلوكياته .. واقتداره على مواجهة احداثه المنظورة .. والمستورة ..

وحتى لاتقتلعه العاصفة حين تهب ..

ابن بقباق ..

« ٥٨ »

(ابن بقباق)

أو الأسطورة المرحة التى تمزج بين الخيال .. والواقع .. فى سرد محبب للنفس .. وفى مقارنة ذكية بين تصور لماض عفا عليه الزمن ،. وحاضر متجدد بكل صوره .. ومشاهده ..

ان بقباق هذا لكأنى أراه وأنا استمع الى رحلاته من مذياع لندن .. لكأنى اراه يتحرك مجهدا مبهورا من مرقده بعد سبات استغرق منه ثمانية قرون .. أو كاد .. ويتطلع الى ما حوله باهرا .. ومنبهرا ..

باهرا بما ينقله عن عصره من أساطير .. وما يشبه الاساطير .. والأحلام .. ومنبهرا بما يصطدم به من حقائق العصر .. ومنجزاته .. ومعجزاته .. وهو بين الأبهار .. والانبهار يحاول وبأسلوب فكه ماكر أن يربط خيط الصلة بين ما عاشه ماضيا .. وما عايشه حاضرا .. وأن يعيد الأشياء الى أصولها القديمة .. فى تأكيد منه على أن لاجديد تحت الشمس .. وان كل ما تحت الشمس كان قديما عاصره .. واعتصره .. وأبصره .. بل وأحيانا شارك .. فى صنعه .. وفى احداثه ..

واذا كان ابن بقباق هذا لايخلو من نظرة فاحصة عميقة بل وساخرة وهو يكتشف الاشياء .. ويكتشفها على بساط الاقناع .. فان طريقة طرقه للاشياء وحواره .. ومداورته أشبه ما تكون بالحوار الدرامى الذى ينقلك من صحوة الى أخرى .. ومن خيال مشبع بالاغراق .. الى واقع تحكمه السرعة .. وتشقه العصا السحرية المقدودة من العلم بانجازها .. واعجازها .. ان ابن بقباق فى رحلاته اضافة مبتكرة حية الى رصيد التراث بما توحى به .. وما تعنيه .. وليت فى برامجنا أكثر من ابن بقباق واحد .. نبتسم له .. ونبتسم منه ويحاورنا .. ونحاوره .. فى مفاجآت غير منتظرة .. وغير منظورة .. ومفاجآت الاقتحام المباشر .. والوداع الذى ما ان ينتهى حتى يتجدد وحتى يتعدد ..

الموظف

« ٥٩ »

سألوه :

من هو الموظف ؟!

أجاب :

الموظف هو الذى يوظف قدراته وطاقاته فى اخلاص لدفع مسيرة مسؤوليته .. ليس لدفعها فحسب وانما ايضا لتحديد مسارها .. واطارها .. ان ذلك الذى يصنع من اللاشىء كل شىء ..

ان ذلك الذى لايعتمد على اجراءات روتينية .. وانما يستنبط بوعيه وادراكه مهام جديدة ومسؤوليات لم تكن موجودة .. مهام .. ومسؤوليات ضمن صلاحياته .. وفى حدود اختصاصاته .. ان ذلك الذى يعمر مكتبه .. ويملأ الكرسى الدوار الذى يحتله ..

الموظف هو ذلك الذى لايدع فى ادراج مكتبه .. ما تشكو منه اهمالا واغفالا ..

هو ذلك الذى لايتعمد تكديس الأوراق على منضدته ليوهم من حوله بضخامة العمل وكثافة المسؤولية ..

الموظف هو ذلك النظيف تعاملا مع المعاملات .. وتواضعا مع المراجعين .. وحزما .. وحسما فى كل ما يناط به ..

الموظف هو ذلك القادر على أن يقول نعم .. عن قناعة بما تعنى .. و « لا » أيضا عن قناعة بما ترفض .. دون ان يكون لعاطفة التأثير فى كل من « لا » و « نعم » ..

الموظف هو ذلك الذى يتسامى فوق مرتبته .. فما تزيده الا اصرارا على العطاء .. واستمرارا فى اداء الواجب .. واستنباطا لكل ما هو جديد فى جديته .. واثراء مجتمعه ..

ذلك هو الموظف .. كما رسمه .. وكما حدده لمن سألوه ..!

« ٦٠ »

« عاصوف الشيطان » اسم يطلقه البعض على قطب الرحى للريح .. قطبها الممتد كالعصا .. الممتلىء بذرات التراب المقتلع من الصحراء .. والزاحف فى مقدمة العاصفة .. حين تندفع ايذانا بموسم الغيوم ..

« عاصوف الشيطان » هذا ضرب منه أحدهم مثلا فى تشبيه يكاد يتسم بالواقعية ..

قال :

نحن وركضنا المجنون وراء احتواء المال .. ثم جمعنا له بقدر مرهق مثقل .. ثم نتائج ما جمعنا وحصيلة ما كسبنا .. ان ذلك اشبه بالعاصوف الذى يهب عليك .. ويملأ عينيك .. وجيوبك .. وأنفك .. وكل ما حولك بذراته الكثيرة .. وتتطلع الى ما بعد التراب .. الى شىء يخلفه .. ويغسله .. وينقى بقطراته انفك وجيوبك .. وعينيك .. وما حولك .. فلاتجد ..وحين تجد فبعض رذاذ يزيد الطين بلة .. نحن فى اندفاعنا المادى غير المحسوب كالعاصوف .. يأخذ منا أكثر مما يعطينا .. ويشقينا اكثر مما يهدينا اصبحنا نملك الكثير .. ونهدر مما جمعنا الكثير دون طعم .. أو احساس بالسعادة .. حتى ذلك الذى نلهث خلفه اننا نضيق به تصريفا .. وحملا .. الا فى ما ندر ..

انه عاصوف يملأنا بالغبار .. ويغطينا بالتراب .. ويحجب عن عينينا الرؤية .. ثم لاربيع بعده .. لأن الأرض لم تمطر بعد ولأن الريح اثقلتها .. ولونتها واضنتها بالعطش ..

قصة لكل انسان

« ٦١ »

فى حياة كل واحد منا نحن البشر قصة .. لها احداثها .. وحوادثها .. واحاديثها .. وحداثتها ..

قصة لها البداية .. وقد لاتكون لها النهاية .. قصة تصلح لأن تكون فيلما بكل ما يحمل من دراما .. وكوميديا .. واثارة ..

ومن الصعب ان تجد قصتين لحياتين من بلايين البشر متفقتين شكلا .. وموضوعا .. ومضمونا مائة فى المائة ..

لابد من اختلاف .. ولابد من خلاف .. لابد من نقص .. او زيادة لابد من طول أو قصر فى حكاية العمر .. وبين محطاتها ..

تارة تكون المشاهد .. والشواهد متقاربة تتفق فى معظم ملامحها .. واخرى تكون متنافرة .. متباعدة لايوحدها مسلك .. ولايربطها سلوك .. الصورة الفنية لحياة الفرد فى العالم تبقى متميزة عن صورة الآخر .. باختلاف الوانها .. او باختلال الوانها .. او بنقص تلك الألوان فيما بين الصورتين وتباينهما ..

وحتى الاطار لتلك الصورة .. وهى السمة المنظورة للانسان انها لاتكاد تتفق فى أبعاد زواياها .. ومزاياها .. انها تختلف مادة .. ولونا .. وطولا .. وعرضا .. واتقانا فى صنعها . وان كانت الأقرب الى التماثل من الصورة ذات الملامح المتعددة المتداخلة .. والمتضادة ..

ان بلايين القصص لبلايين البشر تبقى مسجلة على أشرطة غير منظورة يختزنها كل واحد منا ويخزنها فى مفكرة التاريخ .. ويفرغها فى حصيلة ..

تبقى مجرد قصص مطوية منسية .. الا النذر القليل منها .. والذى نستوعبه كنماذج لحياة .. تتحرك على السنتنا .. وفى مفكراتنا .. ومذكراتنا مجرد نماذج يسيرة تدل على الكثير الكثير مما لانعى .

المعتقلون بقيد .. وبلاقيد

« ٦٢ »

تمـاما يتسـاوى نزلاء المستشفيـات .. ونزلاء السجـون .. الكـل منهم مرضى ..

الأول .. معتلون فى أجسامهم ..

والآخرون .. مرضى باجرامهم .. وبأحكامهم الصادرة فى حقهم ..

والكل .. نزلاء المصحات .. ونزلاء المعتقلات يتفاوتون علة .. وخطورة .. منهم ناقل العدوى الذى يستلزم العزل .

ومنهم من تستدعى حالته الخطرة غرفة الانعاش المـركـزة لمـراقبتـه دقيقة بدقيقة .. ومنهم المعتل الذى لاينقل عدوى .. ولايشكل خطورة .. وانما يلزمه بعض مسكنات .. وبضعة عقاقير وجرعات تساعده على الشفاء .. تلك حـالة المرضى فى اجسـامهم .. وتلك هى حـالة المـرضى أيضـا فى سلوكهم وتصرفاتهم الاجرامية التى أوصلتهم الى زنزانات سجونهم ..

ان من بينهم الخطر الناقل للعدوى والذى يجب عـزله على انفـراد عن غيره .. وفيهم المنحرف الذى زلت به القدم عن جهل .. او عن غواية .. وعض أصابع الندم .. وثاب الى التوبة ..فهو مريض عادى يكفى لشفائه جرعات خفيفة من العقاب .. وجرعات خفيفة ايضا من الارشاد والتوجيه .. ومن هنا فان عامل التصنيف .. والفرز لكل حالة على حدة .. سواء أكان ذلك فى أسلوب التعامل .. أو فى التواجد على أرضية السجن امر ضرورى .. وحتمى .. لكى ندرأ خطر العدوى بين مصاب خطر وآخر لاخطورة فيه .. ولاخطورة منه .. وحتى يكون احلالنا لمرضانا متوافقا مع حالاتهم الجسمانية والعقلانية ..

الاحتفاظ بالقمة أصعب

« ٦٣ »

تقول الحكمة :

« الاحتفاظ بالقمة أصعب من الوصول اليها »

وهذا صحيح ..

واذا كان الوصول الى القمة لايتأتى الا بجهد خارق خلاق متواصل فيه الكثير من الجهد .. وربما فيه الكثير من الصدمات والعثرات .. فان الاحتفاظ بالقمة أخطر .. وأكبر .. وأدعى الى اليقظة والحيطة ..

والأحتفاظ بالقمة لايعنى الاسترخاء على ذروتها .. ولايعنى افتقاد الانسان لحماسه فى الوثوب الى الأعلى حين يكون هناك أعلى .. بل ولايعنى امتطاء حصان الزهو والغرور .. والتعالى لمن دونه .. انه إن فعل شيئا من ذلك كان كمن بدأ العد التنازلى لهبوطه وانحداره .. واخطر مايواجه الانسان الناجح ان تتآكل فى داخل نفسه مقومات نجاحه بعد أن اطمأن .. ووثق الى سلامة الوصول .. فيسلم مركبته الى الاسترخاء .. ويسلم جفنيه الى الاغفاء .. ثم يجد نفسه فجأة وقد باعدت المسافة بينه وبين مساحة حققها .. وقطعها ..

ولكى لاتكون المغامرة اقسى وأدهى .. فان منطق النجاح يفترض فى الناجحين وقد أحسوا بعدم قدرتهم السيطرة على المستوى الذى بلغوه .. ان يعتزلوا السباق محتفظين لهم برصيد الماضى .. بدلا من ان يهدروه ويضيعوه فى سباق خاسر يفقدهم كل شىء من ماضيهم .. ويأتى على كل شىء من حاضرهم ويطوى كل شىء من سجلات مستقبلهم ..

رصيد الحساب بين متعاملين

« ٦٤ »

صديقان .. بل اكثر من صديقين .. ان بينهما زمالة الطفـولة .. وزمالة الدراسة .. الا ان الايام فرقت بينهما كما هو شأنها مع الكثيرين .. احدهما ركب موجة الاثراء .. فاتخم ..

اما الثانى فكانت خطواته فى حياته مرسومة .. مدروسة هادئة ..

التقيا بعد طول زمن .. وتعاتبا بعد طول غيبة .. قال ثانيهما للأول :

.. لقد شغلتك دنياك عن اصدقائك .. واقربائك .. ان الامر يؤسف له ..

ولم يجد اولهما العذر .. وهز رأسه وهو يتمتم ..

هذا صحيح .. كان الله فى العون ..

ومرت لحظات .. انفرجت شفتا الشاب الثرى قائلا لصديقه :

– اظنه يسرك اننى هذا اليوم كسبت كذا .. وكذا ..

وراح يعدد له ارقام الكسب ..

اما الثانى .. فقد فرك جبهته بيده .. واعتصر اصابعه .. وهمس همسة لا تخلو من اشفاق وسخرية .. وقال :

– اما انا ايها الصديق فاننى اكسب مع كل يوم صديقا جديدا اضيفه الى رصيد حساباتى فى بنك الصداقة ..

واحسب اننى اكثر منك ثراء .. واضخم رصيدا ..

صحيح انك تكسب الملايين .. وانا اكسب الملاليم .. الا ان رصيدى من الاصدقاء .. ومن الاقرباء يفوق كل ما جمعت .. لأنه الثروة التى تحسب لى حين الحساب ..

وليتك استبقيت لنفسك شيئا من هذا الرصيد .. ولم تخسره .. ياصديقى المليونير ..

السيرك المتحرك

« ٦٥ »

من يتطلع الى عالم السيرك يدرك كم هو الانسان قادر على تطويع أشرس الحيوانات .. واعتاها .. واشدها فتكا وافتراسا ..

الأسود ..

النمور ..

الفيلة ..

بل وافاعى الكوبرا برؤوسها الكبيرة المسطحة .. المفرطحة ..

كل هذا .. واكثر من هذا استطاع الانسان ان يخضعه لسلطانه وسيطرته دون تهيب .. او عجز ..

ويبقى نفس هذا الانسان العاجز المتهيب عن سيطرته على نفسه .. ونزقها .. وما تشده اليها من حبال الاستيطان الكسول المقعد ..

واذا كانت قدرته .. وهى ما نشهدها فى سلطنته وسيطرته على الآخرين مثار اعجاب .. وابهار .. فان عجزه وهو ما نلمسه ونتحسسه فى زوايا عدة من حياته يبرز لنا وبشكل صارخ كم هو الانسان القوى الضعيف .. المتحرك العاجز .. النشط .. الكسول .. المبدع .. والمردع ..

وتبقى العملة ذات الوجهين المتضادين .. وجهها الطموح .. ووجهها الجريح ..تبقى سمة ملازمة لكينونته .. وديمومته لا تتغير ..

تبقى خطواته تارة ممتدة .. واخرى مرتدة .. وبين الامتداد الى الامام .. والارتداد الى الخلف تظل الصورة باهتة بالنسبة لمساحة ما قطع .. ومساحة مابقى ..

ولو ان يقينه بالحركة جاءت على قدر ما أعطاه لغيره .. لامكن له اخضاع ذاته .. ونزواته .. وسقطاته وترهاته .. ودفعها الى مجرى الثبات .. نحو مسار الحياة .. ولكن ..؟ تبقى ولكن .. علامة استفهام كبيرة مدونة على خريطة الكائن الحى .. تبقى دون جواب ..

حرية الفكر أولا ..

« ٦٦ »

فينا من يتهم صحافتنا بأنها تحل ما تنشر على قدر مركز كاتبها .. بعبارة أصح فان مركز الكاتب او الشاعر الوظيفى هو الذى يملى عليها الرغبة فى الاستقطاب .. والابراز لما ينشر ..

وهذا يعنى لو صح هذا الاتهام ان ما ينشر ليس من أجل قيمته حتى ولو كانت له قيمة .. وانما من أجل مكانة صاحبه .. وهذا خطأ فادح فى التقدير .. واخلال بأمانة النشر ..

وبعيدا عن هذا الاتهام .. وعن هذا الايهام الذى قد يصح .. وقد لايصح فان عقلانية الكلمة .. ومركزها من الفكر والنضوج هو الذى يجب ان يكون مقياسا .. ومعيارا للأخذ .. او للترك .. بعيدا عن ربطه بموقع صاحبه او حجمه .. او قربه .. او بعده ..

ان الفكرة وحدها أقدس من مركز وظيفى .. أو مركز مالى يشفع لها فى النشر أو الابراز ..

وهذا لايعنى ان المفكر يجب ان نسقط حسابه فيما ننشر اذا كان كبير الوظيفة او كبير الثراء .. فالجاه .. والمنصب .. ليسا ابدا سبة فى قاموس صاحبهما .. بل هما جناحان محلقان له فى دنيا الناس .

وانما .. وهذا هو الأهم .. أن لا تكون فرصهما المتاحة على حساب الآخرين من المفكرين الذين لم يكتمل ريش أجنحتهم .. ولم يحلقوا فى دنيا المناصب .. ولا فى عالم الثراء ..

وعدالة النشر .. من عدالة الفكر ..

دون رتوش

« ٦٧ »

قال لصاحبه :

عجبا لأمرك .. لقد اخترت كذا .. وكذا .. اخترت سكنا ليس بسكنك .. واخترت لباسا ليس بلباسك .. واخترت ركوبا ليس بركوبك ..

قال :

لن أسميه تجاوزا تدنيا فى الاختيار .. الا أنه بالقطع يفتقر الى التوفيق .. وهنا أطال نظرة فاحصة فى وجه صاحبه .. وابتسم .. ثم قال له :

هناك مثل شعبى يقول :

« كل ينام على الجنب الذى يريحه » ..

وهكذا انا ياصاحبى .. لقد اخترت فى حياتى .. ومن حياتى الجنب الذى ارتاح له واطمئن اليه استقرارا .. واستمرارا ..

اخترت هذا المكان بتواضعه .. حتى لاأقفز الى ما هو أعلى .. وأتحطم .. اخترت هذا اللباس ببساطته حتى لاأحمل الاخرين على المزج فى رؤيتهم بين لباس ارتديه .. وبين واقع ذاتى اعتمر به ..

اخترت هذا الركوب العادى .. لانه مطية أمينة دون إبهار .. ودون لفت نظر ..

هكذا طابت لى نفسى .. وطاب لى اختيارى .. بعد طول اختيار .. بين ما يمكن أن أكون .. وما لايمكن أن أكون ..

هكذا أنا دون رتوش .. ودون ظواهر .. ومظاهر .. إننى سعيد بواقعى .. والسعادة وحدها تكفى إن وجدت للتعويض عن كل ما سواها .. إننى سعيد ..

وراء كل عظيم مرآة

« ٦٨ »

(وراء كل رجل عظيم امرأة) .. هكذا يقولون ..

ولعلى لا أكون مخطئا حين أقول .. إن وراء كل رجل عظيم « مرآة » .. بالهمزة الممدودة مرآة صافية تعكس حركاته وترصدها .. ثم تبرزها أمامه فى عرض أمين صادق ..

تبرز أخطاءه ليصححها ..

تبرز ضعفه ليقويه ..

تبرز دمامته ليحسنها ..

تبرز ثغراته ليحصنها ..

ان المرآة وحدها دون مرآة منها .. أو منه تدفع به إلى الربح تدفع عنه الخسارة .. لاتعنى أية إضافة إلى رصيده مهما كانت طاعتها .. هذا اذا كانت استطاعتها محدودة فيما تأخذ .. وفيما تعطى .. فيما تستوعب وفيما تفرز ..

واذا كانت المرآة المنظورة تحدد لمشاهدها بالميم المضمومة ـ مشاهد من ملامحه .. فان المرآة المستورة داخل اعماق النفس هى التى تحدد مسار الحركة فى حياته .. واتجاهاتها .. والبعد الذى تتناهى اليه .. والقرب الذى تقف عنده ..

وكما نرى انفسنا وجها لوجه أمام المرآة البللورية العادية فاننا نملك القدرة لو أردنا أن نرى ذاتنا .. وصفاتنا محفورة فى أعماق الذاكرة .. منها ما هو مرصود لنا كربح .. ومنها ما هو محسوب علينا كخسارة .

وحين يكون ادراك العظيم لذاته داعيا عبر مرآته المستورة .. فان رصيد الربح فى تجارته .. يزداد بالقدر الذى يتضاءل فيه حجم الخسارة حتى لايكاد يرى ..

وهكذا الرجل العظيم دائما،ان وراءه مرآة صافية صادقة لاتكذب .. ولا تخذل المتطلع اليها .. لأنها الوجه المثالى للحقيقة ..

يا .. رمضان ..

« ٦٩ »

يا « رمضان » ياضيفنا الكريم ..

لقد تعودنا ان يكون الضيف ضيفا فنعطى له .. من جانب واحد ..

نحن نعطى .. وهو يأخذ .. نحن نجود .. وهو يستوعب الجود ..

ولكنك أنت ياضيفنا الكريم خرجت عن قاعدة ما ألفنا .. فكنت الضيف المعطى .. وكنت الوافد .. الواجد .. الواعد ..

عبر اشراقة نهارك يارمضان كان صيامنا امساكا يدفع الى تماسك بنيتنا .. وبنياننا ..

امساك واع عن الطعام لتطهير الروح .. والجسد .. والخلايا من بؤر التخمة والانانية .. والشح .. ومن كل رواسب البهيمية وغرائزها المدمرة ..

امساك عن كل ما يدفع اليه الحقد .. والحسد وما ينفلت من عقال العاطفة المجنونة من قذى .. وأذى ..

وعبر اشراقة نجوم لياليك يارمضان كان قيامنا رصدا لوقفتنا اللازمة اللازبة وفى مساءلة جسوره امام الخالق ونحن نتبتل أمام محرابه سائلين .. ومتسائلين ..

كنت ياضيفنا الكريم ذلك الوافد الذى شرفنا بضيافته واستشرفناها أخذا .. وعطاء .. صياما .. وقياما .. إمساكا .. وانفكاكا فى قاعدة العادة الزمنية التى لاتعرف الا النهم .. والا الاكتناز ..

جئت .. وألقيت بدثارك السماوى .. وبفنارك المشع .. فكان ان ذقنا الصيام طعما .. وكان أن زدنا للقيام فهما ..

صيام الراحمين لمن هم على موعد مع الجوع ابدا ..

وقيام الفاهمين لمن هم على موعد مع الحركة الواعية الواثقة ابدا ..

بخور الفكر المعطر

« ٧٠ »

احتراق الفكر على نار العطاء .. كاحتراق العود على لظى الجمر تزيد فى طيبه ..

ان قطعة من عود زكى غال لا تنفحك بطيب مكنونها .. ولا بعصارة عطرها الا حين تلقى بها فوق مجمرة متوهجة الجمر .. لتتصاعد انفاسها العطرية مالئة ما حولها بأريج أخاذ .. آخاذ ..

وهكذا الفكر فى أعماق الانسان .. انه حين يظل محبوسا مكتوم الانفاس يتحول الى ما يشبه قطعة العود الباردة .. لايحس بها احد .. ولايأنس الى وجودها والى جودها احد ..

وحين يتحرك الفكر من عقاله ويتحرر .. ويحترق فى معمل الحياة .. تترامى أبعاد عطره .. ويتسامى اريجه وشذاه .. طارقا كل حواس العقل .. وكل خصائص الحياة ..

والفكر فى احتراقه لايعنى موته .. وانما يعنى حياته ..

ان موجة الاحتراق فيه .. تعنى موجة الاختراق لكل الأبعاد من حوله .. وتعنى اتساع دائرة سيطرته .. وتملكه للأشياء ..

وهكذا .. وكما يطيب لشمنا الطيب محترقا متصاعد الأنفاس زكيها .. يجب ان تكون درجة الاحتراق فى معامل الفكر قوية ملتهبة تدفع به الى الأعلى تماما كما يندفع الصاروخ من منصة اطلاقه بفعل الضغط الهائل الكابس على الأرض ..

لقد وجد الفكر للاحتراق .. وتلك قيمته .. وقمته ..

وحين يظل حبيس قمقمه .. لايعدو ان يكون قطعة عود زكى لم تحترق ولم تعطر ما حولها .. تتماثل فى لونها .. وربما فى حجمها وقطعة حطب صغيرة لامكان لها من الاعراب الا فى اتون اللهب .. وفى سعار النار ..

الحياة من خلال ثقب إبرة

« ٧١ »

ان تطلعنا الى الحياة من خلال ثقب الابرة الضيق لايسمح لنا الا بما يتيحه ذلك الثقب وهو هزيل هزيل محدود .. وقاصر الرؤية ..

وحين نتطلع الى الحياة من خلال بابها الرحب فان إبصارنا يتسع ليشمل أبعادها ويستوعب مظانها .. ويستغرق كل مساحاتها ..

وبين المنظارين .. المنظار الضيق .. والمنظار الواسـع تتحدد الرؤيـة .. والزمان .. والمكان .. والانسان ..

الصغير بفكره وطموحاته إنه يرى الأشياء الصغيرة ضخمة ضخمة حتى ولو كانت تافهة .. ساقطة الحساب .. والوزن ..

والكبير بفكره ورؤاه .. ان مساحة الأبعاد أمامه تنطوى وتـدنو لتبـدو الأشياء الضخمة صغيرة لاتثيره .. ولاتستثيره .. لأنها البعض من ادراكه ومعارفه .. بل انها فى أحيان كثيرة تكون مدعاة لاشفافه .. واسقاطها من حساباته .. وقد وزن الأشياء .. واحصاها قيمة .. وقيما .. حين لايجد ..

والقمة فى النبوغ ان تتعرى أمامك الأشياء .. دون غطاء .. او وطاء .. ان تزيح عنهـا بمنظارك كـل مسوح يحجب واقعهـا .. وكل دثـار يتستر عـلى عثارها .. وان تكشفها دون ابهار لها وتجلوها دون انبهار بها .

ان القيمة لما نكتشف أن نرى فكرنا يستوطن القمة لما نكتشف .. ان نلمس وعيا وحسنا بما فيه من تقبل .. ورفض .. وبما يعنيه من فرز يقظ للأشياء .. يأخذ .. ويدع .. دون أن يقيم وزنا للشكليـات .. وللاحجام .. ان صـورة الحياة .. وان حجمها يبدو صغيرا صغيرا .. حين يكون تطلعنا اليها من بابها الواسع .. وعبر منظار فاحص يعمل العقل فيه كل طاقاته وقدراته .. بقى ان نبحث عن الباب .. لنرصد ما وراء الباب .. وهو كبير كبير .. وصغير صغير فى حجم طموحات الانسان وتقاعسه فى آن واحد ..

السعادة .. ما هى ؟

« ٧٢ »

السعادة ..

ماهى ..؟!

ما طعمها ؟!

ما لونها ؟!

مجموعة اسئلة يطرحها الانسان بينه وبين نفسه وهو يرى الكثيرين من مشارب متعددة ومن اطباق متعددة .. ومن ممارسات متعددة يتحدثون عن سعادتهم .. عن نشوتهم تلك السعادة التى قد ينظر اليها البعض على أنها مجرد تلذذ بالشقاء .. والمعاناة .. والألم والدموع .. ومرادفاتها ..

واذا كان التعريف بالسعادة على انها موجة من النشوة يتطعمها الانسان ذات لحظة .. نتيجة كسب او حب .. او انتصار .. أو اشباع لرغبة كامنة فى نفسه .. فان الدوائر التى تدور فى فلكها تبدو متعددة .. ومجانية المذاق .. والطعم .. والنكهة ..

● دائرة الذين يرون سعادتهم فى اكتناز اكبر قدر ممكن من الثروة حتى ولو كانوا محرومين منها مجهدين بها ..

● دائرة الذين يرون سعادتهم فى اسعاد غيرهم بما يعطون .. وبما يمنحون حتى ولو كانوا فى حاجة الى ما اعطوا .. والى ما منحوا ..

● **دائرة النين يرون سعادتهم فى الاسترخاء الكسول والاستسلام للسبات .. والهروب من تبعات الحياة ..**

● ودائرة الذين يرون سعادتهم فى الكد .. والكدح والعرق .. الحلال حتى ولو كان شحيحا نزرا ..

مادام رأس صاحبه مرفوعا الى أعلى .

نماذج من الدوائر تفضى جميعها الى السعادة النسبية بطعم واحد .. ومشارب متعددة .. طعم النشوة .. ومشارب الاطباق التى تحمل الوجبات المتباينة نوعا .. المتفقة مذاقا .. حتى الدموع انها .. احيانا مصدر اسعاد لصاحبها دون ان يدرى ..

أكبر مظاهر التخلف

« ٧٣ »

أكبر مظاهر التخلف ان نجد من يباهى بأمجادوحضارات مضى عليها الاف السنين بينما الواقع لاولئك المتباهين متخلف .. مريع فى تخلفه يفضحه العجز الذى يحاول ان يشد عجلة المباهاة لما مضى .. لا لما هو واقع .. ولا لما هو آت ...

أن أكبر فضيحة .. وأكبر سبة لأى جيل من الأجيال أن يكون ما تباهى به ماضيا أروع وأعظم مما صنعه حاضرا ...

ان هذا يعنى احتمالين لاثالث لهما ..

الاحتمال الأول أن يكون ذلك الماضى بأمجاده من صنع الآخرين .. من صنع الغير لاشرف للمتباهين فيه .. لأنه دخيل عليهم .. او هم دخلاء عليه ..

أما الاحتمال الثانى فهو أن يكون رصيدا ورصيدا حضاريا لأجيال مضت .. تآكلت طموحاتها .. ودافعها .. وتضاءلت عواملها بحكم اهتزاز وعقم فى الامتداد التاريخى .. وهذا يعنى فضيحة ضخمة لاولئك المتباهين بأمجاد ما قبل الآف السنين دون أن يكونوا بمستواها لا أتصور ابدا أن يقف انسان ما مثلا يتباهى بأن جده القديم صنع طائرة بينما هو عاجز عن قيادتها .. وربما عن فتح ابوابها ..

لاأتصور مطلقا أن يقف انسان ما يتباهى بأن أجداده بنوا سدا منيعا بينما هو عاجز عن ان يحفر ترعة .. أو يسد ترعة ..

لا أتصور مطلقا أن يقف انسان ما يفاخر بآثار عظماء درسوا .. وماتوا بينما يقف مشدوها حائرا عاجزا عن الابقاء على حياة تلك الآثار .. وصيانتها .. لا على اضافات جديدة تسجل لحاضره .. ولتاريخه ..

دعوا حضارات الماضى فهى رصيد لمن مضوا وحدهم .. اما نحن الاحياء فان رصيدنا هو ما نصنعه لا ماتورثه لنا أجيال مضت وانقضت وباتت فى حكم التاريخ .. وفى موازين رصده ..

حين لانكتشف كل قدراتنا

« ٧٤ »

لا أحد غير الانسان من بين جميع الكائنات الحية على وجه هذه البسيطة يقدر على استيعاب هذا الكون الكبير الواسع .. بكل ما فيه من أبعاد .. وبكل ما عليه من أضواء .. وبكل ماله من زوايا .. وخبايا ..

ان الشرارة المندلعة من فكره الخلاق تكشف وبسرعة مذهلة عوالم مجهولة تترامى بعيدا بعيدا عن مدار فلكه .. تكشفها خيالا .. فحلما .. فعلما .. فحقيقة ..

فى رأسه الصغير يمور هذا العالم .. ويسبح .. ويتموج .. بشطآنه .. بأعماقه .. بآفاقه .. بكائناته المختلفة .. وبأحجامها وأشكالها المتباينة ..

لقد اخترق الموج .. وغاص فى المحيطات ليستقر بعدساته اللاصقة على عمقها السحيق دون ان تصده عن محاولته مخاطر المغامرة الكبيرة المثيرة ..

لقد ركب موجة الفضاء اللانهائى ليسبح مع الاجرام المتناثرة المتباعدة مكتشفا مجهولا ما كان لغيره القدرة على اكتشافه ولا الوصول اليه ولاحتى مجرد التفكير فيه .. لقد طوع الآلة واخضعها لسلطانه .. وجبروته .. انطقها وهى خرساء .. وحركها وهى موات صامدة ..

لقد كان فيما صنع شيئا ضخما .. ضخما ..

ومع هذا .. مع هذه المقدرة الرهيبة فى استيعاب الاشياء .. واستحواذها .. حلما .. وعلما .. فانه يظل العاجز عن اكتشاف حقيقته الوجدانية .. عن الدور الذى يجب ان يلعبه على مساحة ارضه .. وعلى ارضية واقعه كعنصر فاعل .. عاقل يعمر حياته .. ويروض طموحاته الجانحة الجارحة نحو الأفضل .. انه الأقوى من بين كل المخلوقات فى قدرته على اكتشاف المجهول .. الا انه الأضعف والأضعف فى مقدرته على اكتشاف ذاته .. وكبح جماح نزعاته ورغباته الصارخة الهوجاء ..

وسيظل .. والى حين اكتشاف نفسه سلوكا ومسلكا .. **الأقوى مع غيره** .. والأضعف والاسخف مع نفسه ..

حيث يأمن الانسان على حياته تظل كل حياته بما فيها من معاناة وصعاب امرا مستساغا .. قابلا للتحمل .. وانما بنسب متفاوتة .. وبقدرات للتحمل مختلفة ..

● الغربة لون من التشرد السخرى المنظم تدفع بصاحبها احيانا الى الحنين الباكى .. وان كان لايدمى ..

● الجوع لون من الفراغ المر يؤبر بابره القارض احشاء الجائع .. ويسلمه فيما يسلمه الى صبر قاتل كاوٍ الى حين يجد اللقمة .. فيسكت عواء البطن ..

● والمرض افتراس للجسد يدفع الى الشكوى والانين .. والى تحمل جرعات الالم والاستسلام لها .. الى حين البرء والشفاء ..

ومع ماف الغربة من حنين .. وماف الألم من أنين .. وماف الجوع من دموع .. الا انها جميعها تهون مصيبة وهولا ورهبة امام اجواء محمومة انفلت منها عقال الأمن .. وأصبحت الكلمة للقذيفة .. والصاروخ .. والطلقة المنطلقة ف جنون ..

كغيرى من الكثيرين . تذوقت الغربة المرة فاكتويت .. وتذوقت الألم فبكيت .. وتذوقت الجوع فتمنيت .. وكنت ساعتها مع كل تجربة أحس بمرارة الحدث كما لو أننى ضحية ضعيفة وحيدة أمام غول مفترس لا أقوى على مجابهته .. ولامواجهته .. الا أن تجربة من نوع جديد افرغت ف بالى مفهوما جديدا .. هو أن لاشىء ف الحياة يتساوى مع آمن الانسان وسلامته ..

ان مرارة الرعب والخوف .. وان بريق الحريق المندفع من شرارة الصدام تفوق كثيرا ف جرحها .. والمهاكل ماسواها من مصائب .. ومتاعب ..

« اعطنى الامن .. وخذ بعد ذلك ما شئت اذا كان لابد من خيار .. فلن يكون الجرح النازف الما وجوعا واشتياقا .. بغزارة جراح الخائفين الواجفين والواقفين المرتجفين بين فكى صراع مجنون مسلح .. كما هو ف لبنان الجسد الممزق المحترق .. والذى تذوقت بعض جرعات خوفه .. وجراحه .. بعضها .. وف البعض ما يكفى ..

المحيط المتلاطم داخل النفس

« ٧٦ »

فى اعماق كل واحد منا محيط متلاطم بأفكاره .. واقداره .. بخيره وشره .. بجنوحاته .. وطموحاته .. بعوالمه .. وعوامله .. تماما كالمحيط الضخم بأمواجه .. واتياجه .. وعالمه الذى لايحصى .. واسراره التى لاتستقصى .

الا أننا فى أحيان كثيرة لانقدر على الغوص فى تلك الأعماق .. او لانحاول الغوص فيها للتعرف على مضاداتها .. وصراعاتها .. وتناقضاتها .. ونكتفى منها بما يصل الينا عبر الموجة الهاربة .. وهو القليل القليل ..

واذا كانت قدراتنا فى معظمها عاجزة عن الاستيعاب لما هو غير مرئى فلانها آثرت أن تبقى فى معزل كسول عن ادراك كنهها .. واتساع مساحاته داخل جدران نفسها ..

وقد يعنى هذا ان النفس البشرية فى معظم حركاتها قد روضت طموحاتها .. وفرضت عليها حصارا .. من العزلة الذاتية تأبى تجاوزه .. أو حتى الاقتراب منه .. وهذا ما يعطى لنا الصدمات والمفاجآت فى مواقف كثيرة نتعرض لها دون أن نكون مستعدين لها تقبلا .. ولا معايشة ..

ان محيط العالم فى أعماق الانسان كبير .. ومثير جدا لو أننا حركنا شراع العبور اليه .. من منطلق التفكير فيه .. ورصد حركته الدائبة .'. ويكفى ادراكنا بان ما نختزنه داخل اعماقنا الصغيرة الحجم يتعدى ويتجاوز فى مساحاته كل ما هو خارج تلك الاعماق من صور .. ومرئيات .. وأحداث وحوادث ..

ويبقى أن نحرك الشراع .. ولو مرة واحدة لنبصر .. او لنتبصر ..

الوقت .. حتى لايضيع

« ٧٧ »

الوقت فى يدنا ..

والفرصة ذهبية سانحة ومتاحة .. وحتى لايضيع الوقت وتضيع منا الفرصة يجب ان تكون حركتنا سريعة .. سرعة طموحاتنا الى المستقبل ..

إن العالم اليوم كله يخطب ودنا .. لامن أجل سواد عيوننا .. ولكن من أجل حاجته الى ذهبنا الاسود حتى لاتتوقف دواليب مصانعه .. وآلاته ..

وبترولنا لن يستمر الى الأبد .. ستجف آباره بعد أعوام معدودة .. ولن نجد بعد إن تجف من يخطب ودنا .. ويستجيب لرغباتنا .. بل ولا من يقيم لنا وزنا ما لم نكن أوجدنا البديل علما .. وتكنولوجيا ..

ولن نحصل على العلم .. والتكنولوجيا المتطورة من غيرنا اذا كان فى غير حاجة الينا .. من هنا فاننا يجب ان نستشعر قيمة الحاضر .. ونستثمره من أجل مقايضة ما نعطيه ذهبا اسود للعالم الصناعى بما يقابله من احتياجات مستقبلية فى مضمار العلم وبناء الصرح الصناعى « آلة » و « انسانا » و « تدريبا » و « خبرات » .

وآن نتعامل مع هذه الدول على ضوء استجابتها .. او رفضها .. ويقينا لن يكون هناك من يرفض .. لأن الكل يدركون ماذا يعنى الرفض من خسارة مدمرة لعجلة اقتصادهم ..

ان السباق فى ميدان الآتى سباق حضارى علمى .. ولن تستطيع أمة مهما كان حجمها الكمى .. وحجمها المالى ان تقف على قدميها فى ميدان السباق ما لم يكن جوادها الذى تمتطيه مسلحا بالخبرة الذاتية .. وبالتدريب الواعى .. والقدرة على مواجهة التحدى بكل قوة .. وايجاد ..

وحتى لايسرقنا الوقت .. وتفوتنا الفرصة السانحة فان علينا أن نتحرك مادام ذهبنا الأسود المتدفق يسيل لعاب الآخرين .. وربما ايضا يضىء الفانوس السحرى .. ويجىء بمارده الجبار من أجل تحقيق المعجزة ..

المرء بأصغريه

« ٧٨ »

المرء بأصغريه .. قلبه .. ولسانه ..

والأمور ليست حجما فى قيمتها .. وانما معنى فى قمتها ..

اشياء كبيرة .. وكثيرة حين تـزنها بمعـايير الثمن تتضـاءل أمام بخس الثمن .. لأن جوهرها محدود .. ولأن معدنها معدود وفى قلة ..

وأشيـاء صغيـرة الحجم .. إلا أنهـا ضخمـة القيمـة .. والمحتـوى .. لندرتها .. ولقدرة عناصرها .. وقوتها ..

حبة من الألماس صغيرة تزن فى كفتها آلاف الأطنان من زجاج مبلور قطعة صغيرة من ذهب تكفى لشراء شحنة من حديد له نفس البريق .. إلا أنه ليس له نفس الجوهرة ..

أصغر الطيور أعذبها .. وأجذبها الى النفس .. إن بلبلا صغيرا مغردا يحمل فى حنجرته من الألحان العذبة ما لاتستطيع كل الطيور مجتمعة أن تأتى بمثلها ..

مجرد أمثلة لعناصر الأشياء .. عناصرها التى لايبرزها الحجم أو الكم .. دائما الكيف والحصيلة .. والمعنى ..

وحتى نحن البشر .. إن أحجامنا ليست فى قوامنا .. ولافى هندامنا .. إنها تكمن فى خصائصنا .. فى أعماقنا .. وفى اللسان الذى يترجم دقـات القلب بنبضات مسموعة تتعامل مع الحس .. وتتفاعل مع الخير ..وتتعانق مع آمال الانسان وطموحاته .. وأمانيه ..

فاقد الشيء لايعطيه

« ٧٩ »

وقصة بعض الصيادلة .. قال محدثي :

– انها الأكثر إلحاحا نحو الحل لدرء خطورة الاخطاء ..

قال :

– كثيرون هم اولئك المرضى الذين قتلتهم عقاقير لم تكن لهم .. وانما اعطيت لهم بالخطأ .. واكثر منهم اولئك الذين ضاعف ما اعطى لهم عن طريق الخطأ في معاناتهم .. وفي أسقامهم .. وفي تردى صحتهم ..

قال :

– لا أعرف سببا لذلك .. الا أنه واحد من اثنين .. اما أن يكون الجهل لذلك العامل في الصيدلية .. وهذا استبعده الى حد ما .. او أنه الثاني وهو الأرجح تساهله وتهاونه .. وعدم ادراكه لخطورة الخطأ الذي يقع فيه ..

قال :

– ان فيهم من يتصرف كما لو كان ذلك الطبيب .. المعالج .. والمشخص .. انه يستعيض بدواء بدلا من آخر مفقود دون استشارة .. ويتحول دواؤه البديل الى داء ثقيل .. ثقيل ..

قال :

– وحتى البعض انه يتصرف كما لو كان هو نفسه المعالج .. فيهب الدواء دون وصفة من طبيب .. ودون معرفة بحالة المريض الصحية .. وتكون المأساة ..

قال :

– حبذا لو أتى الحل حازما جازما من أجل صيانة ارواح المعالجين ـ بفتح اللام ـ ومن اجل سمعة المعالجين بكسرها ـ ياحبذا ..

شبح المستقبل

« ٨٠ »

الناس يتكاثرون .. والغذاء يتناقص .. وتلك هى مشكلة « العالم مستقبلا » ...

واذا ما عرفنا ان سكان الكرة الارضية عام ألفين سيبلغون سبعة مليارات أدركنا خطورة ما سيواجه هذا العالم فى مستقبله .. من صعاب يصعب التنبؤ بنتائجها . وتأثيرها على مسار حياته .. واستقراره .. ان لم نقل واستمراره ..

ذلك ان شبح الجوع المدمر يعمل أنيابه فى شراسة ووحشية فى عالم اليوم والذى لم يتجاوز فى تعداده الاربعة الاف مليون .. فكيف هى الحال وقد قفز هذا الرقم الرهيب الى ما يشبه الضعف دون نمو متماثل او متقارب على الاقل مع تكاثره .. وتعاظم عدده ..

ولن تغيب عن البال تلك العبارة التى قالها مفكر افريقى عانت بلاده من فاقة الجوع والعوز وهو يشهد الالاف من مواطنيه يتساقطون جوعا .. قال :

- ارحم بنا ان نموت مرضا من ان نموت جوعا .. لأن عمر آلام المرض قصيرة وان كانت عسيرة .. الا ان آلام الجوع تبدو اكثر بشاعة .. واطول معاناة .. وامر مقتلا ..

ولكى يتجنب هذا العالم أقسى هزة فى تاريخه فان عليه أن يعمل عقله .. وأن يعمل فأسه ومحراثه من أجل انتزاع لقمته من فم الأرض .. مسخرا فى سبيل ذلك كل امكانياته المتاحة .. وقدراته المتوفرة ..

والا فانه سيواجه موقفا صعبا لايقوى على مجابهته .. وعلى الوقوف فى وجه اعصاره المدمر ..

واذا كان عالم اليوم يستنزف قدرا ضخما من موارده المادية من أجل التدمير فى ساحة الحرب .. فان عليه بنفس القدر توظيف تلك الامكانات من اجل البناء .. والنماء على مساحة الأرض من أجل الحب .. والحياة .. والسلام ..

« ٨١ »

فى مقدور اى واحد منا ان يقول « لا » .. ولكن ليس فى مقدوره ان يفرض على الآخرين قبول ماينفرد به .. ولا الاذعان لما يرفض ..

واذا كان الرفض سمة من سمات هذا العصر .. بدأت تنسج خيوطها فى تصرفات البعض وتلوح براية التحدى .. والانفراد فى التصرف ..

واذا كان الرفض خيارا بدأ البعض يأخذ به لاظهار مواقفـه .. ولابراز صوته كوجه جديد يتخذ مسارا مغايرا للغير .. لمجرد الاشارة اليه كظاهرة جديدة فى دنيا التعامل مع الأحداث .. وكصوت جديد .. يرسم على صفحات سجله كلمات لم تسمع من قبل .. وعبارات لم تكتب من قبل .. وصفحات لم تنشر من قبل .. فان هذا الخيار سوف يرسب فى دائرة الاختبار بمجرد طرحه على مشرحة التحليل اذا ماكانت دوافعـه مجرد امتـطاء لموجـة الشهرة .. وموجة الشهرة الذاتية من اجل البروز .. والانبهار ..

إن الرفض لمسار التاريخ العقلانى .. والتفرد بمسار انفرادى شهوانى حتى ولو باركه .. وشاركه الناس لفترة من زمن .. خداعا به .. وانخداعـا له .. لسوف يتعرى لحظة يقظة من ضمير .. فلا يجد من اسباب بقائه الا الذكريات التى تنهال عليه تندرا واشفاقا .. وربما لعنا ..

ولكى لا نقول « لا » وقد اجمع العقلانيون على « نعم » .. فـان أسلوب التروى ومنطق الضمير يجب ان يكون منطلقنا للتعامل مع الأحداث .. ومع سير حركتها .. ومع سير منهجها .. وسلوكها ..

ذلك ان قاموس التاريخ حدد لنا وبوضوح كيف يكون الرفض فى بعض مواقفه انتصارا للحق .. وكيف تكون الاستجابة فى بعض مواقفها تمردا على الواقع ..

ونلقى كلمة « لا » صالحة فى مكانها .. وتبقى كلمة « نعم » ايضا صالحة فى مكانها .. حين تصدران عن وعى مقتدر وشجاع .

ماهان تبارك

« ٨٢ »

« **ماهان تبارك** » .

هكذا يقول المثل الشعبى .. وهكذا يحلو لى أن أقول .. رغم إدراكى بأنه لا أحد يقرأ ما أقول .. وإن قرأ فلا احد يستجيب ..

وحكاية الزواج .. ومظاهره فى البذخ .. والانفاق .. والاسراف أمر تجاوز حدود التقدير .. وتعدى حدود التصور .. وراح يطرح تساؤلا عريضا ضخما ..

إلى متى ؟؟! وإلى أين ؟؟!..

قبل اعوام عشرة .. كان مهر الزواج فى حدود العشرة الآف .. يضاف إليها عشرة أخرى .. وصرخنا مع من صرخ .. واستغثنا مع من استغاث .. ولا شيء كسبنا من صراخنا واستغاثتنا ، إلا الاندفاع بشكل جنونى محموم إلى أرقام خيالية تدفع مهرا .. وحلية .. وولائم .. وليالى أفراح مقمرة وعامرة ممتدة حتى الصباح .

وترحمنا مع من ترحم على ما كنا بكينا منه بالأمس .. ولسان حالنا يقول :

رب يوم بكيت فيه فلما
صرت فى غيره بكيت عليه

والآن .. ما الحيلة .. وما الحل ؟!..

ليس كل منا قادرا على ان يركب موجة المضاربة فى اسواق البورصة الزواجية .. بل ليس كل منا قادرا على ان يسمح لنفسه بركوب هذه الموجة فيما لو قدر .. واستطاع مادة ..

والضحايا كثيرون ..

الضحايا الذين خسروا مالا .. ولم يحققوا املا فى مجال التجربة بعد ان خسروا والضحايا الذين اقعدهم عجزهم المادى عن تحقيق الأمل .. فما يقدرون ..

ولا شيء يبقى الا التساؤل من جديد .. ماالحيلة ..؟! وما الحل ؟!! والى متى ؟!! والى أين ؟!..

كلاهما فى موقف متماثل

« ٨٣ »

زميلان فى الدراسة الجامعية .. كل واحد منهما ينتمى الى بلد عربى .. جرى بينهما هذا الحوار الهادىء ..

قال الأول للثانى :

– لقد قسوتم فى حقنا .. بمقاطعتكم لمؤلفات فلان .. وفلان .. ولمصنفات فلان .. وفلان .. ان الفكر يجب ان يكون بمنأى عن الصراع السياسى .. عن المقاطعة ..

أجابه زميله .. فى هدوء

– هؤلاء كانت لهم مواقف مرتدة عن مسار أمتهم .. وتاريخهم .. بل اكثر من هذا فقد أقاموا جسورا مع عدونا المشترك .. ومن واجبنا أن نطبق فى حقهم ما أقمناه على عدونا من اجراءات ..

وكان رد زميله ..

– ولكنه الفكر .. خارج اطار الاشخاص .. يجب ان يكون تعاملنا معه مميزا .. متميزا .. بعيدا عن الاحباط والتشنج العاطفى ..

وبابتسامة عريضة واعية كان رد زميله :

– ليكن هذا .. ولكن لقد بدأتم أنتم مثل هذا الاجراء من شاعر عربى كان له رأى فيكم قاله .. فاحكمتم على شعرده الحصار .. والوأد .. ومنعتم جميع الأغنيات التى كانت من كلماته ..

وقال زميله ..

لا أعرف شيئا عن هذا ..

وكان الرد ..

– أننى اتحدى أن أسمع أغنية (قارئة الفنجان) فى اذاعتكم .. أو حتى أن أجدها فى محلات توزيع أشرطة الكاسيت .. أليس هذا نفسه احباطا .. وتشنجا .. كما تسميه .. وصمت .. وانتهى الحوار ..

بين من يصدق .. ومن يختلق

« ٨٤ »

خيط رفيع يفصل بين من يصدق الحديث .. وبين من يختلق الحديث ويكذبه ..

صادق الحديث يستدل بشواهد محسوسة .. وملموسة تملك ان تعاينها .. وان تعينها .. تملك ان تقف معها فى استشهاد لما جاء على لسانها .. وتملك هى ذاتها ان تسند القول اذا كان حقيقة .. وان تحبط القول وتكشفه اذا كان تقولا ..

أما كاذب الحديث .. ومفتريه .. فان يصنع من نسج خياله المريض أوهاما يطرحها على الآخرين كتاريخ .. وكحياة .. وكبطولات .. وكمواقف .. ويعتمد فى كل هذه الخيالات المريضة .. والاوهام الكاذبة الى شهود لا وجود لمكانهم فى دنيا الناس .. لأنهم قد فارقوا الحياة .. وماتوا .

وحين يستدلك السماع الى متقول او متحدث يلوك لسانه وهو يتحدث عن نفسه وعن وقفاته .. وعن بطولاته .. منتزعا شهوده من موتى وراحلين فاعلم انه كاذب .. ويكفيك كشفا لغطاء الكاذبين ان لا تسمع فى احاديثهم .. وفى رواياتهم التى يروونها .. الا تلك العبارة المحددة .. المكرورة .. والمشهورة .

– قلت له الله يرحمه .. وقال لى الله يرحمه ..

ولو كان شاهدا حيا لما كان قال .. ولما كان تحدث فنسب .. وكذب .. ام وقد مات الشاهد فان كل شىء يصدق قوله .. حتى ولو كان بعيد التصور .. والتصديق ..

ان شاهد الصدق ان يكون شهودنا يملكون السماع لما ينسب عنهم .. واليهم فيتحدثون .. ينفون او يثبتون ..

وحين لا يكون لادعياء الحديث من شهود فى تقولاتهم الا الموتى .. فان رصيدهم من الصدق .. رصيد غيرهم من التصديق يبقى امرا مشكوكا فيه .. بل غير وارد لان حبل الكذب قصير .. ومفضوح .. وميت مادام كل شهوده من الموتى ..

الروتين القاتل

« ٨٥ »

الروتين القاتل المميت اعطى لنا بعض الحكايات والتى تكاد تتحول الى مسليات هزلية ضاحكة باكية .. من بين تلك الحكايات قصة جرت فى بلد عربى شقيق .. القصة تقول ..

ان امين صندوق شركة من الشركات صرف مبلغا زهيدا من المال لاحد الموظفين بطريق الخطأ زيادة عن مرتبه العادى .. وليكن المبلغ خمسة جنيهات مثلا .. واثناء الجرد وبعد اكتشاف النقص بدأ التحقيق .. ثم بدأت المحاكمات من اجل نقص الخمسة جنيهات..المحاكمة استغرقت ست جلسات والجلسات الست استغرقت خمسة شهور كاملة،والقضية التهمت من الاوراق ما قيمته اثنا عشر جنيها فقط لا غير ..

يقول احد قضاة المحكمة بعد اصدار الحكم .

ان الخمسة جنيهات التى شغلت بفقدها القضاء .. والادعاء .. والمحامين .. وخمسة شهور كلفت مايعادل خمسمائة جنيه اذا ما احتسبنا مرتبات قضاة المحكمة .. والاجور ونفقات التسجيل .. والرصد لها ..

وبماذا انتهت الحكاية ..؟

لقد اتضح بعد التحقيق .. ان الموظف الذى تقاضى هذا المبلغ الزهيد اخذه ظنا منه انه مكافأة له .. على نشاطه واخلاصه فى عمله ..

اما الحكم فقد صدر كالتالى ..

– يطالب امين الصندوق باسترداد المبلغ الناقص .. وايداعه الخزينة ..

والمهم فى الامر .. هذا المشوار الطويل من المقاضاة .. وهذا الوقت الضائع الكبير من اجل استرداد مبلغ يمكن ان يرد فى بضع دقائق .. او بضع ساعات .. وكفى الله المؤمنين القتال ..

هذه الحكاية تذكرنا كثيرا بحكاية طابع ينقص .. او يسقط من احدى المعاملات .. يجر الى بحث طويل .. ومكاتبات اطول من اجل استكماله .. وحين يستكمل يكون الوقت قد فات وصاحبها قد مات .. وضاقت به الحياة .. ولكنه الروتين ..

القناعة كنز

« ٨٦ »

قال .. وكان يتحدث عن نفسه ..

– لو أننى أحصيت كل ما املك من مال منقول وغير منقول .. وأضفت إليه ضعفه لما تساوى ذلك مع الزكاة المستحقة فى مال فلان .. ومع هذا فأنا أسعد منه حالا .. وأريح بالا .. وأربح مالا .. قال :

– هذا أنا .. اننى أطعم أفضل مما يطعمون .. وألبس كما يلبسون .. وأقطن كما يقطنون .. ومع هذا فان لدى القدرة على ان افكر فى هدوء .. وان اتعامل مع اولادى فى صفاء ذهن لا تقتله ارهاصات تفكيرهم المشتت .. الموبوء ..

قال :

– إننى أعيش يومى كأمسى .. وكما خططت لغدى .. أعيشه وأنا أعد ساعاته وأحصيها فى ثبات .. وهدوء .. لا تحكمنى صرعة القلق .. ولا نوبات التشنج .. ولا أفكار الهواجس القاتلة لما سيأتى ..

قال :

– حين أنام أستغرق فى أحلامى كما لو كنت فى صحوى مشدودا الى خطاى الواعية الثابتة دون اندفاع .. ودون تدافع الى ما يؤذى الحس .. ويجرح الوجدان .. أما هم فانهم فى يقظتهم .. وفى أحلامهم منزعجون .. ومزعجون .. ولكأن أشباح المجهول تطاردهم .. وتغرس أنيابها فى محصلتهم .. وفى حصيلتهم .. قال :

– بالكفاية الواعية وحدها أعيش .. أما هم .. فلا كفاية فى تقديرهم .. ولا اكتفاء فى أقدارهم .. إنهم أشبه بالآلة التى تتحرك .. فتحصد .. وتحصد دون حصاد ..

عربات الموت المجنونة .. متى تتوقف ..؟!

مع كل يوم اكثر من فاجعة .. واكثر من ضحية .. واكثر من مفجوعين .. والسبب الاستهتار الصارخ بأرواح الآخرين .. وغياب الجزاء الرادع الذى يعيد إلى قائد السيارة صوابه .. ومراجعة حساباته .. وإذا كانت ظاهرة الموت بحوادث السيارات ظاهرة شمولية تكاد تمتد عبر ساحات عالمنا بأسره .. إلا أنها لدينا ظاهرة أكثر ألما .. وأكثر مدعاة للتساؤل عن أسبابها .. ومسبباتها ..

ونكاد مع لحظة تفكير نضع اصابعنا على مبضع الجرح مدركين للاسباب والمسببات .. ولعل اكثرها .. واكبرها اندفاع الكثيرين من شبابنا الصغار ممن يملكون ترخيصا بالقيادة جاءت اليهم عبر النوافذ المغلقة – لا عبر الابواب المفتوحة – اندفاعهم فى هوس السباق بحماس المراهقة دون رصد او وعى لمخاطره .. ومنزلقاته .

وكما يوجد بين شبابنا الصغار .. يوجد ايضا من يمسكون مقود السيارة بنصف وعى فما يبصرون أحمارا امامهم .. ؟ ام جدارا .. ؟ ام مسمارا . ؟

وددت لو أن مراكز مراقبة ثابتة انتظمت شوارعنا .. ومسالكنا .. وطرقاتنا داخل المدن وخارجها .. وفرضت ما يشبه الحصار والحصر لكل المخالفات .. واحكمت جزاءاتها فى صرامة على المخالفين ايا كانوا .. وايا كان شفيعهم ..

وددت ايضا لو كانت شهادة القيادة كشهادة الدراسة لا تمنح وتعطى الا بعد امتحان عسير تتوفر فيه القدرة القيادية .. والقدرة السلوكية والانضباط العقلانى ..

وحتى على الاقل تخفف من ضحايا العربات المجنونة ..وتجفف من دموع المفجوعين ..

حين تكون القسوة رحمة

« ٨٨ »

قال :

« إنني أحيانا أقسو على من أرحم .. حين يظلم لكى لا يظلم »

قال :

« إنها فلذة من كبدى تلك التى أوسعتها نهرا .. واذقتها ضربا وقد عدت يدها على شغالة مسكينة تعمل فى بيتها دون ذنب .. الا أنها الرغبة فى التحكم وإظهار القدرة على السيطرة .. وفرض الارادة .. لقد دخلت مطبخ الدار ذات مرة .. والفيت الشغالة التى تكبر ابنتى ببضعة أعوام تبكى .. وتشتكى ..

– ياعمى لقد ضربتنى دون سبب ..

وابصرت دموعها تخترق أعماقى مستنجدة صارخة .. إنها ذليلة والذليل لا يقوى على المقارعة والتحدى .. إنه لا يملك إلا دموعه .. ودموعه وحدها ..

ولم أتمالك نفسى لحظتها .. لقد ركب رأسى سلطان القصاص وشيطان التأثر .. وكان لا بد من أن أسيل دموع ابنتى انتصارا لدموع اسالتها وحتى لا تكون سببا مرة ثانية فى اسالة دموع جديدة ..

لقد قهرت حنان الأبوة والشفقة فى أعز ما أملك نجدة لانسان آخر لا يدنو منه مكانة .. ولا مقاما .. ولكن .. منطق العدل والعقل يتعدى .. ويتجاوز حدود القرابة .. والبعد .. حدود السيد والمسود ..

قال :

لقد اغرورقت عيناى دمعا .. لدموع طفلتى وهى تنتحب .. ولكن عزائى فى كل هذا أن الدموع منى ومنها سالت من أجل أن تجف دموع باكية اخرى هى « الشغالة » التى لا تعرف غير التألم .. وغير التظلم ..

أقسى وصفة يعطيها طبيب لمريض .. ان يقول له :

– لا تغضب .. لا تزعل ..

ذلك أنها وصفة فوق طاقته .. واحتماله .. بل انها تمثل صداما مروعا بين ما يقدر عليه .. وما يعجز عنه ..

من الممكن للمريض أن يصوم عن أكل ما .. وأن يمتنع عن شراب ما .. وأن يتناول جرعات مرة يجفل لها ريقه ..

من الممكن له أن يتقبل كل الوصفات حتى ولو كان لا يستسيغها .. ولا يستطيب لها طعما أو رائحة .. إلا أنه دون شك لا يقوى على الخروج عن دائرة حياته .. وعن فلك معاناته .. لا يستطيع الهروب عن انفعالات يومه وغده مهما كانت خطورة هذه المواجهة أو المجابهة .. ذلك ان عمر الانسان شاء أم أبى عرضة للهزات المعيشية .. والعاطفية .. والنفسية التى تتوالد مع كل خطوة يخطوها .. ومع كل خطرة من فكر يفكرها ..

من هنا فان مايعطى للمريض من وصفات فى هذا الاطار لا تعدو اكثر من اشارة خطر حمراء فى طريق لابد من سلوكه واجتيازه رغم كل مواقفه ووقفاته ..

ولكى لا نغضب .. ولا نزعل يجب ان ننزع بؤرة الاحساس من رؤوسنا .. ولكى ننتزع هذه البؤرة يجب ان نتحول الى جماد لا يحس .. وهذا يعنى انتزاع مشاعر الانسان من اعماقه ..

والغضب وجه من عملة الحياة التى نتداولها .. ونشتريها .. ونشترى بها .. ونبيعها طائعين .. ومكرهين رغم كل المحاذير .. وكل الوصفات ..

القمر انكسر

« ٩٠ »

« القمر انكسر » ..

اضافة جيدة الى قاموس كلمات الاطفال .. اضافة غير مفهومة .. بل وربما غير مهضومة وان كانت لا تخلو من بعد فلسفى فى معناها المستتر ..

أما كيف ..؟ وكيف جاءت ؟ .. على لسان الطفل الصغير اشرت الى طفلى بسبابتى – هذا هو القمر ياوليد ..

وعرف انه القمر ..

ومرت ليال .. وعاود الصغير تطلعه الى السماء ليشهد قمره المعتاد فماذا وجد .. لقد وجد هلالا فى حجم نصف رغيف .. وبعبارته السفسطائية الساذجة قال : « القمر انكسر » .. هكذا فهم ..

وليته درى ان القمر لا ينكسر .. وان الذى ينكسر ويرتد هى نظرتنا اليه .. وعدم قدرتنا على استيعاب مساحته ..

هكذا نحن ايضا .. فى حكمنا على الاشياء .. نبخس اشياء كثيرة حقها لاننا لا نفهمها .. لاننا لا ندركها .. لاننا اصغر من ان تستغرقها قدراتنا .. وتصوراتنا .. ابدا ياطفلى الصغير .. ان القمر لا ينكسر .. وانما حجبته عن ابصارنا غلالة سوداء طارئة ما تلبث ان تزول حتى يسترد وجهه المكتمل الصبوح .. فقط .. اننا نستعجل الاحكام ونحن صغار .. حتى ونحن كبار .. ونقع فى خطأ التقدير .. والتصور ..

ولك عذرك صغيرا حين حكمت على القمر بالكسر .. اما نحن فلا احد يعذرنا حين لانعمق الرؤية . ولا نتعمق الاحكام ...

ذلة الزمن

« ٩١ »

تماما كما يكون الطائر المهيض الجناح .. المكسور الجناح .. تكون الام فى خريف عمرها .. ويكون الاب فى نهايات عمره .. يشعر بذلة الزمن .. وبقهر الأيام .. وبسطوة الأعوام .. وبانحسار البساط من تحت قدميه ..

إنه يشعر أنه بوحدته فى حاجة إلى من يوقظ روح عمره بالوفاء .. وبالصفاء .. وبالتحمل لحساسيته المفرطة فى تقبل أو رفض ما حوله .. وليس غير الابناء اولئك الذين يمكن لهم تعويض آبائهم ما فاتهم وما هم فى حاجة ماسة اليه من حنووحنان قد تكون الأم .. وقد يكون الأب .. بحكم تراكم أعوام العمر على درجة من الاجهاد .. والعصبية .. والتوتر .. تدفع بهما فى احيان كثيرة الى قول مالا يقال .. بل والى فعل ما لا يشتهى الا ان الرد على مثل هذه التصرفات يجب ان يكون عاقلا .. ومقبول الحسابات .. بل .. ويجب ان يكون ايضا ساقط الجزاءات فى سجل التعامل .. واذا كانت كلمة « اف » خطأ كبيرا . وغلطة فى حسابات مخاطبة الوالدين .. وهما لم يبلغا من العمر عتيا .. فان كلمة « اف » تبقى عصيانا مرفوضوا فادح الثمن فى مرحلة هما تبقى عصيانا مرفوضا فادح الثمن فى مرحلة هما فيها احوج الى لمسة الاحسان .. والى دفعة الحنان ..

ولن تكون السعادة لاحدنا مهما اشتملت عناصرها .. واكتملت مقدماتها مالم يكن لبرنا لابوينا الرصيد الاوفر منها .. ورغم انف امرىء ادرك ابويه .. او احدهما .. ولم يدخلاه الجنة .. بما اعطياه ومنحاه من دين .. بفتح الدال .. لهما عليه افترضه الدين الا وهو البر الا وهو البر ..

الجريمة مشكلة جميع المجتمعات

« ٩٣ »

الجريمة مشكلة جميع المجتمعات ..

لا يكاد يخلو مجتمع من اوكار للجريمة تعشش فيه .. وتلد .. وتصدر .. ولعل اكبر بؤر الجريمة واخطرها فتكا .. وهتكا تلك التى تتمخض عن الصدام الاجتماعى بين المتخم .. والمعوز .. والتى تفرز سموم الحقد والكراهية .. والاستعداء .. بل وتدفع الى ماهو اخطر حيث يراق الدم على مذبح الصراع المستشرى .. واذا كانت الجريمة مرضا بكل المعايير والمقاييس .. فانها لا تولد من فراغ .. وانما نتيجة عوامل واسباب لعل اخطرها واكثرها تدميرا العوز والفقر فى مجتمع واحد واجد ..

ان الفقر وحده .. وما قد يواكبه من جهل .. ومرض .. واستشعار بالمهانة والذل فى نفس صاحبه يدفع به فى معظم الاحيان الى خطى انتحارية تركب مركب الخطيئة والخطأ .. لا مبالية بما حولها .. وكأنما استشعارها بالدون يوقظ فى اعماقها الصدام لكل شيء .. حتى ذلك الذى لا يتحمل الصدام .. ولا يتقبله .. ان اخصب المجتمعات البشرية .. وابعدها عن الجريمة هى تلك التى تحكمها ضوابط العدل .. والعقل .. بحيث لا تهتز صورتها بالتناقضات المريعة .. وبحيث لا يبدو فى افقها شبح الموت جوعا .. وشبح الموت تخمة ..

ولو اننا كمسلمين انصفنا مالنا من مالنا تطهيرا .. وعدالة فى التوزيع لحق الله فيه لما كان فينا محتاج .. ولما كان سائل او محروم ..

وحين تختفى صورة الحرمان من المجتمع تشرق على الدنيا بارقة الحب والامان .. وتنتهى الجريمة .. الا فيما ندر ..

وعن الجريمة .. وما تجر اليه من عار .. ودمار نقول :

« فتش عن الفقر ».. ولا شيء اخطر على سلوكيات البشر من مؤشرات ومؤثرات الفقر .. انه الاخطبوط بكل انيابه .. وسبابه .. وحرابه .. انها الخراب ..

المركب الذى لا خيار فيه

«٩٣»

قد تضطرك ظروفك يوما ما الى ان تركب مركبا لا تريده لانه لاخيار لك فيه .. ولانه « افتراضا » فرض عليك بمشيئة غيرك ..

قد يكون عملك مسخرا رغم ادراكك انه ليس عملك ..

قد يكون مالك مهدرا رغم ادراكك ان ماتنفقه لم يكن منك مؤشر كرم ولا سخاء .. وانما وليد مناسبة قاهرة لا تملك لها ردا .. ولا صدا .. ولا حتى مجرد استئذان .. وقد .. وقد .

كل هذا شىء وارد فى حياتنا .. وبحكم مانلمسه من سيطرة الواقع على مواقع الانسان وعلى تصرفاته ..

واذا كان هذا هو الامر .. فما العمل ؟؟!! وماالحل ؟!!

يقول المثل :

- اذا كان زادك مأكول فرحب به ..

وهذا يعني ان الانسان لا يمكن ان يتحمل خسارتين .. خسارة ما ينفق .. وخسارة الفضل .. بما ينفق .

وافطن الناس هو من يستثمر كل مواقف حياته .. حتى تلك المواقف التى لا ارادة له فيها .. يستثمرها رصدا لرصيده .. حتى لكأنها جاءت وليدة رغبته واختياره ..

ومهما كان تباين النظرات .. وتصويبها .. فان جهد الانسان الذى يستنزفه عملا .. او مالا .. لابد وان يكون اضافة له .. حتى ولو كان ذلك الاستنزاف قسريا .. وقهريا .. ملزما .. لا مهرب منه ..

ومادام هو ذلك الخاسر دفعا .. فليكن هو الرابح على الاقل كسبا برضاه الظاهرى والا .. خسر الحالتين .. ولم يربح شيئا .

« ٩٤ »

النظارة السوداء .. اننى لا احبها ..

انها تلون الحياة .. وتصبغها بلون قاتم داكن ..

انها تحيل الصفاء الى مايشبه الجفاء ..

انها تحجب الابصار فى عين صاحبها الى درجة القتل ..

انها تنثر من حوله خيوط الوهم .. وخطوط الغم ..

انها تتلصص كاللص تسرق ماحولها .. وتشوهه فى ظلم مريع .. اننى لا اطيقها .. منظارا .. ولا معيارا للرؤية ..

اننى اخشاها حين اراها .. فالذين يخشون الضياء يجب ان يحذر منهم المبصرون .. المتفائلون ..

وددت لو ان مطرقة حديدية ازاحت كل قناع يحجب الحقيقة .. ويغلفها ويلونها ..

ماحلى العينين دون حجاب .. حتى ولو كانت لهما نـارية الاحتـراق .. والاختراق ..

وحتى لا نطفىء نور الشمس .. لو استطعنا .. وحتى لا نجفـل خاطرة المتفائلين يجب ان ننزع عن عيوننا كل منظار اسود .. متشائم ..

حتى نرى الاشياء كما هى .. دون تضخيم .. ودون تقزيم ..

دمعة المحبة ماذا تعنى ؟!

« ٩٥ »

دمعة المحبة .. أو دموع الأحبة ماذا تعنى ؟!

انها قطرات مطر تتساقط من سحابة العين لتبل اوار الخدود العطشى ولتروى صحراء الجسد الظامئة كي تورق الاشجار .. وكى تورد الإزهار .. ان دمعة الحب او المحب قطرة ري ساخنة تجود بها العين فى استجابة رحيمة كريمة لاصداء القلب .. ولنبض المشاعر .. ولخلجات النفس .. والويل لحب جامد هامد لا غيم له .. ولا غيث فيه ..

وحيث يكون اغداق الدمعة .. واغراقها .. تأتى الاعواد محملة بالسنابل وتأتى السنابل مثقلة بالثمار .. والازهار ..

بكل ثمار وازهار النمو

وبكل ثمار وازهار السمو ..

وبكل مقومات التكافل .. والتكامل فى دنيا المحبين .

ذلك انه لا حب دون استشعار .. ولا استشعار دون معاناة ..

ولا معاناة دون صدى .. ولا صدى دون دمعة هى الاثر بالنسبة اليه دمعة ترسم بمجراها جادة الحب .. بكل تشعباتها وروافدها .. ترصد حركتها المنسابة .. وتنشطها وتذكيها .. وتزكيها ..

جادة الحب الشاكر .. بدموعه ..

جادة الحب الغافر .. بدموعه ..

جادة الحب العاتب .. بدموعه ..

جادة الحب المستذكر .. بدموعه ..

جادة الحب الظالم .. بدموعه ..

جادة الحب الهائم .. بدموعه ..

حيث تلتقى جميعا بالنهر العظيم .. نهر دموع الحب والمحب .. وبشلالاته المتدفقة .. والمترفقة وهى تعبر فى وفاء ارضية الخدين الى قلبى الحبيب ..

صدق .. أو لا تصدق

« ٩٦ »

صدق .. أو لا تصدق ..

لو قيل لك ان « القمل » تحول الى بضاعة غالية الثمن تباع فى السوق السوداء لما صدقت ..

ولكنها الحقيقة .. التى ابرزها خبر نشرته صحيفة عالمية منذ وقت قريب ..

الخبر يقول :

ان احدهم فى بروكسل عاصمة بلجيكا اتخذ من غابة شعر رأسه مزرعة قمل .. مثقلة بالسنابل المتحركة .. اما لماذا ؟! فلأن ادارات بعض المدارس سنت نظاما صحيا يعطى بموجبه كل طالب يحمل فى رأسه قملة او اكثر اجازة اسبوع لتطهير شعر رأسه .. وحتى لا ينقل العدوى لزملائه فى المدرسة ..

وكثيرون من الطلبة الاشقياء الصغار يبحثون عن سبيل للهرب والتسيب او الراحة خارج فصولهم .. وواجباتهم الدراسية .. وجاءتهم الفرصة ذهبية سانحة ..

ان ابتعادهم عن المدرسة لاسبوع يشبعون خلاله كسلهم ولهوهم لن يكلفهم اكثر من خمسين قرشا ثمنا لقملة واحدة يشترونها من بورصة القمل المثقلة والمتنقلة من حولهم .. يودعونها شعر رأسهم .. ثم تكون الاجازة ..

وهكذا تحولت غابة القمل الى كنز ثمين يبحث عنه الكثيرون ممن ضاقوا ذرعا بفصولهم ومدارسهم ..

ولست ادرى أيهم الأكثر « اثارة » ودفعا ورفعا لبورصة القمل أهى المدرسة التى أباحت الاجازة من أجل قملة أو أكثر ؟!

أم التلاميذ الذين وجدوا فى القملة ضالتهم المنشودة من أجل الهرب والاسترخاء الكسول ام انه صاحب مصنع القمل الذى اكتشف الكنز الثمين المهمل وراح يوزعه بسخاء وفى ذكاء او غباء ـ لا ادرى ـ ليقبض الثمن الغالى قبل ان تتسع دائرة المنافسة من حوله ؟!!

حين يغضب من كلمة « استاذ »

« ٩٧ »

كان « استاذا » ثم أصبح « شيخا » هكذا طابت له التسمية .. وهكذا تدرجت به الألقاب .. وقد تدرجت به مراتب وظيفته ..

عرف بـ « الشيخ » وبات ينادى بالشيخ فلان .. بعد ان كان يعرف لاعوام قليلة « بالاستاذ » والاستاذ فقط ...

انه يتمسك بـالاولى .. بعد ان طلق الثـانية .. واصبـح لا يطيقهـا لانه تجاوزها قيمة وقدرا .. وعرف عن قصته احد اصدقائه النابهين القدامى ممن يعـون معانى الالقـاب ومـدلولاتهـا .. وممن يعـون .. ويسمعـون « بضم الياء » ..

وذات صباح كان معه على لقاء فى مكتبه .. لقد تعمد ان يكسر زجاج فراقة الالقاب البراقة الزائفة .. قال له :

« صباح الخير ياأستاذ فلان » ..

كان يدرى انه لن يرتاح ألى تحية كهذه مادامت مقرونة بالاستاذية .. لا بالمشيخة .. قال له عبارته تلك .. وامعن فراسة فى تقاسيم وجهه ليشهد عليها مسوحا من الاحتجاج الصامت المعبر .. وهنا قال له :

لقد تعمدت ماقلت ايها الصديق لسبب بسيط هو ان الذى تهرب من ان يدعى به اكبر قدرا وقيمة من ذلك الذى تتشبث به .. عن وهم .. وعن سوء فهم ..

ان الاستاذية ايها الصديق اكبر لقب علمى يعطى لاكبر عالم .. انها تاج على رؤوس المفكرين والمبتكرين .. اما الشيخ فانها تعنى صفة لتلك البقايا من مراحل الشيخوخة .. والضعف .. والوهن ..

وأردف منتزعا له الدليل من قول الشاعر فى تعريفه للشيخ .. ومن يكون الشيخ ..

زعمتنى شيخا .. ولست بشيخ
انما الشيخ من يدب دبيبا

ثم انصرف .. بعد ان افرغ حصيلة .. رأيه فى محصلة الشيـخ .. او الأستاذ ايهما طاب له ان يدعى .. وان ينادى ..

دمعة حزن

« ٩٨ »

ان دمعة حزن ورثاء كافية لان تذرفها فى حق جاهـل مغرور .. ومعجب بنفسه .. ذلك ان درع الوقاية لا وجود له فى محصلته السلوكية .. ومن ثم فان ضوابط سلوكه منفلتة العقال .. مفقودة الاثر .. والتأثير الا ان الف دمعة حزن ورثاء لا تكفى لان تذرفها فى حق كاتب .. او شاعر .. او فنان يتباهى بنفسه .. ويزهو بما قدم ويشيد بما اعطى .. ويحل نفسه دون رأى الاخرين فى المقدمة .. كما لو كان معجزة .. وكما لو كان موهبة نادرة لا تتكرر ..

واشعر كما يشعر غيرى اننا نذرف الكثير من دموع الحزن والرثاء بين حين وأخر .. ونحن نلحظ بعض ارباب الفكر وهم يتحدثون فى اعجاب .. وزهو عن معطياتهم .. وقدراتهم .. وخصائصهم وآثارهم الفكرية التى اعطوها .. دون ان يتـركوا الحكم فى كـل ذلك لغيرهم ممن يـزنون الاشيـاء بميـزان التجرد .. والصراحة ..

وحتى لو استحق البعض كل الثناء والاعجاب فيما قـدم .. الا ان ذلك الثناء يجب ان لا يكون عاملا فى اذكاء النعرة الذاتية .. ولا حاملا الى فتح الثغرة الموصلة الى الخيلاء .. والتباهى .. والتحدث عن الذات ..

ان عنوان المفكر العظيم يطل من آفاق زهده وتواضعه .. وخجله .. فالفكر الخلاق يصنع فى وجدان المفكر ارضية من البساطة .. والزهد .. والبعد عن كل مايؤذى المشاعر ويحط من قدرها ..

وحتى لو كان العطاء عظيما .. فان حديث صاحبه عنه .. وعن نفسه .. فى اعجاب يحط من قدر ذلك العطاء .. ويحيـطه بساتـر ضبابى ينـال .. من صفائه .. ومن نقائه .. لان العجب حين ينطلق من النفس .. يتوارى معها اعجاب الآخرين .. مهما كانت الحصيلة ..

بدون هذا ويبتاع الحمار

« ٩٩ »

بدون هذا ويبتاع الحمار ياوليد ..

ويأبى التاريخ الا ان يعيد نفسه .. لتذكرنى بقصة ذلك الحيوان الأليف الذى اراد ان يكش الذبابة عن وجه صاحبه فهشم انفه .. وحطم حياته ..

لقد حاولت ان تكش الذبابة عن وجه الباب الزجاجي فكسرت الزجاج .. وليتك ابقيت على الذبابة دون كش او هش .. وابقيت على الزجاجة معها دون تحطيم وكسر ..

ولكن تأبى السذاجة الطفولية البريئة الا ان تتصرف وان تؤتى ثمارها العكسية دون عمد .. او قصد .. هكذا افهم ..

هـذا انت .. ولك العذر فمـا زلت طفلا صغيـرا صغيرا تفكـر بيدك .. وتتصـرف بهـا .. وتلوح بهـا متقبـلا .. او رافضـا .. فليسـامحـك الله ياصغيرى ..

اما نحن .. نحن الكبار .. نحن الاطفال الكبار .. فاننا فى احيان كثيرة نعالج الخطأ الصغير باكبر منه .. نعالج الخطأ الواحد بعدة اخطاء .. رغم ادراكنـا .. ورغم ان لنا عقـولا تملك التمييز لو انهـا فكرت .. وقـدرت .. وابصرت ..

لا عليك ياصغيرى .. فما لم تحطمه يدك الصغيرة .. سنحطمه نحن آجلا أم عاجلا .. ان كل شى فى دنيانا مآله الى التـداعى والتحطيم .. مـرده الى الكسر .. والى الجبر .. الا ان اشياء كثيرة لا يسهل جبرها .. بل يستحيل جبرها اذا كانت لها شفافية الزجاج الذى كسرت .. ومراوغة الذباب .. وعناد الذباب الذى هشيت وكشيت ..

لا عليك ياصغيرى .. فقد ألفنا الكسر اكثر مما ألفنا الجبـر .. وسيعاد الزجاج من جديـد فى انتظار جـولة قادمـة .. المهم ان لا تتمزق الاصـابع الصغيرة .. ان لا تخسر معركة الذبابة من جديد فتدفع الثمن وقد تصرفت فى عناد الصغار .. بل وفى عناد الكبار الصغار ايضا وهذا هو الاخطر ..

الدم المتجمد

« ١٠٠ »

كيف يريدون للدم العربى ان يتحرك عبر شرايين جسده الواحد اذا كانت منافذ طرق عروقه غير سالكة .. وغير أمنة ..

● الطريق بين دمشق وبين عمان وبغداد مغلق ..

● الطريق بين صنعاء وعدن وعر وتعترضه الكثير من المطبات والانحناءات ..

● الطريق بين طرابلس وجاراتها فى افريقيا خطر .. وشائك ..

● الطريق بين الجزائر والمغرب .. وبين موريتانيا والمغرب تقف فى منتصفه الاسلاك الشائكة ..

● الطريق بين عدن ومسقط لايخلو من ألغام ..

● الطريق الى لبنان مفروش بالقذائف .. والصواريخ .. واجساد الضحايا ..

● والطريق من القاهرة واليها مسدود .. مسدود .. مسدود ..

جسد واحد .. الا انه منهوك ممزق يتآكل على نفسه بمعاول خصامه وصدامه وبعوامل قيوده وسدوده بحيث لاتجد دفقة الدم عبر شريانه الطويل مجرى يوصلها الى الاطراف .. ويصلها بالتالى الى الاهداف ..

ويبقى دفق الحياة مجمدا متوقفا امام العقابيل والعقبات التى نزرعها على ارضية الجسد الواحد .. غير الموحد ينتظر الأذن له بالعبور ..

ويبقى الضعف سمة هذا الجسد مهما كان ضخما واسعا لانفصاله عن بعضه الى درجة القطيعة .. والفجيعة ..

تأبى العصى اذا اجتمعن تكسرا
واذا انفردن تكسرت أحادا

وهذا مانخشاه ان تنفرد عصينا .. ان ينفرد بها عدونا ليكسرها واحدة واحدة حتى أخر عصا فنخر على الأرض حين لانجد مانتكىء عليه ..

الظاهرة الصوتية .. أم الصمتية ؟

« ١٠١ »

هل صحيح انها ظاهرة صوتية كما أفرغ احد مفكرينا فى اصداره الضخم منذ سنوات ..؟!!

اذا كان بالايجاب .. فلماذا ؟!

واذا كان بالنفى ايضا فلماذا ؟!

القائلون به يرون أن واقعنا يبنى قصور احلامه وامجاده بالكلمات القاصرة ليس الا .. انه يتكلم .. ويتكلم .. الا انه لايتعلم .. ولايتألم لواقعه المزق .. المهين .. انه لايعمل .. وحين يعمل ففى تواضع لايرقى الى درجة الاشباع .. والاقناع ..

اما الرافضون له فيرون ظاهرته الصوتية افرازات للصدام المعتمل فى اعماقه .. انها اشبه ما تكون بصرخة الطفل لحظة مولده .. وقد استقبل عالما مجهولا مليئا بالصراعات .. والاختناقات .. والتناقضات ..

وسواء أكان القائلون به على حق .. وسواء أكان الرافضون له على حق أيضا .. فان فريقا ثالثا يرى أن الذى يتكلم كثيرا لايعطى كثيرا .. لأن جهده الكلامى الهلامى يمتص قدرا هائلا من طاقته ويفرغها من محتواها .. ولايبقى لدأبه الجاد الا القليل .. والقليل جدا .

والأفضل لدى هذا الفريق المحايد ان تتحول الظاهرة الصوتية الى ظاهرة صمتية . الا انها فاعلة خلاقة تطرح الأشياء دون دعاية او ادعاء ..

ومهما تباينت الآراء وتضاربت .. فان واقعنا يجب ان يأخذ مسارا اكثر جدية .. وأكثر جدة .. وأكثر تلمسا لحقائق التاريخ .. وحركة الانسان الفاعل .. القادر على العطاء .. والصنع ..

وكم نود أن نكون هكذا .. صامتين .. ولكن صادقين .. ومتحركين بكل قدراتنا على شد ماضينا بحاضرنا .. ومستقبلنا أيضا ..

« ١٠٢ »

لاتلعنوا الظلام .. ولكن اوقدوا الشموع ..

حكمة فيلسوف الصين العظيم كونفشيوس .. او مقولته التى اوجزها فى كلمات قصيرة بسيطة .. الا انها غير قاصرة ..

ومن خلال منظاره الفلسفى حدد للانسان مسلك الاقدام . وجادة الاقدام .. حتى فى أحلك ساعات حياته .. واكثرها جهدا .. ومشقة .. وعناء .. ولكى يصل الى غاياته .. ولكى يحقق انجازاته لابد له من أن يقدح زناد ارادته لتوقد الشمعة .. وليتعرف على أى درب سلك .. وأى هدف يتجه اليه ..

ان الشكوى مظهر انهزامى من مظاهر العجز .. يشل قدرة صاحبه على الحركة .. ويقتل داخل نفسه بؤرة طموحاته .. ويعرى كل انفعالاته الظاهرة والباطنة بل ان الشكوى اضافة جديدة للقهر الذاتى .. وللعجز الذاتى .. تزيد فى رقعة المرارة .. وتضاعف فى حجم الخسارة ..

ولكى يصنع الانسان له قدما على مساحة الوجود .. فان وجوده على هذه الرقعة يجب ان يكون مبصرا .. متحركا .. بائنا .. وواثقا .. ومحسوبا .. وقدرة الانسان على انماء حياته تتساوى مع قدرته على كبت ترهاته .. وافرازاتها المتبلدة المستوطنة فى اعماقه ..

ولعل أخطرها ان لايجد الطريق ولا الوسيلة الى اشعال شمعة .. وكان فى مقدوره ان يشعلها .. مكتفيا بأن يلعن الظلام .. وان يجعل من الظلام ستارا لضعفه المهين يصب عليه جام غضبه .. دون ان يفتح عينيه على درب المشاركة الواعية .. والمسؤولة .

حركة التبشير

« ١٠٣ »

فى العالم الثالث حيث موجة المجاعة البشعة .. تتحرك حركة التبشير .. والتنصير نشطة خطرة دون ان تلقى من يواجهها .. ويكتم انفاسها فى مهدها ..

وفى افريقيا المسلمة بالذات تتوافد الوفود ومعها الغذاء .. والكساء .. والمال لتدفع وتقبض الثمن فورا ..

والثمن الذى تقبضه لقاء ما تدفع زحزحة اولئك الجائعين عن معتقداتهم .. الى معتقدات اخرى فى سهولة ويسر .. ذلك ان الانسان مع من احسن اليه ..

ولا ادرى هل التفتت الجهات التى يعنيها امر المحافظة على معتقدات المسلمين الى هذا الخطر الداهم الجديد .. وعملت شيئا من اجل احباط تلك الخطوات الجهنمية الذكية التى تلعب لعبتها الشرسة فى ميدان يكاد يكون وقفا عليها وحدها .. نحن مطالبون قبل غيرنا بأن نتحرك فى سرعة الى وقف هذا المد من التبشير .. والتنصير .. بان نسد بما نملك .. ونحن نملك الكثير والكثير - مطالبون بان نسد الثغرات التى يتسلل من خلالها لصوص المذاهب .. بان نشعر اخواننا من الجياع فى العالم النامى بان معتقداتنا التى توحدنا بهم لاتسمح بان ندعهم فريسة الحاجة .. وفريسة اللجاجة .. وضحية الاستدراج الخطير الى ماهو اخطر .. ان دورا مسؤولا واعيا وسريعا ينتظرنا للتحرك من اجل صد المد التبشيرى الذى اخذ يتفاعل ويتسع ويؤتى حصاده ..

ان ما سنفعله ليس حسنة منا .. انه واجب يدفعنا اليه معتقدنا لحماية اخوة لنا هم بين خيارين احلاهما مر ..

خيار الموت جوعا ..

او خيار الحياة خروجا عن ما يؤمنون به .. وراء خدعة الحسنة السيئة .. القاتلة وفى كلا الخيارين لوحصلا نحن الخاسرون .. ونحن المسؤولون ..

أغنيات للحب .. وللجب

« ١٠٤ »

« ياسيرة الحب ياأحلى كلام » و« بحبك انت » و« حب ايه » و« احبك فى الصيف » و« شكل تانى حبك انت » و« الحب كده » و« ياحبيبا زرت يوما ايكه » و« حبينا بعضنا » و« ماتحبنيش بالشكل دد » و« ياأسمر كل الناس بتحبك » و« حبيبى لاتسل قلبى علام » نماذج معقولة ومقبولة لما يجب ان تكون عليه اغنيات الحب بفرحه .. وبجرحه .. باشواقه .. واشواكه .. بوصاله .. وانفصاله .. بخلجاته وسكناته ..

الحب هو الحياة .. نبضها الدافق .. واغانيه بكل ما تحمل اساليب طرح لمشاعر المحبين .. المحظوظين منهم .. والمرفوضين منهم .. وفق دائرة يحكمها الانضباط .. ويمليها الذوق .. اما ان تتسع دائرة هذا الحب الى ما هو مسف وهابط فى تعبيره .. وفى تصويره وان نجد فيما يطلبه المستمعون .. ومالايطلبه المستمعون عبر مايذاع ومايباع الكثير الكثير من الاغنيات الرديئة فأمر له خطورته .. بل هو مؤشر لانحدار سريع فى الأذواق .. وانهيار مريع ينم عن سقطة خطيرة .. ومثيرة فى محصلة الاذن والايذان .. الأمم تقاس بسمو فنونها .. واذا ماكانت تلك الفنون ترقى بالذوق العام .. وتوجهه .. وتشده الى أفاق الجمال سيرة وصورة واطارا ..

والاغنية وجه من وجوه الفن .. ورافد من روافده .. المؤثرة على سلوك الناس وطباعهم .. وحين يصاب جدار الفن بشرخ فى بنيته .. وتتسرب اليه الرواكد الآسنة من حوله فانه يتحول الى بؤرة مرض اجتماعى سماعى ينقل الجراثيم .. والعدوى .. ويصيب السامع شاء ام أبى برذاذه المسموم المحموم .. الموبوء ..

وحتى نبعد السماع عن « السح الدح أمبو » واخواتها ..

وحتى نبعد السامع عن « ياللى فوق طلوا على اللى تحت » وما فى مستواها فان علينا ان نفرض حصارا منيعا من الرقابة على الاغنيات الهابطة .. ان نصادرها .. وان لانبيح لها فرصة الاجازة والظهور ..

ان فى اغنياتنا عن الحب الكثير .. مما نحب .. لأن لها خصائص الأغنية المميزة .. المعبرة .. الا أن فى اغنياتنا عن الحب الأكثر مما لانحب لأنها تفتقر الى الذوق .. والتقبل .. بل ان البعض منها يصل الى دعوة مكشوفة للانحراف .. والانجراف .. والاثارة المرفوضة وهذا مايجب ان نعيه .. ونتلافاه .. قبل ان يسبق السيف العذل .. وقبل ان تغرق السفينة بمن عليها فى طوفان الـ[illegible]



ومن الحب ماقتل

« ١٠٥ »

« ومن الحب ماقتل »

هكذا قالوا فى الماضى ..

ومن الحبحب ماقتل

وهو الارخص من الحب .. هكذا نقول نحن ايضا فى الحاضر ..

والقصة ليست تخيلا .. ولاافتراضا من باب المرادفة بين عبارتين متماثلتين .. وانما هى واقع لمأساة انسان جرت احداثها وفصولها منذ اسابيع قليلة فى عاصمة بلد عربى كما نشرتها صفحة الحوادث لاكثر من صحيفة ..

القصة لمواطن عادى اشترى بطيخة بما يقارب الثمانين قرشا .. وذهب بها الى اولاده بمثابة هدية او فاكهة الاسبوع .. وما ان فتحها بسكين مطبخه حتى وجدها بيضاء وعاد من حيث اتى الى بائع البطيخ ليستبدلها .. او ليسترد ثمنها .. الا ان البائع رفض استرجاعها .. واستبدالها ..

وجملة من هذا .. واخرى من ذاك انتهت بمأساة .. فقد استل بائع البطيخ سكينه وفتح بها بطن المشترى كما لو كان بطيخة .. وتركه ممددا مضرجا بدمه بين الحياة والموت ...

قد لايرى القارىء فى القصة ما يثير .. الا ان ما اردت الوصول اليه هو ان حياة الانسان المعاصر باتت رخيصة لاتكاد تساوى ثمن بطيخة تنوزع عليها .. ونصيحتى لكل من اشترى بطيخا .. او لحما ان لايستعيده حتى ولو كان رديئا .. معيبا لسبب بسيط هو ان اعصاب حملة السكاكين او بعضهم على الاقل تتراقص مسنونة مجنونة لاتقبل الاثارة .. ولا الجدل .. حتى ولو كان الخطأ خطأهم ..

ولسبب بسيط اخر هو ان تناول لحمة مغشوشة .. او بطيخة قرعاء .. كتلك التى اشترى صاحبنا اجذب واحب الى النفس من وأد النفس .. وارهاق الشهية .. ولا ازهاق الروح .. والمنية .. ولاتخاصم من اذا قال فعل .. أليس كذلك ..؟!!

نسرف حين نصرف

« ١٠٦ »

نحن نسرف كثيرا حين نصرف ..

لاشيء في حسابنا .. وتقديرنا الا ما نشتره .. ونبعثره دون روية .. وبلا تعقل ..

● ولائمنا مجنونة محمومة .. انها تشق الارض لتدفن الكثير والكثير مما لم يؤكل ..

● أعراسنا .. وافراح تلك الاعراس تلتهم المبالغ الخرافية مما لاضرورة له .. ولاطائل من ورائه الا التسابق .. والا المباهاة في سباق الموتورين ..

● الفساتين بعشرات الآلاف .. والمصاغات .. والساعات بمئات الالوف .. وبعضها القليل القليل يكفي ..

● السيارات .. ان فينا من يرى ركوب سيارة استجد بعدها سيارة .. يرى ذلك عيبا او نقيصة يرفضها .. ويلفظها ..

● السكن .. مايكفي لخمسين ساكنا .. بقيمة سكن واحد لأسرة لايتجاوز عدد افرادها الخمسة .. ليس هذا فحسب .. بل ان اسرافنا تجاوز حدود شكلياتنا وتعداها الى سلوكياتنا ..

● حين نحب لانرى فيمن نحب الا حسناته حتى ولو كان وزر سيئاته هو الاكبر ..

● وحين نكره لانرى فيما نكره الا سيئاته حتى ولو كان حمل حسناته هو الاكثر

● وحين تندفع عواطفنا بكل خلجاتها .. فانها تقفز فوق سلم الواقع .. تنسى الأبواب المفتوحة لتتسلق الجدران بحثا عن مدخل آخر ..

لاشيء .. الا الركض اللاهث .. وسط متاهات الاسراف .. وفي اسراف

الحضارة تبدأ من القرية

« ١٠٧ »

الحضارة كما يقولون تبدأ بالقرية .. ومن القرية ..

فحيث تكون القرية واقعا تكون الحضارة مواقع ..

لن يكون حكمنا أمينا .. ولا عادلا .. ولا عاقلا حين يستمد حيثياته التى يبنى عليها تصنيفه للاشياء مما يشهده .. ويلمسه من مظاهر ضخمة وكبيرة هى حياة المدينة الصاخبة .. وهى معالمها المثيرة .. التى تتحرك وتتبدل مع اشراقة كل يوم .. حتى ولو أخذت تلك المدينة ما يشبه الصورة المثلى الكاملة ..

والسبب بسيط ان موارد اية مدينة ضخمة فى العالم هى فى حجم ضخامتها وكبرها واتساعها ولأن المدن الكبرى فى العالم تستنزف معظم الموارد الذاتية باعتبارها شريانا استراتيجيا واقتصاديا .. وبشريا تعمرد الحركة .. والسباق بين الامكانيات المتواجدة فيه .. وتبقى القرية نقطة الانطلاق الصحيح لمسار اية امة .. فى تقدمها او تخلفها .. فى نموها أو سموها .. لأنها بامكانياتها المحدودة .. وببعدها عن مجال السباق القادر تظل هى المحك على قدرة الحركة .. والاشباع والايفاء ..

والوجه الحضارى للقرية ليس وجها ماديا محضا يتمثل فى هيكل القرية .. وملامحها الظاهرية وانما هو وجه شمولى يتعمق واقع اهلها ثقافة .. ومسلكا .. وعطاء .. كما هو الحال .. بالنسبة للوجه الحضارى المدينى .. والا فان الشكل وحده .. او الاطار وحده لايغنى عن الصورة الاساسية التى هى المدخل التاريخى للاشياء .. باعتبارها الموجه الواقعى .. للمجتمع .. وللاسرة ..

ان الميزان الحضارى يمتد افقيا ليتخذ بعد ذلك مسارا رأسيا اشبه بالهرم .. وتبقى القاعدة هى الاولى .. وهى المنطلق لكل ما بعدها .

عرس الجنازة

« ١٠٨ »

حين يفد الى القاهرة شيخ طاعن فى السن ناهز السبعين من عمره او كاد بحثا عن صبية يافعة فى عمر احفاده يضمها الى زوجاته الثلاث لتشاركه دفء الفراش .. ولتتفرغ لشؤونه بعد ان انشغلت زوجاته بهموم اولادهن واحفادهن ..

حين يفد الى القاهرة مثل هذا الشيخ أحس بغصة فى حلقى تضج مرارة وحسرة .. لا لشىء .. الا لأن مثل هذا الزوج المحموم يحمل صداما مروعا لمنطق المألوف المتعارف عليه وجدانيا .. وحسيا .. وشعوريا ..

فالخاطب يمثل بقايا من عمر .. تحمل بقايا من بقايا حركة .. والمخطوبة زهرة متفتحة وبين الاثنين اجيال .. وجبال من التباين لا يمكن تسويتها .. ولا التقريب بينها ..

العمر تفصله مساحات ..

الطباع تفصلها مسافات ..

ومع هذا يبحث عن رابعة فى عمر احفاده يضمها الى عصمته ببضعة آلاف من الجنيهات ثمنا للصفقة .. وقبولا بحطام الزوج المتحرك .. وتعويضا مسبقا لركام الزواج الفاشل ..

وددت لو ان مثل هذا الكهل الوافد الخاطب اعيدت عقارب ساعة حياته الى الوراء .. الى مابعد العشرين .. وددت لو سيقت اليه قسرا امرأة فى الستين من عمرها كزوجة له ..

وددت ذلك ليتعرف على هول الصدمة التى سيحسها .. والتى هى نفس الصدمة التى ستحسها دون شك تلك الفتاة التعيسة الحظ التى ستزف اليه على بحر من دموعها .. حتى وهى تتصنع البسمة من اجل ارضاء او خشية القابضين للثمن .

اللص حين يكون ذكيا

« ١٠٩ »

حين يكون اللص ذكيا فانه يلدغ من جحر مرتين .. او اكثر ..

القصة نشرتها صحيفة الاهرام القاهرية منذ ايام .. اما السيناريو الضاحك الباكى لها فانه يقول :

• قبض موظف القطاع العام مرتبه الشهرى وركب الحافلة الى بيته وفى داره وبعد ان هم بخلع ملابسه تلمس جيبه .. فلم يجد حفيظة نقوده بكل ما تحويه من نقود .. واوراق .. وساقته قدماه الى اقرب مركز للشرطة ..

وتقدم بشكواه ضد مجهول .. وفى اليوم الثالث على حادثة السرقة تسلم رسالة من اللص يعتذر فيها عن ماحصل .. مؤكدا له ان دافعه الى السرقة كان شريفا لأن له زوجة حاملا فى شهرها التاسع .. وليس لديه ما ينفق عليها .. وابدى أسفه .. واستطرد قائلا :

لقد عرفت انك مثلى فقير الحال .. واعدك بأننى سأسدد لك المبلغ على اقساط شهرية بواقع خمسة جنيهات كل شهر ..

وكان ان تسلم بعد شهر مظروفا بداخله الجنيهات الخمسة ومثلها تسلم فى الشهر الثانى .. وارتاحت نفس صاحبنا الى مختلسه .. وقال : « صحيح ان عالمنا لايخلو من لصوص شرفاء »

وفى الشهر الثالث تلقى على عنوانه مظروفا بداخله ثلاث بطاقات لدخول السينما فى احدى دور العرض ومعها ورقة تحوى هذه العبارة : « لقد قطعت لك ولزوجتك وابنك هذه التذاكر رغبة فى اسعاد اسرتك لمشاهدة هذا الفيلم المثير » .

وبسذاجة .. صدق ما يقول اللص .. ومضى مع اسرته الصغيرة لمشاهدة الفيلم .. وحين عاد الى بيته الصغير كانت المفاجأة المذهلة ..

لقد وجد سكنه نظيفا من كل شىء .. لقد اتى اللص على مافى الدار .. على كل مافيها ..

وادرك ساعتها .. ولكن بعد فوات الأوان الشراك الذى نصب له .. والذى اجهز على كل ما يملك ..

ومن ساعتها ايضا ادرك ان لاشرف للص .. ولامكانة للظن الحسن فيمن يسرقون حتى ولو ذرفوا دموع التوبة .. دموع التماسيح التى لاتخدع الا المغفلين ..

ليت ..

« ١١١ »

« ليت » .

كلمة تعنى التمنى يطرحها اولئك الذين قعد بهم عجزهم عن الوصول الى احلامهم وبشكل غبى لاينعش الطموح .. ولايجدد الحركة ..

واذا كانت [ليت] لامعنى لها فى عمر الانسان امام ذاته لأنها تعنى مواته .. فانها بالنسبة لأمانيه مع الآخرين وهو غير القادر على ضبطهم .. تشكل منفذا للتنفس وسط ضباب الضيق والحيرة ولعل احد اولئك الذين يلجأون الى التمنى ساعة يرتطمون بما لا يهضمون فيسرحون مع سراب الامانى وعلى شفاههم كلمة جافة .. جافة تعنى [ليت] .

وليت اولئك الذين يتخذون القرارات المصيرية كعالمهم يفترشون بساط قراراتهم .. ويطعمون مذاقها حلوا او مرا .. حلاوة ام حجرا .. حتى تكون اصداراتهم صدى لخبراتهم وتجاربهم ومعاناتهم ..

ليت اولئك الذين يشعلون فتيل النار من خلف اسوار قلاعهم ثم يتفرجون عليها عن بعد وهى تطعم ارواح الابرياء .. ليتهم كانوا لها الطعمة الاولى .. والمذاق الاول لشرارتها المستعرة ..

ليت اولئك الذين يدوسون بأقدامهم ازهار الربيع .. وورود الحياة وسنابل القمح .. ليتهم اجهدوا حرثا .. وغرسا .. وريا .. ومثابرة .. ليذوقوا طعم العرق الذى يشيد .. لاطعم الغرق الذى يجتاح يهدم .. ويهزم حصيلة البناء ..

ليت .. ليت .. ليت .. ولكن هل تنفع شيئا .. ليت ..

الجرح الغائر فى الجسد

« ١١٢ »

لو أن سلاحا عربيا قصف مفاعل « ديمونا » الذرى فى اسرائيل .. لو أن مفاعل ديمونا هو الذى قصف ماذا سيكون عليه العالم ..؟! لا أظن مجلس الأمن الدولى سيكتفى بالادانة .. وبالطرد من المنظمة الدولية .. ومن المقاطعة .. والعزل .. بل ان هناك اصواتا سترتفع من دولة كبرى .. أو من دول كبرى تقترح اسقاط تلك الحكومة بقوة السلاح .. لأنها تصرفت بشريعة الغاب .. وضربت مؤسسة نووية يحرم العرف الدولى قصفها كهدف فى ايام الحرب ..

ولكن الذى حدث هو ان الهدف المدمر كان عربيا لااسرائيليا .. وبتغير المواقع تتغير المواقف وتتغير النظرة اليها .. وبالتالى يتغير الحكم عليها .. وهذا ما حصل فعلا .. فلقد كانت الادانة الكلامية هى كل ما تمخض عنه الجبل ليلد الفأر .. وكفى الله المؤمنين القتال .

وماذا بعد ؟ ...

لاشىء .. فالسلاح .. والمعونات .. والمواقف السياسية الظالمة كلها تقف كسيوف مصلتة فوق رقاب اولئك الذين لايملكون الا الشكوى مع كل بلوى .. ثم الانتظار لصفعة جديدة .. وشكوى جديدة تنتهى بالاستنكار .. والاستنكار وحده ثمنا بخسا للضحايا .. وللكرامة المهدورة ..

ستظل النازية الجديدة فى تل ابيب سيدة الموقف شئنا أم أبينا مادامت قراراتنا لاتتعدى مقررات تتآكل مع مرور الأيام .. لتنساها الذاكرة بعد تجفيف آخر دمعة ..

وسيظل صوتنا محبوسا مخنوقا مادام داخل قمقمه .. غير قادر على تحطيم حاجز الخوف والثقة من حوله ..

ولن نجد ابدا ونحن على هذه الحال من سيقول لنا ولو مرة واحدة حتى ونحن نحلم :

نصف الحرب دهولة

« ١١٣ »

نصف الحرب دهولة ..

تعبير شعبى يفسر لنا ان نصف حصاد الحرب من الأرقام .. مجرد كلام .. او ما يشبه اضغاث الاحلام واذا كان الشاعر العربى قال :

وان الحرب اولها الكلام ..

فان واقع الاحداث .. يثبت ايضا ان الكلام له حصة الاسد بالنسبة لساحة الحرب .. اولا .. ومنتصفا .. واخيرا ..

ولك ان تستمع الى أية بلاغات عسكرية تصدر عن جيشين متحاربين .. ولك ان تتصور كيف تكون القدرة لدى كل منهما على احصاء ضحايا الآخر بينما يفصل بينهما متسع من الأرض تعد بالأكيال .. والأميال ..

ان قذيفة هاون لاتستطيع الافصاح عن ضحاياها لمن اطلقوها .. وان صاروخا لايستطيع ان ينقل الى منصة اطلاقه كم هم اولئك الذين ارداهم ومزق اوصالهم ..

وان قاذفة قنابل القت بحممها على ضحاياها لاتملك ان تسجل .. ولا ان ترصد عدد الذين احالتهم الى اشلاء ..

اذا فان جميع ماتشير اليه البلاغات وتنشره لايعدو ان يكون افتراضات وهمية أو مجرد تمنيات تجسدها المبالغة .. وتستثمرها من اجل اضعاف معنويات الطرف المقابل .. وهى فى تفسيرها دهولة كما يشير المثل الشعبى ..

والانسان بطبيعته تواق الى المبالغة فى سلمه .. وفى حربه .. انه يضاعف الأشياء فيضعفها .. ويضخم الوقائع فيوقعها .. ويجسم الأوهام فيصدقها .. وتلك طبيعته أبدا .. وتلك طباعه ..

« ١١٤ »

القصاص فى الاسلام .. او الحد الذى يقف عند حدوده مايباح ومايحرم .. مايقبل .. ومايجرم ..

السلوكيات جاءت بمنهج حدد لها الضوابط .. والأطر .. وحتى لاتتدخل وتتصادم ويمتزج عنصر الخير بعنصر الشر .. فى مفهوم مختلط أرسى للبشرية قواعد أخلاقية حكمها بالتشريع .. وبالشرع .. بالمثوبة وبالعقاب ..

ومع المثوبة يندفع الانسان اذكاء لروح الحق فيه .. ولنقاء الحقيقة عنده .. انه يستزيد العمل والصنع .. ليستثمر الكسب والجزاء .. انه يكسب على جوادين ,, وفى سباق واحد .. داخل حلبة واحدة .. ومع العقاب .. فان القصاص جاء ليحكم المجتمع بروح من الصرامة العادلة من اجل خير المجموعة .. فمن تعمد القتل ينال القتل نفسه حتى لاتتسع دائرة الفتنة بين الناس .. وتستشرى بين صفوفهم .. وتتكاثر ضحاياهم ..

ومثل القتل .. جاء الجزاء لمن تطاول على حق غيره فسرق .. واختلس ملحقا بمال غيره الضرر عن قصد .. لقد جاء حكم الاسلام رادعا بقطع اليد من اجل ان لاتمتد ايد كثيرة فتطال وتنال ماليس لها بحق ..

هكذا .. وبصرامة العدل .. وبعدل الصرامة .. جاء تطبيق الجزاء من اجل ان يسود الحق .. والحب .. والعدل بين الناس .. ومن اجل ان تظل مظلة الامان ثابتة لاتهزها الاحداث .. ولاتنال منها الحوادث ..

وحيث يكون العدل شاملا فى الجزاء .. يكون السلام كاملا فى الأرض .. وعلى كل اهلها يكون السلام .

« ١١٥ »

لأحد يقدر على إطفاء نور الشمس .. ولاحتى حجب اشعتها من أن تلامس جبين الأرض .. ووجه الواقع ...

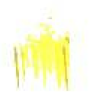
فالضياء حقيقة تمثل ازلية الوجود فى ابصاره .. واسلوب اختياره .. واذا كانت موجات من الضباب .. او التراب تتراكم عبر الافق مخلفة وراءها ذيولا تلون بها الأجواء فى محاولة لقهر سلطان النور .. او الاساءة لسلطته .. فان تلك الذيول ما تلبث ان تتهاوى .. وتتلاشى تاركة للأشعة الأزلية مسارها الحتمى ..

ومثل الشمس .. واشعتها الدافئة الدافقة يأتى الحق فى هذا العالم سلطانا منتصرا .. قادرا .. قاهرا .. رغم كل محاولات الغدر به .. والايقاع بتياره وهو فى ابحاره السرمدى ..

ان صلف الشيطان من اجل الاستيطان فى اعماق الناس .. مهما كان شريرا .. لابد وان يصطدم بصخرة الايمان .. ويتداعى ..

وشيطان اليوم وقد لبس مسوح الخداع .. تارة باسم السلام .. واخرى باسم المصالح . وثالثة باسم الوفاق .. ورابعة باسم التوازن .. هو نفسه فى حقيقته شيطان فى نواياه المستترة .. وفى اهدافه البعيدة ..

وحتى لانقع فى حباله .. وفى مرمى نباله يجب ان نعى دورنا .. ودربنا .. وبارادة ذاتية مستقلة وفاعلة .. لاسيما ونحن نملك كل مقدرات القوة .. ونملك اقدارنا .. واقتدارنا فى مواجهة كل المتربصين بنا .. ايا كانت انتماءاتهم وايا كانت الأقنعة التى يتوارون من خلفها ..



الحريق الضخم

« ١١٦ »

مائة مليون جنيه استرليني يحرقها فم العالم مع صبيحة كل يوم .. ويبتلعها دخانا مدمرا يستقر فى جوفه .. وبين رئتيه مورثا السرطان .. والسل .. وسوء الظل ..

ثلاثة مليارات كل شهر .. وستة وثلاثون مليارا على مدار السنة يهدرها هذا العالم ويخسرها من مادته .. ومن جسده .. من قوته ـ بالواو الساكنة ـ ومن قوته ـ بالواو المشددة .. يهدرها دون ان يجد القدرة فى وقف عربة الانتحار من الانحدار الى هاوية التردى .. والموت ..

ولو ان هذا الذى يهدر .. ولو ان بعض هذا الذى يستنزف انفق على ملايين البشر الذين يتضورون جوعا .. ويفتك بهم داء المرض .. لو انه انفق او بعضه لكانت الاسرة البشرية الكبيرة فى وضع أمثل .. وانبل .. وأفضل صورة ..

ولكن تبقى انهزامية الانسان امام ذاته مؤشرا مروعا لما يمكن ان تصل اليه العربة المندفعة فى انحدارها .. وانتحارها .. وبملء اختياره وارادته ..

والى اين نحن .. البشر مسوقون ؟!!

سؤال مابرح يرن فى اسماع البعض ممن افزعتهم مؤشرات الخطر التى تلوح فى سماء الواقع البشرى .. ناقلة اليه صورة قاتمة الظلال .. قاتلة الآمال لجسد بدأ ينزف بحكم السموم التى ينفثها .. عن اختيار ويبتلعها صباح .. مساء .. كما لو كانت ـ جرعات ـ ووجبات لابد من تناولها .. والتعامل معها ..

ان المليارات من الجنيهات التى تحرق كل عام ثمنا لما ندخن .. وان الاجساد التى تحرق ايضا على مدخنة ما نتجرعه وننفثه .. كلاهما اهدار بشع .. ومجنون .. للمال .. وللحال معا .. ولانملك مع كل هذا الا ترديد المثل الشعبى القائل :

« يامن يشترى له من حلاله عله » .

النصيب بين خطين

« ١١٧ »

ليس كل زيجة مآلها الى فشل .. وليس كل زيجة أيضا مردها الى نجاح ..

واذا كانت الزيجات الناجحة لاتحتاج الى تعليق لعدم وجود انعكاسات وترسبات تقضى الى الدمار .. او الشجار .. والقطيعة .. فان الزيجات الفاشلة وحدها .. او القليل منها على الاصح هو الذى يوصد الابواب المفتوحة ويساعد على قطع الرحم .. ويباعد بين الصديق والصديق ..

قلت انهم القلة القليلة .. وفى هذا العزاء كل العزاء .. الا ان هذه القلة القليلة تشكل نتوءا فى بنية المجتمع وخدوشا فى جسده تؤذى وتدمى ولكى تكون الصورة اوضح فلسوف اعرض لما اعنى فى وضوح اكثر وايضاح اكبر .. هب ان صديقا لك .. او حتى قريبا لك تقدم لخطبة ابنتك .. او قريبتك .. وتزوجها وفشل الزواج .. وساءت الحال .. الى حد الطلاق .. وطلق .. هل سينتهى الامر عند هذا الحد ؟! وبالنسبة للقلة القليلة ممن اعنى ؟! أبدا .. ان سورا من القطيعة والكراهية سوف يفصل بين الزوج والزوجة .. ان لم اقل بين اسرة الزوج واسرة الزوجة .. على الرغم من انهم اصدقاء .. او اقرباء ما قبل الزواج .. وبعد الطلاق .. الا ان العقدة المرضية التى افرزها الزواج الفاشل استحكمت .. ومدت جذورها .. كالاخطبوط .. والغت كل حسابات الماضى .. وماله من رصيد فى دنيا العلاقات او الصداقات ..

واذا كان الزواج الفاشل ممكن الوقوع .. فان الفشل الاكبر منه هو ان ننسف جسور القربى ونذكى نار القطيعة كحصاد فاشل لزواج فاشل .. وكنتيجة اسوأ لنهاية سيئة ..

والمأساة اذ مازالت توجد بين ظهرانينا هذه القلة القليلة وليتها فى نهجها الخاطىء ما وجدت ليتها اختفت من مسرح حياتنا والى غير رجعة ..

على قدر الصلة يأتى الوصل

« ١١٨ »

على قدر صلتك .. يأتى وصلك ..

حقيقة .. لايمارى فيها احد من الناس .. بل لعلها ظاهرة بدأت تشغل بال الكثيرين ممن لاوصل لهم لانه لاصلة لهم ..

واذا كان تقويم الاشياء يخضع فى منطقه الاخلاقى لما يعطيه المرء من مجهود خلاق .. ومن جهود صادقة .. تدفع بخط سيره نحو تحقيق امانيه فى معاشه ومعاده بعيدا عن مؤثرات العلاقة الشخصية .. وعن افتراضاتها .. فان تحكيم الصلة وحدها فى قاموس الموصل امر يمجه الذوق السليم .. ويأباه .. الا اذا كان هذا الوصل خاصا .. لاصلة له بالالتزام العام .. المرتبط بحياة المشاركين الآخرين ..

ان ضوابط السلوك الاجتماعى تفرض علينا التجرد من كل عاطفة ومؤثرات ذاتية حين ننصب الميزان .. ونحتكم الى كفتيه فى عدل ونزاهة ..

والا .. فان ما نعطيه .. وماندفع به لهذا .. ولذاك سيظل مشبوها .. قريبا من اصابع الاتهام .. مادامت رؤيتنا الى حقوق الآخرين مغلفة بغلاف من العقوق المستتر او الظاهر .. سيان ..

وحين نصل .. فان وصلنا لمن يستحق سواء أكان المستفيد قريبا أم بعيدا يجب أن يكون موضوعيا .. لانفعيا .. شرعيا .. لامدانا بصلة او بغير صلة .. ومتى كانت النظرة المجردة عن كل هوى منطلقنا فى التحكيم والاحكام .. فان دفعة عادلة عاقلة سوف تذهب بنا بعيدا حيث العدل .. والعقل .. وحيث العطاء المنتج ..

وهذا ما أرجوه .

ادفع الثمن من أجل أن يأكل

« ١١٩ »

اذا كان هناك فى الآخرة من يقادون الى الجنة بالسلاسل فان فى هذه الدنيا من يقادون الى أطايبها بالاغراء .. وبالاغراق فى العطايا والهدايا .. ولعل من بين هؤلاء أطفالى الذين لكثرة تدلعهم .. وتمنعهم عن تناول الطعام كانت لهم معى وقفة يومية مشهودة .. وعبارة يومية محددة - وش تعطينا يـابابـا علشان نأكل ؟

وأقف حائرا أمام هذا الخيار .. وهذا الاختيار .

أأدفع لهم الثمن مضاعفا من أجل أن يأكلوا ؟ !

أم أدعهم لجـوعهم الاختيارى .. وقلب الأب عـادة لايقوى عـلى جوع أطفاله ؟ !!

وأستسلم لمشيئتهم دائما .. وأدفع لهم ثمن مايطعمون دائما ..

ولعل من أكبر المفارقات وأدعاها اثارة وسخريـة .. وتندرا أن فى عـالمنا الواسع من يبحثون عن الطعام بكل الوسائل المتاحة لديهم فما يطعمون .. وان طعموا ففى شح .

بينما آخرون يكافأون عـلى مايـأكلون .. يدفـع لهم الثمن مضاعفـا .. وكذا .. تظل الصورة متباينة متباعدة بين من يرتضون من زادهم بالنظر اليه لأنهم يملكون ذلك الزاد دون رغبة تدفعهم للالتهام أو الانتقام .. وبين آخرين يجهدون خطاهم بحثا عن كسرة رغيف .. ألقت بها الأقدار فى احدى الزوايا فيجدون .. أو لايجدون .

انهم نموذج مخملى ساعدنا على اترافه .. وعـلى اسرافـه فى مصادمـة الواقع .. وعلينا .. وعليـه تقع مسؤولية الصـدام .. بين مـانعطيـه وبين مانطلبه .

أمضى سلاح

« ١٢٠ »

يقولون عن سيف المرأة انه لسانها وحتى لايعلق به الصدأ فانها تستعمله باستمرار حتى فى المواقف التى يلزمها الصمت ..

وهذا يعنى على قولهم ان المرأة بسلاحها الناطق أكثر من الرجل حديثا بسلاحه الفاعل فى صمت ..

واذا كانت الثرثرة معيارا لجنس دون آخر كما يقولون فان سلاح المرأة الأقوى والأمضى ليس فى لسانها وانما فى عينيها .. فى بحر عينيها ..

الرجل لجوج بطبعه عنيد فى خصومته وتحديه أكثر من المرأة وان لم يكن فى حجمها استرسالا فى نثر حصيد اللسان المتدافع الا أن عناد الرجل وخصومته لاتقويان فى أكثر المواقف على مواجهة وعلى مجابهة دموع المرأة الصامتة الناطقة والمتدحرجة فوق خديها .. ومهما كانت الافاضة فى الكلام منها أو منه الا التسجيل لمواقف متداخلة متدافعة متشاحنة تطالها هى أكثر مما تناله هو .. وتنفعل بها هى أكثر من غيرها لأن للرجل قدرة على الموقف الصامت الصلب أما هى فان سيفها أو سلاحها الوحيد هو لسانها الذى يترجم كل خلجات حياتها .. وسكناتها .. ومن أجل أن لايعلق الصدأ بتلك الخلجات والسكنات فانها تتكلم كثيرا وتشتكى أكثر وتبكى أقل حين يستعصى الحل وحين تبكى ينحل .

الشجرة الصابرة

« ١٣١ »

ليس البشر الطيبون الأوفياء هم وحدهم الذين يتنكر لهم الانسان حين لايحتاج اليهم .. أو حين يجد البديل عنهم ..

كالبشر الطيبين الذين نتجاهلهم .. ونتنكر لهم تأتى شجرة الاثل الوفية الصابرة .. الصاعدة التى رافقتنا .. وحنت علينا .. وعايشتنا صيفا شتاء دون أن تستمطرنا الماء .. ودون أن تشتكى الينا الظمأ .. رافقتنا خضرة لاتذبل .. ونماء لايتوقف .. وانتشارا لايكل .. ومع كل هذا الوفاء أسـدلنا عليها فى حسابنـا غطاء النسيـان .. لم نعد نهتم بهـا .. وهى الأصيلة .. الاثيلة .. الجميلة ..

وأرجو أن لايكون اهمالنا .. وعدم اهتمامنا بغرسها لأننا عرفناها صغيرة ومن عرفك صغيرا ازدراك كبيرا ..

أرجو أن لايكون اغفالنا لها لأنها نبتة من أرضنا .. ونحن نعيش عصرا كل ماهو مستورد فيه مرغوب .. ومطلوب حتى ولو كان أردأ بضاعة .. وأفدح ثمنا ..

ان شجرة الاثل رمز وفاء .. وجلد وصبر .. تمثل صحراءنا بكل مافيها من نحد .. ومقاومة .. وصلابة .. وتوسيع رقعة انتشارها يمثل وفاء للشجـرة الطيبة الدائمة الاخضرار .. الضاربة فى بطن الأرض ..

انها لن تكلفنا الكثير ولا حتى القليل من الجهـد الذى نعطيـه وندفعـه للمثيلات مما نستورد من أمريكا .. أو أوروبا .. وافريقيا .. وندفع من أجل ذلك الثمن الباهظ حتى الماء .. ان شجرة الاثل فى صيام دائم عنه .. وهو مانحتاج اليه .. أليس من حقها أن تتظلم ؟ ! أوليس من واجبنا أن ننصف ؟

« ١٣٢ »

للانسان فى حياته عدة منافذ .. أو عدة نوافذ يطل منها على عالمه تـولد واسعة.. ثم تضيق مرة فمرة حتى تتساوى مـع قدرة ابصـاره الواهن فى مرحلة الضعف من عمره ..

يبدو المنفذ الأول .. أو النافذة الأولى وهو فى العشرين من عمره يحاول أن يحمل العالم بأسره على كتفيه القويتين .. يحاول أن يصلح كل أخطاء الدنيا كما لو كان قاضيا تمتد سلطته عبر القارات الخمس .

وفى الثلاثين من عمره تضيق الدائرة من حوله .. ويتحول العالم الكبير الى رقعة أصغر تعنى وطنه .. وعشيرته .. وبنى قومه .. ان حماسه الانسانى المشبوب يتحول الى حماس وطنى أصغر دائرة الا أنه أكثر نضجا .

وفى الأربعين تبدو دائرة الابصار أصغر كثيرا انها لاتكاد تتعدى أسرته الصغيرة .. وهمومها .. ومشاكلها .. ان احساسه بتلك المسؤولية المباشرة يقلص من مساحة اهتمامه بالآخرين الى أقصى حد من المسافة .

أما فى الخمسين فان الدائرة تضيق وتضيق الى الحد الذى لايرى فيه ا نفسه .. محاولا اصلاح أخطائها .. واحكام الرقابة على تصرفاتها منطلقا فى ذلك مع مفهوم الشاعر

عـليـك نـفـسـك فـتش عـن مـعـايـبـهـا
وخـل عـن عـثـرات النـاس للنـاس

واذا كانت منافذ الرؤية تبدأ واسعة ثم تتقلص رويدا رويدا وعلى فترات .. فانها بذلك تتدرج مع حماس الانسان وانفعاله الذى يولد مشبوبا ناريا ثم تبدأ درجات غليانه وحرارته تخف .. وتهدأ .. حتى تكاد تجف مـع جفاف عوده فى مرحلة متقدمة من العمر .

العقول المهاجرة

« ١٣٣ »

يقولون عن الطيور المهاجرة .. ونقول نحن عن العقول المهاجرة من أوكارها .. وفى أوطانها دون غربة .. وبواضح العبارة .. فان ظاهرة غير صحية بدأت تبرز على مستوى كفاءاتنا النادرة والمتخصصة بعد أن تعود الى وطنها محملة بالشهادات العليا .. وبالمهارات الجيدة .. هذه الظاهرة أن الكثيرين منهم يغيرون مسارات حياتهم العملية على حساب مسارات حياتهم العلمية .. فنجد أن مهندسا ممتازا ما طلق مزاولة العمل فى حقل اختصاصه ليفتح بقالة ..

ونجد أن جيولوجيا قديرا ترك حقل البترول وهو فى حاجة اليه ليعمل فى شركة مقاولات لاتمت الى تخصصه بصلة ..

ونجد أن اختصاصيا فى الزراعة أثر أن يقبع على كرسى دوار فى مكتب لبيع العقار .. ونجد السبب ..

والسبب الكسب السريع .. والاثراء السريع دون تقدير لضريبة الوطن الذى أنفق عليه .. واحتضنه ورعاه حتى آخر يوم من تحصيله ..

والسؤال المطروح اذا ؟ !

لماذا التخصص ؟ ! بل لماذا اضاعة العمر الطويل فى مدرجات الجامعة .. وما بعد الجامعة اذا كانت الأهداف مادية محضة ؟ !

اننا مطالبون أن نعى بأن للوطن حقوقا تسبق خياراتنا الشخصية .. سيما اذا كانت تلك الخيارات تتم على حساب افراغ رسالتنا العلمية من مضمونها .. ومن ثم فان اهدار تلك الطاقات أمر يجب معالجته قبل أن يستفحل .. لانريد لعقولنا أن تهاجر بعيدا عن مسارها الصحيح .. والا فان الغربة الموحشة سوف تلف الدرب حتى ولو كانت المصابيح على مقربة منها .. مادامت لاتضىء فى مكانها الصحيح الذى أعدت له .. ومن أجله .

اختلاط أوراق اللعبة

« ١٢٤ »

اختلطت الأوراق فى لعبة السياسة الدولية ..

فلا الشرق فى وفاق مع بعضه .. ولا الغرب فى وفاق مع بعضه .. وتبقى المصالح وحدها القوة التى تحرك دفة السفينة عبر الأمواج المتلاطمة .. المتعاظمة .

بكين .. وموسكو .. بينهما ماطرق الحداد .. أو أكثر وكلاهما يؤمنان بأيديولوجية أممية واحدة .. وتحت مظلة صراعهما أو منافستهما على تزعم العالم الشيوعى تتحرك الأحجار الصغيرة على مربعات الشطرنج من كمبوديا .. الى فيتنام الى كوبا .. الى رومانيا .. الى بلغاريا .. الى ألبانيا .. فى جذب لتلك .. وشد لتلك .. والفلك الغربى نفسه فى صراع تنافسى على المصالح لايقل شراسة عن سابقه .. الولايات المتحدة لها استراتيجية تختلف عن استراتيجية أوروبا .. ونظرته الى خصوصياته .. ألمانيا عملاق يتحرك ويطل برأسه تخافه أمريكا .. فهى معه .. وعليه ..

فرنسا تطالب بمحور أوروبى مستقل هى دون شك على قمة زعامته .. وريادته .. اليابان بعقلها الالكترونى الجبار .. الكل يخافها .. يخشى سيطرتها على أسواق العالم .. واستحواذها على مشترياته .. وأنها الند اللدود لأكثر من دولة غربية منتجة .. وفى عالمنا العربى أيضا اختلطت أوراق اللعبة السياسية .. فلا البعث مع جناحيه .. ولا اليمن من شطريه .. ولا الكنانة مع أشقائها .. ولا لبنان مع أهله .. ولا .. ولا .. ولا ..

أوراق مبعثرة .. ومختلطة يصعب تصنيفها .. وفرزها .. ان لم أقل تصعب قراءتها .. وتبقى وحدها المصلحة المدار التى تدور فى فلكه جميع الأوراق المنتشرة .. والمبعثرة على منضدة عالم اليوم ..

« ١٢٥ »

حين تكون للزوج شخصيته القوية المؤثرة أمام زوجته يتحول فى نظرها الى رجل عنيد .. وحين يتحول الزوج الى انسان انقيادى مطيع يكون فى نظرها زوجاً بليداً.. الأول تخشاه ولكنها تحترمه ..

والثانى تحبه وتريده .. ولكنها لاتهابه .. وبالتالى تركب على كتفيه .. ولكى تكون محترما أمام زوجتك فان عليك أن تكون عاقلا .. وعادلا فى قوة .. فالمرأة كالرجل تحترم الأقوياء .. وتستهين بالضعفاء ..

وليس يعنى هذا أن كل قوة مطلوبة .

وليس يعنى هذا أن كل انقياد .. أو طاعة مرفوضة ..

قوة الرجل العاقلة العادلة هى شخصيته التى تحدد له لون التعامل .. ولكن فى اطار من احترام الآخرين لما يفرض .. ولما يرفض ..

الفرض بالنسبة اليه املاء مايريد .. ولكن عن وعى ويقين .. واصرار واقتدار والرفض بالنسبة اليه مخالفة مدروسة لما لايتفق وتقبله .. ورغبته .. من هنا .. فان صفة العناد لكل ذى رأى حين تطلق عليه تحتاج الى الكثير من الدقة .. والصواب ..

ولكى تكون المعادلة صائبة بين ماتطلق عليه الزوجة « عنادا » أو « بلادة » بالنسبة لتصرفات زوجها الموجبة والسالبة فان منطلق التعامل قد أرسى القواعد .. دون ضرر ولا ضرار .. دون افراط .. ولا تفريط .. حيث جاء حكمته القائلة « لاتكن يابسا فتكسر .. ولالينا فتعصر » .. أو بمعنى آخر .. لتكن قوتك فى لين .. وضعفك فى قوة .. المهم أن لاتفقد ارادتك حين تريد .. وحين لاتريد .. أن لاتتحول الى ظل .

بين الانفعال .. والافتعال

« ١٣٦ »

الفرق بين العطاء الفنى للأمم الحضارية فكرا والعطاء الفنى للأمم النامية فكرا أن الأول يبدو عفويا طبيعيا .. أما الآخر فيبدو متكلفا مصطنعا ..

الأول ينقل اليك الصورة والحدث دون رتوش أو ماكياج أو افتعال .. بل دون سابق تحضير .. حتى لكأنك وأنت تعيش لحظاتها تعايش واقعها الفعلى دون كلفة .. ولاتصنع .. فتبدو لك المساحة والزوايا والشخصيات .. والحركات واقعية دون أقنعة .. أو استعارات .. أو تقمص للأدوار .. والمواقف ..

أما الثانى فانه يختار من واقعه مايريد أن يكون لا ماكان .. انه يختار المظهر الذى لايعبر عنه .. والجادة التى لايسلكها .. والدار التى لايقطنها .. والمستوى الذى لايعيشه بل انه يتصنع البسمة لحظة بكاء .. والوجاهة ساعة تدن .. لالشيء الا لكى يظهر عبر مايعرض فارس أحلام وهميا يتمختر .. ويتبختر بين مروج السعادة وقبابها البعيدة النائية وهكذا تكون الصورة الأولى وادعة المظهر .. والمخبر ..

وهكذا تكون الصورة الثانية خادعة المظهر .. والمخبر ..

ان أية أعمال فنية لاتتحدث عن واقعية الانسان .. وانفعاله من داخل أفعاله .. وعبر أرضية الحدث الذى عاشه وعايشه لاتعدو أن تكون وجها مقنعا غير مقنع ينقل للأخرين مالايتفق والواقع ..

واذا كان نقل الشكل بأمانة جوهر أى عمل فنى يمكن تقديمه عبر الشاشة الكبيرة أو الصغيرة فان الصورة التى يراد رصدها لذلك الشكل يجب أن تكون على مستواه وفى حجمه .. وفى لونه .. وفى تقاسيمه وصدقه أيضا .. والا تحولت الى صورة مزورة لاتنم عن صاحبها ولا تدل عليه .. ولا تعبر عنه ..

وهذا هو الفرق بين ماتعطيه أمم حضارية فكرا .. وأخرى نامية فكرا ..

الأولى تعطى فى واقعية وانفعال ..

بينما تعطى الثانية فى تصنع .. وافتعال ..

صراع بين رأيين

« ١٣٧ »

بين من يحملون الشهادات الدراسية .. ومن يحملون الوثائق الثقافية المكتسبة من الحياة نقاش محتدم .. ومحتكم يسأل عن جواب .

أيهما الأجدر بالمسؤولية ؟!

هل الشهادة وحدها تكفى لبروز صاحبها على مسرح المسؤولية حتى ولو كانت حصيلته الثقافية ضحلة ..؟

وهل الكفاءة المأخوذة من الحياة المكتسبة من الممارسة والتجارب وحدها لاتكفى للأخذ بيد صاحبها الى المقدمة فى صفوف المسؤولية ؟!

أيهما الأجدر .. والأكفأ ..؟

شهادة غير موثقة بكفاءة صاحبها ثقافيا ؟!

أم كفاءة دون شهادة موقعة من محفل دراسى ؟!

كثيرون يرون أن الوثيقة المدرسية مهما كانت درجتها ومستواها لاتكفى وحدها مالم يواكبها وعى ثقافى عام يمهد السبيل ويعبده .. ويوسع مسالكه .. ويخصب أرضيته .

وباستثناء التخصصات الأكاديمية العلمية التى تقوم على الممارسة والتطبيق العملى لا النظرى فان أثر المثقف وتأثير جدواه الوظيفى أجدى من متعلم كل حصيلته مجرد نصوص .. أو لوغارتمات .. صماء .. تكاد تكون فى حكم الغيبيات بالنسبة لمهام وظيفته .. وعمله الذى يؤديه .

الشهادة وحدها وثيقة تؤكد جهل صاحبها فى أمور كثيرة .. كما يقال .. وهذه الأمور الكثيرة يمكن استيعابها وادراكها بالثقافة المكتسبة من الحياة .. من الممارسة .. والمران .. من البحث .. والتجربة ..

« ١٢٨ »

الفازق بين التخطيط والارتجال أن الأول يمكن له أن يستغرق قطعة أرض صغيرة لاتتجاوز مساحتها المائة متر لتقيم عليها سكنا منظما .. منسقا ومريحا بكل مرافقه .. وممراته .. وحجراته ..

أما الثانى فانه لايستطيع احتواء مساحة من الأرض تفوق الأولى عشرات المرات لكى يقيم عليها نفس السكن تنظيما .. وتنسيقا .. وراحة ..

الأول يبدأ بالحساب .. وينتهى بالتنفيذ .. أما الثانى فانه يبدأ بالتنفيذ ثم يحسب .. بعد ذلك ان قدر له أن يحسب .. وأن يعرف الحساب ..

الأول تحكمه المساحة فيوزعها مخضعا ذلك التوزيع للأحجام المتاحة .. التى لايستطيع تجاوزها .. وحين يوزعها فانه يحكم مشرط الطبيب الماهر فى جسد الأرض حتى لاتكون هناك زائدة دودية تتفجر .. أو مصران أعور يتداعى بمخاطره فى الجسد الممدد أمامه ..

أما الثانى فانه يعمل - بفتح الياء - ويعمل - بضمها - كما لو كان فى متاهة أو شرود .. ان آخر مايفكر فيه أن تسع الأرض أو لاتسع .. أن تكون زائدتها الدودية سليمة أو ملتهبة .. أن يكون مصرانها أعور أو مبصرا أو حتى أعمى . انه يلقى بخانة الأرقام والمساحات خلف ظهره .. ويخط بقدميه حدود مايبنى .. ثم يهدد الكثير الكثير مما بنى .. ومما أبقى اذا كانت هناك بقايا من بقية ..

وبين التخطيط للأشياء .. وارتجالها تتميز أعمال وقدرات البشر .. وتتفاوت مواقفهم ومواقع أقدامهم على هذه الأرض ..

معهم على الدرب

« ١٢٩ »

يتساوى فى توجيهات الأب لابنه .. أن يدله على مكان الخطر .. سواء كان ذلك الخطر أنيسا .. أم جليسا .. قرينا يصحبه عن اختيار ووعى .. أم كتابا وصحيفة يقرأها عن ادراك لخيرها وشرها .. أم برنامجا اذاعيا أو تليفزيونيا قد يترك بصماته على نفسية الطفل سلبا أم ايجابا ..

والآباء قد يذكرون أولادهم بمن يختارون من الرفاق الصغار .. الا أنهم فى أحيان كثيرة يتركون الحبل على الغارب .. ويدعون لأولادهم الحرية الضارة فى اختيار مايقرأون .. وما يشاهدون دون ادراك منهم بخطورة ذلك الاختيار الطفولى غير المدرك .. وغير المنضبط .. وهذا يشكل خطورة على مسار الطفل تفكيرا .. وممارسة .. واستيعابا ..

واذا ما أدركنا أن بعض القصص التى يلتهمها أطفالنا فى شراهة تذكى فى نفوسهم ومداركهم الصغيرة بؤرة الانحراف والانجراف الى مسالك غير محمودة ..

واذا ما أدركنا أن البعض مما يسمعه .. ويشاهده عبر الشاشة الصغيرة قد يعطيه صدمات تؤثر على انفعالاته المبكرة .. وبالتالى تشده الى نوع من الاضطراب .. أو العنف .. أو الاثارة .. أو الجنوح ..

واذا ما أدركنا ذلك .. فان علينا أن نقف معه وقفة مساعدة مساندة نختار له فيها الأصلح .. وندرأ عنه الأطلح .. وحتى يتعرف على جدية الفرز .. والاختيار العاقل .. بعيدا عن كل مايدمى .. ويعمى ..

انه واجب يجب أن يفطن اليه كل أب .. بل وكل أم .. متى ماأردنا لفلذات أكبادنا منهجا يرضون عنه .. ونهجا نرضى عنه .

وصية غراب

« ١٣٠ »

هل سمعتم بماذا أوصى الغراب لابنه الصغير بعد أن نبت ريشه .. وبلغ مبلغ الطائر ..

قال له :

– اذا مارأيت انسانا ينحنى على الأرض فاعلم أنه يبحث عن حجر يقذفك به .. ان عليك أن تطير قبل أن يسوى قامته .. ويقذفك بما فى يده ..

قال الغراب الصغير :

– ولكن اذا كان ذلك الإنسان لايحتاج الى انحناءة على الأرض .. لأنه يملك الحجر فى جيبه ..؟

رد عليه الأب :

– اذن عليك أن تطير بمجرد رؤيتك لذلك الانسان ..

واذا كانت القصة مجرد خيال خصب الا أنها فى مدلولها مغزى له دلالاته فى قاموس الحيطة والحذر لكل من يخشى الايقاع به .. والخيل منه ..

ولعل الانسان هو أكثر المخلوقات تباطؤا وكسلا ووقوعا فى الشرك – بفتح الراء – الذى ينصب له لعدم قدرته على الابصار الحذر .. ولأنه فى أحيان كثيرة يستسلم للغيبيات وللمفاجآت التى طالما جندلت خطاه .. وأوقعته فى المحظور .. لأنه لايفكر الا حين يسبق السيف العذل ..

ولو انه تعلم حكمة غيره .. حتى مايقوله ويحكيه هو نفسه عن تجارب الغراب لاستطاع أن يؤمن على الأقل .. وأن يأمن على الأقل الكثير من العثرات .. والمصائد .. التى تعترض جادة سيره .. وربما ترديه لحظة ثقة عمياء أو غفلة وقديما قال الشاعر :

فظن شرا .. وكن منه على حذر .

كثرة انتاج .. وسوء توزيع

« ١٣١ »

بعملية حسابية بسيطة فان عشرين عاما عبر القطار السريع الذى لا يتوقف فى محطة واحدة لاكثر من مرة .. هى العمر الزمنى الممتد بين سنة اولى ابتدائى حتى الحصول على درجة الدكتوراة .. بعدها يكون التعيين .. وسيكون محظوظا دون شك ذلك الذى يحصل على المرتبة العاشرة بمرتبها وقدره اربعة الاف وثمانمائة ريال فى أول مربوطها .. اى سبعة وخمسون الفا وستمائة ريال فى ثلاثمائة وستين يوما .. هى ايام السنة ..

لا جديد فى هذا .. فهو شيء معروف .. ولا غرابة فيه .. الا ان الغرابة كل الغرابة حين تعرف ان مغنيا او مغنية فى حفل عرس لا يستغرق اكثر من ساعتين فقط ينال أجر مايناله حامل الدكتوراة فى ثمانية الاف وستمائة وأربعين ساعة هى ساعات عام كامل من عمر وظيفته ..

امر مخز ولاشك .. ومهين لا شك يدعو الى التقزز .. والبكاء .. والضحك .. وشر البلية مايضحك ..

ان منطق العقل يدعونا الى رفض هذه الظاهرة الطفيلية .. والتى للأسف اخذنا نفتح لها ابوابنا فى تسابق مشين .. مهين .. ان دل على شيء فانما يدل على غباء المتنافسين على شراء الاصوات النشاز من أجل ان يقال .. ومن أجل ان يهتز العقال،انه لون من التباهى المريض يمثل فقاعات لا اخلاقية ..

بل انه لون من الاسراف ترفضه شرائع السماء .. ويأباه العقل السليم .. الذى يزن الاشياء بميزان العدل .. وبضوابطه .. وانضباطه ..

ويبقى التيار المجنون يلطم فى جدار الواقع صاخبا متحديا كل المشاعر .. من صلف المادة المتكاثرة .. والمتناثرة بين فتحات الاصابع دون حساب .. يبقى ويبقى معه التساؤل الحار .. والحائر ..

الى متى .. والى اين ؟!

أى الناس أسعد ؟!

« ١٣٢ »

لو سئلت اى الناس اسعدهم ؟ واى الناس ابعدهم هما ؟!

لقلت :

اسعدهم .. وابعدهم اريحهم ضميرا .. واريحهم عملا ..

والضمير لا يرتاح ابدا متى احس ان فيما يحمل شيئا لا يطاق .. ولا يقبل .. ان صراع الضمير مع نفسه حتى ولو ارخى صاحبه ستار التغافل او التجاهل يكاد يشعل نار الندم .. ويحرق الحس مابقى لديه احساسه بسقط الخطوة .. وسقطة الخطأ ..

وحين يكون العمل مربحا .. حين يكون الزاد لرحلة العيش نظيفا لا غبار عليه .. ولا ذباب معنوى يغرس جناحه فى اطرافه .. حين يكون ذلك الرصيد من السعى مشكورا لا تحكمه الظنون .. ولا تناله الهـواجس .. ولا تطاله تقولات الآخرين .. واقوالهم .. حين يكون ذلك الرصيد على مستوى النقاء فان ضمير صاحبه لن يكون الا فى اوج سعادته أيا كان حجم ذلك الرصيد .. ان القدر فى معناه اكبر كثيرا من القدر فى حجمه ..

القدر فى المعنى اجازة مشروعة أعطاها الضمير وسمح بها .. وهى حين تكون تتعدى كل احجام الثروة .. وكل ارقامها ..

اما القدر فى الحجم وحده دون اجازة فانها لا تعدو ان تكون رصيد مساءلة قد تدفع صاحبها الى العذاب لحظة استفاقة .. ووعى .. لحظة صحـوة .. واستقراء .. ثم لا شىء من الرصيد خارج اطار مايسمح به الضمير ويباركه ..

ولكى نكون اسعد الناس .. وابعدهم هما .. فان علينا ان نربح اعمالنا عبر نظرة الضمير .. والضمير وحده ..

انها الجمع الذى لا ينفد .. بل انها الرصيد الذى لا يحتاج الى مزيد ..

الحصيلة المدرسية لا تكفى

« ١٣٣ »

الحصيلة المدرسية وحدها لا تكفى لبنـاء الشخصية الثقـافية الذاتيـة للانسان .. سيما اذا كانت تلك الحصيلة وفق منهج دراسى مضغوط لا يتسع لدائرة العالم من حولنا .. ولا يكاد يتجاوز الحدود القريبة منا ..

واذا كانت الالف باء المدرسية مفتاحا لما بعدها من توعية ذهنية جـادة تستوعب حركة التاريخ .. ومؤشـراته .. ومـؤثراتـه .. فانـه من القصور الفاضح ان يصل بعض شبابنا الى ابواب الجامعات او يكادون وقد اختلطت عليهم الصور .. والمسميات فما يفرقون ايهما تكون رئيسة وزراء الهند ..

أهى « آنديرا غاندى ؟ »

أم انها « منيرة الغامدى ؟! »

ان مفتاح الذهن تهبه المدرسة .. ليس مجرد لوغاريتمات .. او محفوظات او نصوص تقف عند حد الحفظ القاصر وحده .. وانما تتجاوزه وتتعداه الى المعرفة انتسابا .. واكتسابا .. وحسابا .. وحتى يمكن لشبابنا .. ولصغارنا التميز بين ماهو مطلوب حفظا وماهو مطلوب فهما واستيعابا .. وتصورا .. فان علينا ان نفتح ابوابا من التحصيل تتسع لدائرة الفكر .. ولقدرته على الفهم والهضم .. ذلك ان متغيرات التاريخ باتت تفرض علينا ان نجعل من منهجنا الدراسى نهجا ثقافيا وعلميا شموليا يستوعب كل حركة من حوله .. حتى ولو كانت فى اقاصى الارض .. واقاصى المعمورة لم تعد بعيدة .. فقـد اختصرتها الأقمار .. وقربتها الاخبار .. واحالتها منا الى جوار .. لقد سقط الجدار العازل فى عصر العلم .. وبتنا ملزمين ان نعيش العالم كله بالعلم كله ..

الاضرابات .. والاضطرابات

«١٣٤»

الاضرابات و« الاضطرابات » وجهان لعملة واحدة اسمها الاحتجاج .. او الرفض ..

وان كانت الاضرابات تشل شرايين الحياة عن التدفق .. فان الاضطرابات تقطع اوصالها وتسيل الدم على ارصفة الواقع ليصبغها بلونه القانى ..

وعلى مدار الكرة الارضية واتساعها تأخذ الصراعات مناحى واتجاهات متباينة ومتفاوتة .. بعضها يكتفى بالشد .. والبعض الاخر بالرد .. بعضها سلبيا فى ايجابياته .. وبعضها ايجابيا فى سلبياته .. وبين السلبية الموجبة .. والايجابية السالبة تتفاوت النتائج وتختلف النهايات ..

فى العالم الصناعى المحكوم بانظمة وقوانين ضابطة .. تسيطر النزعة المسالمة الحادة .. والجادة .. على ماسواها فلا يكاد أى احتجاج او تظاهرة يتعدى الخط المرسوم له وهو الاضراب الضاغط الذى لا يحمل الى الصدام .. وحين يقع فانما فى أضيق الحدود .. وفى اضعف آثاره .. ويمكن السيطرة عليه بحكم تحكم النقاش .. والتفاوض .. وطرح المشاكل على بساط البحث .. أما العالم المتخلف الذى يفتقر الى التنظيم والذى لا تحكم ضوابطه وعلاقاته الاجتماعية أية أنظمة او قوانين .. فانه بحكم الفوضى .. والتشرذم يتجه الى الصدام المجنون ويركب مطية العنف والاضطراب بحثا عن بغيته .. وبعثا لبدائيته .. فى دنيا التخاطب .. والمنازلة ..

وحيث توجد مظلة العدل .. والحق .. فان الانسان ابدا لن يرفع رأسه صارخا ولن يرفع عقيرته ضاربا .. ولا محاربا .. لان وثاق الحب فى اعماقه اقوى من كل نزعات « الاضراب » او « الاضطراب » لانه الاقوى مع العدل والحق ..

الصدى الموجع

« ١٣٥ »

« اللى مايمسك حرامى .. حرامى »

عبارة ترددت على شفتى رجل ابصرته يطبع اقدامه على الارض فى تلكؤ وتردد .. كانت الى جواره صبية تتابعه كالظل .. عرفت منها انها ابنته .. او قريبته .. سألتها عن الرجل .. قالت انه « ابى » .

سألتها عن عبارته المتكررة ماذا تعنى .. قالت :

« منذ سبعة اعوام اقتحم علينا بيتنا فى احدى حارات المدينة العربية الكبيرة لصوص سرقوا من ابى حصيلة عمره .. لم يكتفوا بما سرقوا .. وانما اوثقوه واوسعوه ضربا حتى فقد عقله .. وهربوا .. وضاع من أبى كل شىء .. ماله .. وعقله .. وهو الآن يذرع طرقات المدينة فى شكوى شاردة .. وكأنما يشير الى كل الناس من حوله .. انهم لصوص .. وقتلة .. وانهم سرقوا .. او أنهم سهلوا طريق الهرب لمن سرق .. دون ضبطه .. او إدانته ..

قالت الصبية :

« لقد كان ابى مسالما .. لا يؤذى .. ومازال مسالما .. لا يؤذى .. انه يكتفى بطرح عبارته تلك ليسمع من حوله ان عنصر الشر .. وان روح الجريمة مازالت تتحرك من حوله دون ان تقع فى شراك المساءلة والعقاب ..

قلت :

« وماذا بعد ؟! »

قالت :

« لا شىء .. غير ماترى .. لا شىء .. »

وتحركت مسرعة تلحق بركب ابيها .. وليبتلعها الشارع الطويل .. المنهوب باقدام المارة ..

الجهد الناقص
«١٣٦»

يتساءل البعض ...

« اين الرسالات العليا على مستوى الماجستير .. والدكتوراة .. ؟! لماذا لا تطبع ؟ لماذا يغطيها غبار الاهمال على ارفف المكاتب ؟! .. أليس لها من القيمة العلمية مايشفع لها على الظهور .. وعلى ان ترى النور ؟!

وهذا السؤال .. او التساؤل جدير بالاجابة من لدن جامعاتنا والمؤسسات العلمية التى ينتمى اليها اولئك الخريجون .. والذين قدموا عصارات أفكارهم وتجاربهم .. وممارساتهم .. طيلة اعوام الدراسة الطويلة الشاقة .. واودعوها دراساتهم التى هيأت لهم فرص النجاح والتخرج ..

ولست ادرى سببا واحدا يشفع لنا فى اهمالها .. سيما ونحن امة نامية تفتقر الى الكثير من المصادر .. والمراجع .. والدراسات العلمية ذات العلاقة بماضينا وحاضرنا .. ومستقبلنا .. سيما وان هذه المعطيات العلمية ثمرة مجهود .. وحصيلة جهد لابنائنا الذين عادوا ورؤوسهم مملوءة بالافكار الطموحة وبالخبرات الواعية .. والمضامين الحية التى تتحدث عنها رسائلهم العليا ..

ان من أوجب واجبات جامعاتنا ومؤسساتنا المتخصصة ان تنفض الغبار المتراكم على هذه الاطروحات وهى بالمئات ان لم اقل بالآلاف .. واثراء مكتبتنا العلمية بها كزاد من المعرفة والتجربة الرائدة لابد منه .. ولابد من الرجوع اليه فى دفع عجلة سيرنا وتحركنا على شتى المستويات .. وهو مطلب ملح لا يحتمل التأخير .. ولا التفكير .. لانه يحتل اول قائمة الاولويات التى لا يجادل فيها احد ..

وماأخال الجهات المعنية الا فاعلة باذن الله .. وهى فاعلة ..

المتكبر والمتواضع

« ١٣٧ »

من هو المتكبر .. ؟!

ومن هو المتواضع ؟!

المتكبر هو ذلك الذى يعطى لنفسه اكثر مما يستحق .. ويضع نفسه فوق مايستحق ..

والمتواضع هو ذلك الذى يعطى لنفسه اقل مما يستحق ويضع نفسه دون مايستحق ..

الاول يتعالى على حجمه .. وينظر الى الاشياء من حوله بالمنظار المصغر لان موجة الغرور اغرقت منافذ ابصاره .

وعادة المتكبرون هم اكثر الناس جهلا بانفسهم .. واكثر الناس جهلا لغيرهم .. وهم اسرع الناس وقوعا .. وانكفاء .. ونبذا ..

اما المتواضعون .. والتواضع لا يكون الا مع العقل والعلم .. اما هؤلاء فانهم امام وعيهم بعظمة الخالق وكبريائه تتضاءل احجامهم الى الدرجة التى لا يحسون فيها بانفسهم .. لان درجة الحضور امام الكبرياء الالهى لا تدع مكانا ثانيا لغيره .. وكما يتداعى المتكبر .. ويتهاوى لانه حجب عن كبرياء خالقه .. بما صنعه لنفسه من رداء ليس لبوسا له .. فان المتواضع امام عظمة الله .. ومع خلقه يتسامى بذلك التواضع قدرا .. وقدرا .. قمة .. وقيمة ..

ومن تواضع لله رفعه ..

ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه .. فتعامل مع غيره بواقعية الانسان البسيط .. وبعقلية الانسان الفطرى .. دون قناع .. يحجب حقيقته .. ودون تعال يزيف صورته .. وبصيرته .. ويطرده من رحمة الله .. ومن حب الآخرين له ..

خوفا على النهاية لماذا نبكى ؟!

« ١٣٨ »

انسان ما ، مات بعد ان بلغ من العمر عتيا لمـاذا نتفجع ونتـوجع عـلى موته .. ؟!

لماذا لا نبكى على حياته الاخيرة التى لا حياة فيها .. ؟!

لماذا الدموع لراحل .. وعلى راحل رحل ولم يبق من عمره الا مايثير الدموع فى احداق محبيه ..

إن الحياة احساس بها .. تطعم لها .. وحين يفتقد الاحساس .. ويتوارى الطعم تنتهى الحياة .. وحتى لو كان صاحبها حيا ..

ان الذين يخشون رهبة الرحيل لموتاهم .. عليهم أن يدركوا أن الرحيل ليس باسلام الانفاس .. وببرود الجسـد وتمدده عـلى فراش المـوت .. ان الرحيل هو ان يكون الحى اللاحى هامشيا يقضى ارذل عمره دون احساس منه بما حوله .. ودون ايناس منه لما حوله ..

ان تبعات العمر العاجز المتأخر تظل ثقيلة بوطأتها .. مثقلة بهمومها .. وغمومها .. وغيومها على افق المتحركين من حولها ..

ولن يكون الانتظار الباكى الا احد تلك الهمـوم .. وتلك الغموم .. وتلك الغيوم المثقلة بصبرها الموجع ..

واذا كانت طبيعة الانسان مجبولة على كره الفراق .. ومرارة الرحيل .. فان طبيعة الحياة وهى الاهم تأبى الا أن تكون القادرة والقاهرة على ضبط قواعدها فى مسار الرحلة .. والنقلة بين ماتريد وهـو العاجـز .. وبين مـالا تريد .. وهو المحتضر ..

والدموع .. اذا كان لابد منها لراحل أنهى شوط حياته .. كل حياته .. لتكن دموع وفاء .. ودموع ايمان بنهاية عمر لابد من نهاية آلامه .. وهكذا الشمس كالعمر لابد له من أفول بعد ان يقطع مسافة الرحلة ..

مع من .. وضد من ؟!
«١٣٩»

مع من .. وضد من ؟!..

نحن مع قوة الاسلام .. وضد ضعف المسلمين وتشرذمهم .. وتخاصمهم ..

نحن مع الحق .. ومع كل من ينصر الحق وينتصر له فى هذا العالم ..

نحن ضد الباطل .. وضد كل من يقف مع الباطل ويسنده ..

هكذا .. وببساطة ووضوح جاء خطاب « الفهد » فى المؤتمر الثالث للعالم الاسلامى ليضع النقط على الحروف دون لبس او تعمية ..

نحن ضد الاتحاد السوفيتى .. ضد حربه وتدخله العدوانى فى افغانستان المسلمة .. نحن ضد امريكا .. ودعمها الأعمى الظالم لاسرائيل ..

نحن ضد الوصاية الدولية .. ضد تدخل مراكز القوى العالمية فى شؤوننا .. ومصالحنا .. نحن مع الذين يتفهمون قضايانا بروح من التجرد ..

نحن مع الذين يمدون لنا اليد من اجل البناء .. والتعاون المشترك لما فيه خير المجموعة ..

ونحن ضد الذين مازالت تسيطر عليهم نزعات التحكم فى مصائر الشعوب وقضاياها ..

نحن ضد الاستعمار ايا كان شكله .. وايا كان إشكاله .. وايا كان القناع الذى يختفى من ورائه ..

نحن ضد الاستعمار .. ونحن ضد الاستبداد .. ونحن ضد القاموس الذى يصنف البشر الى قوى وضعيف .. الى سيد ومسود .. الى مستعبد بكسر الباء ـ والى مستعبد ـ بفتحها ..

نحن مع الحرية .. ومع المناضلين من أجلها حتى ولو كانوا فى اقاصى الارض،ذلك ان الحرية حق مشاع لكل البشر لا يتجزأ ..

ومن أجل الحرية والانسانية جاءت كلمة الفهد .. منصفة .. متزنة .. عادلة وعاقلة .. فهل يعقلون .. ويعدلون .. ؟؟!

الحياة المحطة

« ١٤٠ »

الحياة محطة .. والناس من حولها ينتظرون .. كل واحد منهم ينتظر قطاره فى رحلة مابعد عالمه الأول .. الى عالمه الآخر ..

ويتفاوت الانتظار .. بالنسبة لتحرك كل قطار ..

قطار الفجر حيث تتحرك الطفولة مبكرة فى رحلتها ..

قطار الظهر حيث تتحرك الرجولة فى موعد وسط مع البداية ومع النهاية .

وقطار المساء حيث ترحل الكهولة فى موعد متأخر بعد طول انتظار .. واذا كان قطار الفجر .. حيث يرحل الصغار لا يتطلب زادا لمسيره لأن رحلته جاءت مبكرة قبل أن تنضج الثمار وقبل ان تؤتى أكلها ..

فان قطارى الظهر والمساء يتطلبان زاد الرحلة .. لمرحلة مابعد العبور .. الى العالم الثانى ..

ترى هل فينا من لا يطمع ان يعد وان يجد الزاد حين تجد راحلته عبر صحراء شاسعة قاحلة لا ماء فيها .. ولا نماء .. ؟!!

ترى هل فينا من يملك القدرة على مواجهة المجهول دون اعداد .. ودون استعداد ؟.. دون سلاح يعبر به جسر النصر وقنطرة الفوز .. ؟!

لا احد يحيا دون زاد يزيد فى حياته .. ولا احد يحيا دون رصيد يضعه فى ميزان حقه يوم ان تطرح الحقوق امام عدالة السماء فى تصفية لحسابات البشر .. ان اعجز الناس .. وافقر الناس .. واحقر الناس من يمتطى قطار أجله المفاجىء بعد طول مهلة وبعد طول انتظار .. وحين يبحث عن شىء لاخراه .. عن حسنات فى صفحة دنياه لا يجد .. وربما وجد الوجه الاسود الآخر لعملة التعامل فاضاف الى افلاسه عويل ناسه .. واضاف الى مساوئه مساوىء غيره ..

الرحلة لابد منها .. لابد وان يتحرك بنا القطار فجرا .. او ظهرا .. او ليلا .. وعلينا ان نكون مستعدين بأثمن مانملك .. بأثمن مانعطى .. وبأثمن مانأخذ .. كزاد فى رحلتنا الى مابعد الموت .. وكزاد للحياة لما بعد الحياة ؟

الحضارة عطاء .. وأخذ

« ١٤١ »

الحضارة تعطى .. وتأخذ

تعطى الكثير .. الا انها تأخذ الاكثر ..

من معطياتها انها تهب النعيم .. وتعطى النعومة لاصحابها ..

من معطياتها انها تذلل امام الانسان مشاق حركته وصعابها .. كل شيء في خدمته .. الآلة .. الكهرباء .. العقل الالكترونى .. عوامل الترف والاسترخاء .. الدفء في الشتاء .. والبرودة في الصيف .. القناع الذى يحجب التجاعيد ويغطيها بمسوح شاب مستعار .. وحتى النضارة والحسن .

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب

أشياء .. وأشياء كثيرة اعطتها الحضارة للمتحضرين ترى ماذا اخذت من اهلها .. ؟!!

اخذت منهم خصائص البادية الاكثر والاكثر امتاعا .. واشباعا ..

اخذت منهم النخوة .. والاباء ..

اخذت منهم صلابة العود ..

وصلابة الموقف ..

اخذت منهم الكرم .. كرم الفلوس .. وكرم النفوس ..

اخذت منهم ترابط الاسرة ووشائجها ..

اخذت منهم الاعتداد بالارض .. والذود عن العرض ..

اخذت منهم خصائص القبيلة في تقبلها لما هو مقبول .. وفي رفضها لما تأنف منه ..

أخذت منهم روحانية الانسان .. ليتأكل في واقعهم المتحضر ذلك البرد الذى نسجته الصحراء واقيا .. وساقيا .. بعض مما اعطته الحضارة .. وبعض اكثر مما اخذته الحضارة .. وفي الاول يكون الربح .. وفي الثانى وهو

المكتب « المقهى »

« ١٤٣ »

واحد من اثنين هو ذلك الذى يدعوك لزيارته فى مكتبه .. حيث يفترض ان يكون العمل ..

موظف لا عمل له .. فهو يضيق بفراغه .. ويأنس الى انسان يتحدث معه ليقتل به ذلك الوقت الرخيص الضائع ..

او موظف لا يقيم لعمله وزنا .. ولا لوقته حسابا .. فهو يؤثر استرخاء الثرثرة مع زائر على اجهاد فكره .. واشغال ذهنه .. باشياء عهد اليه القيام بها .. دون رادع من مسؤولية ..

وفى كلتا الحالتين .. تتساوى النتيجة .. ويتماثل الحصاد .. ولعلى كغيرى من الكثيرين لا يستطيبون ظاهرة زيارة المكاتب اذا ماكانت تلك الزيارة خارجة عن اطار مسؤولية العمل ومسؤولية الموظف ..

انها حين لا تكون ذلك فهى اشغال ظالم للعمل .. وارباك ظالم للموظف ولوقته معا يضيع الكثير من المسؤوليات .. والمهمات .. والحسابات .. ويدفع الى تراكمها .. وربما الى ضياعها .. وبذلك تضيع حقوق كثيرة لا ذنب لاصحابها فى ضياعها ..

ان الاولى بنا ان نقفل ابواب حكايتنا عن كل مايفضى الى التسيب .. والاهمال .. او الاغال .. وان نفتح دورنا وصدورنا ترحابا لمن يطمعون فى الزيارات الحبية .. او على الاقل اذا كان لابد مما ليس منه بد .. فلتكن ساعة او مايشبه الساعة قبيل نهاية التزام العمل اليومى .. نستقبل خلالها من شاء الزيارة .. وبشكل ثابت مستقر .. واذا كانت هذه الساعة شر لابد منه بالنسبة لحسابات العمل ونتائجه .. فهى دون شك أخف الضررين وطأة .. حين لا يكون هناك خيار يمكن الأخذ به فى حرية ..

عجيبة هى المرأة

« ١٤٣ »

عجيبة هى المرأة .. وليست بالقطع كل النساء .. وانما بعضهن .. ولعلها القلة - منهن .. انها تريد زوجها شابا دائما .. محتفظا بكل طاقاته وقدراته الجسمانية .. بكل واجباته فى الاخصاب والانجاب حتى وقد تجاوز الستين .. او السبعين من عمره ..

الوجبات محسوبة عليه .. مرصودة فى حساباته .. والويل له حين يكل .. وحين تقل تلك الوجبات .. ولا اقول تقتل ..

ان خيطا من الظنون يقفز فى سماء العلاقة بين الزوجين .. ولماذا ؟!

لابد - وهذا تقديرها من طارىء غير الشيخوخة والعجز فعل سحره .. وترك بصماته .. وهنا تكمن الخطورة غير العاقلة فى مجرى حياتها الخاصة ومايجب ان تعيه المرأة .. كل امرأة .. ان الرجل طاقة محدودة محسوبة .. تشتعل قوة فى شبابها .. وتشتعل وهنا فى شيخوختها .. انها تتآكل حيث يتآكل العمر .. حتى لا يكاد يبقى منها الا الذكريات ..

وتبقى الثقة .. والتقدير الواعى لحسابات الزمن افضل شريحة لما يطلب .. ومايمكن التسليم به ..

وحتى لا ينكفىء الاناء مهدرا كل مافيه من ماء .. وحتى لا تسقط المحصلة بكل مافيها من حصيلة .. فان التسليم بواقعية العمر الثالث امر مطلوب بعيدا عن الاحراج .. وبعيدا عن اخراجه من طور العجز الى طور التعجيز .. وشده الى ربط من الشك .. قد ينتهى الى مايشبه الشرك .. والاحباط القاتل لبقية البقايا من العمر ..

وبعد يا ع . أ . ع . أليس فى هذا ملخص لمشكلتك ؟!

حين تتنافر الأشياء

« ١٤٤ »

لو قدر لك وصادفت عربيا يرتدى زيا عربيا متكاملا ..

ثوبه الطويل .. وعباءته الواسعة .. سترة رأسه أو غترة رأسه وقد عقلها العقال .. ورأيت اضافة الى هذا ربطة عنق تتدلى فوق صدره ..

انك ستحتار دون شك .. وستطرح على نفسك سؤالا بالقطع .. هل انك ترى عربيا .. أم غربيا .. وستخلص الى نتيجة واحدة هى ان ماترى يمثل خليطا متنافرا وستقفز الى ذهنك حكاية الغراب الذى طلق مشيته ليقلد الحمامة .. فاضاع مشيته ومشية الحمامة معا ..

هذا التشبيه أوردته وأنا أتحسر على واقع موسيقانا الشرقية التى بدأت تفقد أصالتها .. وشخصيتها وسحرها بفعل اقحام الآلات الغربية باسم التطوير كما يرى البعض .. وباسم التشويه والتزوير كما يرى البعض الآخر ..

واذا كان الشرق شرقا .. والغرب غربا .. ولن يتلاقيا لان لكل منهما عناصر تكوينه .. ومقومات شخصيته المستقلة التى تميزه عن الآخر .. فان الموسيقى الشرقية لا يمكن ابدا ان تكون شرقية بعامل مانقحمه عليها من ادوات وآلات تطال سحرها .. وتنال من رتمها المميز .. ونغمها المتميز .. وايقاعها الاصيل الجميل ..

وكالبيت الشرقى بتفاصيله .. وزخرفاته .. فانه لن يكون شرقيا باضافات القرميد والزوايا والمسطحات المستوحاة من الهندسة المعمارية المستحدثة والمستوحاة من الرسومات الغربية ..

كذلك الموسيقى .. انها لن تكون شرقية مالم نحتفظ لها بآلاتها المميزة .. وبأجوائها الخاصة التى تدل وتشير الى اصحابها .. بما تطرحه من تعابير .. وانغام .. وصور وحتى لا نكون كالغراب التائه فى مشيته يجب ان نحتفظ لموسيقانا بأوتارها .. وبافكارها بعيدا عن التطوير المشين .. او التزوير المهين .. هكذا افهم .. ومن أجل هذا فانا أتألم واتكلم ..

« ١٤٥ »

لكل ضعف لطف ..

وللمصيبة احيانا مردودها الايجابى الذى يجنيه المصاب استثمارا لمصيبته دون ان يدرى .. بل ودون ان يحس ..

و« الحزن الخلاق » كما يطلق عليه علماء النفس .. او اليتم الذى يتعرض له الصغير بفقد ابويه .. او كليهما .. ويدفع به فى خضم الحياة .. وعراكها معتمدا بعد الله على قدراته الصغيرة فى مواجهة ماحوله .. هذا الحزن الخلاق الناشىء عن اليتم .. والمترتب عليه يعطى فيما يعطى حصيلة النبوغ .. وخصائصه .. الناشئة عن المعاناة الذاتية للطفل ... والممارسة الذاتية له .. باعتباره وحيد المعركة فى حياته .. واثبات وجوده دون ساعد .. او مساعد ..

تقول الدراسات العلمية ان النسبة الكبيرة للنابغين فى شتى الحقول والميادين .. وفى شتى الازمنة هم من اولئك الذين استفرد بهم الدهر لحظة حزن خلاق او يتم فصقلهم .. وعركهم .. وايقظ فى اعماقهم كل حواس النفس .. وكل قدرات الحركة .. والابداع ..

تقول الدراسة .. ان الأيتام .. الذين نشأوا تحت مظلة العوز والمجابهة .. استثمروا كل خواص نفوسهم الابداعية .. وافرغوها فى محصلة التاريخ دالة عليهم .. شاهدة لهم .. ناطقة بهم مردودة فيهم .. ذلك ان الحزن الخلاق اكبر مدرسة نظرية وعملية لانجاب .. واخصاب الفكر وللتعامل معه ..

مات الرجل

« ١٤٦ »

قال لى :

لقد مات الرجل

قلت :

بل قل رحل الرجل بجسده اما موته فقد كان منذ اعوام .. منذ ان طلق عقله .. وركب عقيرة عاطفته ..

ان موت الرجال لا يكون باسلام الانفاس .. وانما باسلام الاحساس وصاحبنا قبر حسه فى سجن هواه .. وركب رأسه .. وراح يناطح بقرنيه الواهيين .. الواهنين صخرة الحياة .. فانهال عليه الصخر .. رغم صوته الملعلع فى فضاء الناس ..

انه مجرد جثة تتحرك .. كالدمية التى يحركها المفتاح المشدود اليها . انه بقايا من حطام على ارضية الواقع .. هكذا اراه .. رغم ضجيجه المفتعل .. وتهريجه المنفعل .. والتلويح بيديه فى وجه المذكرين .. والمستذكرين .

مات .. منذ ان توقف فى الدرب .. ومات اكثر منذ ان تراجع عن الدرب .. وترك لقافلته النكوص رغم وضوح الرؤية ..

ان حياته انتهت بانتهاء جفاف مدادها .. وبانتهاء استعدادها على قتل الشك باليقين .. والغواية بالروية .. والعاطفة بالعقل ..

قل انه رحل بجسده .. والجسد حين يرحل دون روح لا احد يفتقده .. بل لا احد يترحم عليه .. بل لا احد يذكره مهما كانت قدرة الذاكرة على استيعاب الراحلين ..

انه مجرد نقطة سوداء تلاشت .. وضاعت فى مهب الريح والنسيان ..

الأذواق ليست مقياسا

« ١٤٧ »

اذواق الناس قد لا تكون احيانا معيارا او مقياسا يؤخذ به فى الاحسن ولا فى الاسوأ ..

انها مجرد اذواق تطعم الشيء وتفرز بعد ذلك تقبلها له .. او رفضها له .. قد ترفض الجيد .. وقد تتقبل مادون ذلك ..

ويبقى الجيد جيدا رغم رفضه .. ويبقى الردىء رديئا رغم الاخذ به ..

ولنأخذ من الطعام مثلا نضربه فى تذوقنا واذواقنا ..

« الملوخية » مثلا .. وهو طبق يفضله الكثيرون لا يطيقه البعض .. لا أكلا ولا شما .. ولا حتى شكلا .. وانا واحد من هؤلاء البعض ..

« البطاطس » وهو دون الملوخية .. فينا من يرى فيه طبقه المفضل دون منافس .. بل ان فينا من يرى فيه البديل الامثل والمفضل عن طبق « الفقع » الخرافى.. الثمن .. والخرافى الاشتهاء لدى البعض .. وانا واحد من هؤلاء أيضا ..

مجرد مثل لطبقين او ثلاثة اختلفت فيهما الاذواق .. وتباينت فيهما الرغبات .. بنفس الحجم والصورة التى تتباين فيها نظراتنا .. وتقديراتنا لاشياء كثيرة .. منها الجيد ومنها الاجود .. ومنها مادون ذلك .. الا ان لكل منها عشاقه ومريديه .. واللاهثين خلف احتوائه ..

ويبقى الحكم على الاشياء من منطلق التقبل لهضمها واستيعابها وتذوقها لا من منطلق تميزها وندرتها وافضليتها ..

مجرد اذواق .. ومجرد تذوق لا يصح ان يكون معيارا على الاحسن .. ولا مقياسا على الاثمن .. ان مجرد اختيار شكلى لا اثر للاختيار العقلى فيه ..

اللون الأخضر المطلوب

« ١٤٨ »

لونوا وجه تربتنا الحبيبة باللون الاخضر .. انها متعطشة الى الخضرة .. الى اخضرار الاشجار فى كل طرقاتها .. وساحاتها ..

اخلعوا عليها برد الربيع الدائم لكى ترضى النفوس .. وتزهر الرؤوس .. وتسعد الاعين .. وتمتد الأرجل ..

ان الشجرة لوحة جمالية تنصب على هامة الارض .. فتمنحها الرضى .. وتمتص كل مافيها من فراغ .. وصلع ..

لن نخسر جهدا بذلناه .. ولن نخسر مالا انفقناه فى سبيلها .. ولن نهدر ماء سكبناه على حوضها ..

لن نخسر شيئا من ذلك .. لاننا ربحنا النتيجة (أصلا) و(ظلا) و(جمالا) ربحنا اخضرارا يملأ العين بالهدوء .. ويشيع فيما حوله جوا مخمليا يتسامى بوروده .. وباغصانه .. وبافيائه وظلاله ..

ان كل شجرة تقام فى مدننا وقرانا .. وعلى طرقاتنا الواسعة الممتدة اضافة حضارية .. ضرورية .. لا يمكن تجاهلها .. ولا التقليل من شأنها ..

ان الهامة دون شعر .. كالمدينة دون اشجار يشينها الصلع مهما كانت قسمات الوجه حلوة .. ومتناسقة ..

الاشجار كالشعر فى رأس الانسان .. وحين يتعرى جبين الارض من شعره من اشجاره يبدو هرما خريفى الشكل .. ويبدو اصلع بشع الصورة والمطلوب لهامة ارضنا ان لا تكون صلعاء .. انها شابة وشابة تنبت فى سخاء شعرها .. وعلينا ان نزرع فقط لتنبت الارض ..

« ١٤٩ »

المدخل التاريخى للاشياء هو ان يكون رصدنا لها امينا بعيدا عن عاصفة الهوى .. وعاطفة النفس ..

فلا الانتقاء رصد امين للاحداث .. ولا الجنوح فى الاختيار عن هوى يمكن ان يكون ايضا مدخلا امينا موصلا الى احداث التاريخ وحوادثه .. كلاهما التهويل .. او التهوين يؤثران على نقاء الصفحة ونزاهتها ..

التاريخ بمفهومه الواسع هو الحركة الذاتية المستمرة المتصارعة .. والمتعارضة .. المتفقة والمختلفة .. المقبولة وحتى المرفوضة .. انها سمة من عصر .. وحلقة مربوطة ضمن سلسلة طويلة ممتدة .. ولكى نصل الى محراب التاريخ فى طهر فان علينا ان نتجرد فيما ننقل عن وازع الهوى .. عن الكراهية المنجذبة الى السلبية والحجب وعن الصداقة المشدودة الى الاضهار .. والانهمار ..

ولكى نصل الى ذلك المحراب عن قناعة فى نقلنا .. وعن اقناع لغيرنا يجب ان يكون سردنا للاشياء شموليا بكل جوانب الضعف فيه والقوة .. بكل الملامح .. وكل النقاط وكل النقط المتناثرة على صفحته حتى ولو كانت نقطة سوداء لا تعجب ولا تزين الصفحة ..

ان امانة النقل وحدها هى المدخل التاريخى لرصد الاشياء ولتدوينها .. اما الحكم على تلك الاشياء .. اما فرزها وتصنيفها فتبقى الكلمة فيه للتاريخ .. لانه وحده الذى لا يظلم ..

الولادة

« ١٥٠ »

الولادة .. او المخاض منها مايكون ميسورا .. ومنها من يكون عسيرا يتطلب عملية قيصرية شاقة .. ومثل ولادة الصغار لدى المرأة تكون ولادة الافكار لدى العالم والمفكر .. انها احيانا تأتى سهلة الانقياد مطيعة .. واخرى تستعصي ولادتها .. وحين تولد تأتى ناقصة النمو .. او مشوهة التكوين .. والذين يحسون كم هى صعبة ولادة الافكار .. يدركون كم هو الاصعب والاصعب ذلك المخاض الذى تعانيه الأم لحظة ولادة بآلامها ومعاناتها .. وكما يكون شعور الأم بعد يسر ولادة بطفلها معاق فى صحته مكتملا فى تكوينه يكون ايضا شعور المفكر بعد ان يلد افكاره او صغاره دون نقص يعيبها او تشويه يشينها .. او عاهة تنال من نموها وسموها ..

النساء تلد .. وتمد الحياة بمن يتحرك فى رحابها وشعابها لملء فراغاتها .. والمفكرون يلدون ويمدون الحياة بروافد الحركة .. وبسواعدها التى ترسم خطوط الحركة .. وتنسج خيوطها ..

وبين الولادتين ولادة الصغار .. وولادة الافكار يتداح أفق الحياة الرحب مشبعا بالنمو والانماء .. بالخصب .. والانتماء .. بالحركة .. وبالمحرك .. بالساعد .. وبالمساعد ..

كلتاهما ولادة .. وكلتاهما متلازمتان ملازمة الظل للشيء .. ملازمة الصورة لاطارها .. بل وملازمة الحياة لاوتارها التى تعزف لحن اليقين .. لتوقظ أسماع الغافين .. أو الغافلين .. والمتغافلين ..

الربيع .. هو الربيع

« ١٥١ »

غصن عار يتدلى من شجرة خريفية الاوراق والعمر أشهى الى العصفور واحب من قفص حديدى ذهبى قابع وسط حديقة غناء .. وارفة الظلال .. فى الأولى ..

قد يكون فى الأولى خسر الصور الجمالية .. والظلالية من حوله الا انه كسب حرية الحركة .. الا انه فى الثانى كسب كل شىء حوله وخسر نفسه ..

وكالعصفور يأتى الانسان نفسه اسير ذاته وشهواته .. او طليقها .. .

ان وثاق النفس يجردها من كل ماحولها .. حتى ولو كان كل ماحولها يبعث على الراحة الشكلية الظاهرة .. القاهرة .. انها حين لا تحس بانعتاقها من قيدها تظل حبيسة الحركة .. تائهة الصورة .. واهنة الصوت مهما كانت المسافات امامها ممتدة .. ومهما كانت الاخيلة امامها مرتدة .. ومهما كانت الاصوات امامها مجسمة صاخبة ..

ان شعورها المقيد فى اذلال يحبس عنها كل استشعارها بما يحيط بها من عوالم .. وأخيلة .. ومسافات ..

وحين ينفك عن النفس رباطها .. ووثاقها .. فانها تحلق كالعصفور فى نقلة سريعة منتشية بين غصن وآخر .. حاملة معها احلامها البنفسجية عبر مسيرة انعتاقها وانطلاقها .. مستلهمة من حرية تحركها معانى الربيع .. ونضارته وخضرته .. حتى ولو كانت تلك النضارة .. وتلك الخضرة لا ترى بالعين المجردة ..

ان الربيع للعصفور .. كالربيع للانسان .. ان يملك القدرة على التحليق .. ان لا يخفق بعامل الحد .. او الشد .. او القيد .. وتلك حياته .. وذلك هو ربيعه .. ؟

« القِمّة » و« القُمّة »

« ١٥٢ »

حـركة واحـدة تفصل بـين « القمة » بكسر القـاف .. وبين (القمـة) بضمها .. القمة التى تعنى الذروة للاشياء .. والقمة التى تعنى الحضيض للأشياء .. ولا يكاد يخلو مجتمع من المجتمعات البشرية من قمم تتعشق ضوء الشمس .. وتستشرفها .. نهـارا .. واستثمارا .. وتبـذر فى جبينها بـذرة الانماء لما حولها دون ان تكل او تمل ..

كما لا يخلو مجتمع من المجتمعات البشرية من قمم تربض بين حيطان الزوايا المعتمة يبهرها الضـوء ان تراه .. وينهـرها الصبـاح ان تفيق على خيوطه ..

الذروة فى سموها .. وعلوها .. وشموخهـا تمثل الرصـد الامين لحـركة الانسان وتطلعاته بمنظار تتهاوى امامه الحواجز .. وتتـلاشى امامـه غيوم الحيرة والانبهار .. وتدنو معه المسافات الشاسعة البعيدة .. لانه يطويهـا بسرعة العقل وبارادته .. وبضمير الابصار .. وبصيرته ..

اما السفح فى دنوه فانه مشدود بالقهر والانكسار الى ارضية المستنقـع الراكـد مكتفيا بنقيق ضفـدعـة شـاردة .. لا تحلق كـالنسر .. ولا تتغنى كالكروان .. طبيعة ثابتة فى قاموس التمييز بين متضادين .. متعارضين .. حيـاة الأحياء .. ومـوات الأحياء .. الطمـوح إلى الأعـلى .. والجنـوح إلى الأسفل .. وكلاهما الطموح .. والجنوح طرفا خيط واحد ممتد بين القدرة على التحرك .. والعجز عن تحريك الارادة .. النبض القادر فى الأولى .

والشلل العاثر فى الثانية .

الرياضة كما يجب ان نفهمها

« ١٥٣ »

الرياضة قبل ان تكون حركة جسمانية .. فهى سلوك اخـلاقى منضبط يرقى بصاحبه الى مستوى اللياقة العقلية والجسمانية .. والفكرية ..

انها تنافس شريف بين مهارات اعدت .. واستعدت لكى تغذى الطموح الدائب بينها .. ولكى تكون حركة حياتها دفعا الى الاحسن .. والأفضل .. والأمثل ..

وحين يخرج فهمنا عن هذا الاطار .. ونتعلق بحبل التعصب الأعمى لهذا الفريق ضد ذاك بعيدا عن الروح الرياضية نكون تخطينا مفهوم الرياضة .. وحطمنا أساس البناء الذى أقيم من أجلها ..

إن تشجيعنا يجب أن يكون للأحسن .. للأكثر انضباطا وسلوكا .. وان لا نتجاوز فى تشجيعنا لفريق انتسبنا إليه حدود اللياقة .. والأدب فى تعاملنا مع الفريق المنافس .. سيان أكان المنتصر هذا .. أم ذاك ..

وكما تطوع الرياضة حركات لاعبيها . فان علينا نحن ان نروض اعصابنا ونكبح جماحها حتى لا تنزلق فى بذاءات القول واسفافات التصرف ونخلق بذلك وضعا من التمزق .. والتضاد ..والتشرذم..

ان الريـاضة فى معنـاها الواسـع ترويض للبنيـة الجسمانيـة والنمـاء الوجدانى كما انها تأكيد على الدور الجماعى والاجتماعى فى تناوله للاشياء من أجـل تحقيق الاهداف .. وفى اذكـاء شعلة المشاركـة على جـادة الفوز والكسب .. وحتى لا نتصور الرياضة مجرد اشغال وملهاة لقتـل الوقت .. دون الاخذ بمضامينها الحية .. فان علينا ان نـرتفع بـالسلوك جمهورا .. ولاعبين ..واندية الى الوضع الذى نرقى معه بها .. لا الى الوضع الذى ننحدر به معها .. او دونها ..

الجنون فنون

« ١٥٤ »

● « الجنون فنون » كما يقولون ..

ولكن اى نوع جديد من الجنون هذا الذى حدثونا عنه ؟!

انه « الجنون المصلحى المؤقت » الذى يزول بزوال اسبابه دون ان يتغير شيء من واقع صاحبه .. لا من قبل .. ولا من بعد ..

ولندع الاستطراد بعيدا لنفضى الى قصة المجنون كما اسموه لردح من زمن .. ثم العاقل كما عرفوه بعد ذلك ..

لقد باع البضاعة باقل مما تباع .. وكان المرشد والرشيد .. وحتى لا تذهب البضاعة بالثمن البخس لم يكن البد من اطلاق اخوته اشاعة الجنون على صاحبنا .. والمجنون كما ندرى فاقد العقل .. « فاقد الشيء لا يعطيه .. وفاقد العقل لا تصح له بيعة » .

ولبس رداء الجنون الذى أعطى له دون آن يجن .. لبسه زمنا باختياره .. او باكراه منه لا ادرى .. ومرت العاصفة .. وعادت الحياة الى مجاريها .. عادت البضاعة .. بعد الشفاعة ..

وعاد العقل من جديد الى صوابه .. وماهرب ..

وانتهت الحكاية ..

انتهت باضافة جديدة فى قاموس الجنون .. ربما يكون لها على جادة المنظور الكثير من المريدين والاتباع ساعة ندم .. ولحظة خسارة ..

وقديما قال الشاعر :

عش طويلا ترى العجب

وهذا بعضه .. أليس فى جنون صاحبنا مايؤكد هذا المعنى فى ضمير الشاعر ؟!

وفى رصده لمفاجأت جنون ماسيأتى ؟

جنون اليوم الواحد .. او الشهر .. الجنون المؤقت .. او المزيف الذى يذوب ويتلاشى مع جرعة صغيرة مهدئة اسمها « المناسبة » ..

هل مات فلان ؟!

« ١٥٥ »

قالوا :

(مات فلان) لانه لم ينجب ..

وقالوا :

● مامات فلان .. لانه انجب ذكرا بفتح الذال .. ومن انجب الولد بات حبل وجوده موصولا ..

وقلت :

.. لا هذا .. ولا ذاك .. يكفى .. الذكر ـ بتشديد الذال المكسورة ـ اهم من الذكر ـ بفتح الذال المشددة .. قد يكون الانسان عقيما ولكنه يموت عظيما ليبقى عظيما فى فكر التاريخ وذاكرته .. وقد ينجب وينجب .. ولكن حياته تنتهى ساعة تنطفىء شمعة حياته ..

الولد لا يكفى لتخليد تاريخ والده .. حتى ولو كان ذلك الابن احد عظماء التاريخ ..

ليس المهم آن يبقى الاسم محفورا على صخرة الزمن .. المهم كيف يبقى .. وكيف يكون ذكره ..

(فرعون) خلد .. و(أبولهب) خلد .. و(هولاكو) خلد و(جنكيزخان) خلد .. ولكن اى خلود يفخر به هؤلاء .. لا شىء مطلقا .. ان خلود المرء هو ان يخلف (ذكرا) حسنا .. لا ذكرا يصل حلقته بمن بعده .. التاريخ وحده هو الذى يبقى .. وما عداه فمجرد اضافة الى رصيد النسب .. مجرد اضافة ليس الا .. !!

العبور من أخصر المسافات

« ١٥٦ »

اذا ما فكرت فى أن تجتاز طريقا فليكن ذلك من أخصر مساحاته .. وأقصر مسافاته ..

انك بهذا تختصر الجهد .. وتوفر الوقت .. وتعطى لمرحلة سفرك .. ولرحلة سفرك نمطا طموحا للاقتراب من النهايات المطلوبة دون إجهاد يقتل .. ودون ابتعاد يضنى ..

ولو أن الانسان فى رحلته .. وأمام مرحلته خطط .. وقدر .. ونسق .. ثم تحرك .. لكانت حصيلتـه من الوفرة .. والكثـرة .. والنجاح عـلى قدر مـا خططه .. وقدر .. ونسق ..

ولكننا فى احيان كثيرة نتحرك وسط متاهات لانحسب لها حسابا فنضيع .. وتتكرر معها خطانا .. وتتضاعف معها اخطاؤنا .. وتجهد معها دابة سيرنا .. ثم لاشىء فى تلك الرحلة المضنية غير المعاناة الفـاشلة .. القاتلة .. ونكـون حينئذ وقعنا فى محظور الحركة .. لاننا لاارضا قطعنا .. ولا جهدا ابقينا ..

واذا ما ادركنا ان الزمن يتحرك .. ولاينتظر .. فان ادراكنا لحركة الحياة يجب ان تكون واعية .. محسوبة .. ومرصودة فى تقديرنا للعمل ونتائجه .. وللوقت وانسلاخه .. والا فاننا سنكون اشبه بذلك الذى يدور فى حلقة مفرغة ما ان تندفع به دون حساب .. حتى تعود به حيث كان دون حساب ايضا ..

والمبصرون هم الذين يتعرفون على مواقع اقدامهم قبل ان تتحرك .. حتى لاتتحرك فى فراغ .

حين يتحول الاكرام إلى إهانة

« ١٥٧ »

ذكرني ذلك الشحاذ الذى يقف أمام باب البيت كل صباح مادا يديه متسولا راغبا .. فيعطى له .. ويعطى له .. وحين ضاق صاحب الدار بصفاقته .. والحاحه المتكرر كل صباح .. ونهره .. راغبا اليه على الأقل ان يزور غبا ليزداد حبا .. كال له الشتائم .. والسخائم وما اكثرها فى فمه .. وما اوفرها فى اعصابه ..

ذكرني .. وقد تذكرت معه صمت الرضى لحظة ان كانت يده مملوءة بالعطاء .. كانت عباراته حريرية مخملية .. بل وكانت عباراته مؤدبة الانسياب .. والانسكاب لانها عبرات الفرح الفائز بما ينشد .. ذكرني .. وقد تذكرت معه صوته الملعلع المفرقع .. وهو يجتر ما فى حصيلته حين قيل له ..

- لاعطاء .. دون وفاء ..

وتساءلت ..

- أبهذه السهولة تطوى صفحات التعامل بين الناس ؟؟!

أبهذا اليسر يحال التراب والغبار على كل ما مضى .. وكأن شيئا لم يكن ؟!

وتذكرت حكمة الشاعر الذى يقول :

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

تذكرت كل هذا .. وقلت فى نفسى ..

- ان بعض الاكرام لمن لايستحقون اهانة .. وقلت مع نفسى قولة المثل « اتق شر من احسنت اليه » .

أيهما الأكبر جهدا ؟!

« ١٥٨ »

أيهما الاكبر جهدا .. والاكثر اجهادا ..؟

الرجل فى عمله خارج بيته ..؟

أم المرأة .. ست البيت .. داخل بيتها ؟!

دون الكثير من التفكير أكاد أقول إن المرأة داخل بيتها تواجـه وتجابـه مشاغل ومشاكل تفوق مشاغل ومشاكل زوجها .. لتنوع مسؤولياتها .. ويكفى الزوجة وحدها تلك المشاق .. والمصاعب المترتبة على تنشئة اطفالها .. وتأمين خدماتهم .. اضافة الى الخدمات الأخرى .. وهى كثيرة .. وكبيرة ، اوردت هذا بمناسبة سؤال طرح على احدى الزوجات المتعلمات ..؟

السؤال يقول ؟

– ماهو العمل الذي تؤدينه ..؟

وحين أجابت ..

– أنا ست بيت .. ومتفرغة لشؤونه ..

لم يرق لذلك السائل جوابها .. وقال مستنكرا ..

– انت جامعية .. وكان عليك ان تكون طموحاتك أكبر ..

وحين اجابته ...

– ان مسؤولية البيت أهم وأعظم من مسؤولية الوظيفة ايا كان مستواها لم يدرك مغزى الجواب .. ولامعنى الجواب .. لم يقتنع .. وكان الحق معها .. وليس معه .. ذلك أن مسؤولية البيت أضخم مما يتراءى لنا .. عبر تصورنا المحدود .. الضيق ..

ويجب ان لانتهم امـرأة متعلمة حـين تفرغهـا لشؤون بيتهـا انها غـير طموحة .. أنها بالقطع تقف على ذروة الطموح دون منازع ..

فكرة .. مطروحة

« ١٥٩ »

الجيش .. أو القوات المسلحة هى درع الوطن الواقى أيام الشدة .. وهى أيضا سياج الوطن البانى أيام السلم ..

وفى العالم المتقدم تبقى العين ساهرة أبدا على الحدود .. وتبقى اليد الفاعلة ممدودة أيضا دائما داخل الحدود ..

بعبارة أوضح .. فان القوات المسلحة تؤدى دورين اثنين متواكبين .. أحدهما الحماية .. والثانى الانشاء والبناء حين لاتكون هناك أخطار محدقة ملحة .. والكثير من المشاريع الكبيرة كرصف الطرق .. ومد الجسور .. وتوصيل الشبكات تقوم بها القوات المسلحة مشاركة فى بناء وطنها ودفع عجلة سيره الحضارى .. سيما اذا كان ذلك الوطن يفتقر الى بعض المهارات أو يعانى شحا فى الأيدى الماهرة العاملة ..

وبلادنا الطموحة بمشاريعها .. وبمشاعرها قد تكون فى أيام السلم محتاجة الى خبرات جيشنا .. والى سواعد جنودنا المفتولة فى الاسهام القادر المشكور على الاسراع فى انشاء الكثير من المشاريع ذات النوعية الخاصة التى تتوافق وخبراته .. وطاقاته غير المحدودة .. ومهاراته المتميزة ..

فكرة أطرحها وأسوقها بثقة .. وتجرد .. وأمانة الى صاحب السمو الملكى الأمير سلطان بن عبد العزيز .. النائب الثانى ووزير الدفاع والطيران .. لعل فيها ما يستحق النظرة .. وما ذلك على سموه وطموحاته التى تعودناها دائما .. بعزيز ..

الأخلاق أولا

« ١٦٠ »

انكم لن تسعون الناس بارزاقكم .. وانما تسعونها بأخلاقكم ..

العطاء .. فى من .. او فى تكشيرة .. أو فى تعال لايسد حاجة .. ولايبهج نفس محتاج .. انه يفسده .. بل يجرده من كل خصائصه .. ويدمى كبرياءه ..

الاخلاق وحدها هى « ترمومتر » التعامل .. هى مقياسه .. وميزانه .. ودون أخلاق فان الأرزاق تتحول الى بضاعة خاسرة .. الى صفقة تصفع وجه المعطى .. وجبين المعطى له ...

والمادة وحدها لاتستطيع شراء الأصدقاء .. ولا إذابة العدادات بين الأفراد حين تكون هناك عدادات ..

قد تهيل عليها طبقة من الجليد البارد تؤجل فى انفجارها .. أو ذوبانها .. إلا أن هذه الطبقة سرعان ما تنكسر .. وتنحسر .. ويتعرى الواقع بكل ما فيه من خصام .. وصدام .. وانقسام ..

حتى الصداقات النفعية سرعان ماتنتهى .. لأنها صداقات مصلحية وقتية لاجذور لها فى أعماق النفس .. ولا فى زواياها ..

ويبقى التعامل الأخلاقى وحده يشكل الانضباط السلوكى الواثق من استمراريته متحديا كل عوامل التعرية .. والتآكل .. والاحباط ..

واذا كانت الارزاق تبعا للأخلاق فى توجهاتها .. وتأثيرها فيما حولها .. فان الأخلاق لم تكن .. ولن تكون ابدا تبعا للأرزاق .. لن تكون أبدا تابعة ..

الأخلاق روح .. ومبادىء.. أما الأرزاق فمادة جافة جامدة مالم تتحرك .. وتندرج فى مجرى الروح .. ولا اقول فى مجرى الريح ..

الطير طار

« ١٦١ »

الطير ، طار ..

حمل سعلتى .. وقهقهتى .. وبضع كلمات اخرى .. حملها معه كذكريات

مصى .. ومضى ..

فسحت له الريح ذات ليلة منفذا يتسلل منه .. وهرب ..

أنا حزين لرحيله .. أما هو دون شك فسعيد بذلك الرحيل .. ان حبة

يلتقطها من الأرض فى حرية أشهى لديه من تفاحة ترمى له داخل قفصه

الحديدى المغلق ..

لا أدرى أين هو الآن .. هل انه مازال طليقا .. أم أن قفصا جديدا لمصطاد

جديد قد اوصد امامه منافذ الانطلاق .. وأعاده الى سجن جديد لايختلف

كثيرا عن سابقه ..

قد يكون هذا .. وقد يكون متربعا على قمة شجرة ينقر بمنقاره الحديدى

الحاد أحد أغصانها .. أو أوراقها ..

ولن افاجأ بأحدهم وهو يصرخ مستغيثا مستنجدا ومفزوعا ..

الحرامى .. الحرامى ..

حين تترامى الى سمعه داخل سوار داره وعن قرب قهقهة لايعرف

خلقها .. او سعلة لايدرى مصدرها .. وحين تهب النجدة للقبض على اللص

المتسلل المتوارى تكون المفاجأة .. وتبدأ للطير الهارب رحلة ازعاج جديد

يفرغ فيها كل ما استغرقته محصلته من ذكريات .. ومن قهقهات .. ومن

سعلات .. ومن بضع كلمات نحن نعرفها عنه .. ومنه جميعا .. وليس سوانا

بعد .. وداعا أيها المهاجر .. المهاجر .. فلقد اودعناك كل ما عندنا من حب ..

بخصم الحب ـ ومن حب ـ بفتحها ـ وذلك كل ما نملك ايها « الببغاء »

الهارب .. والضارب فى متاهات المجهول .

الأعمى المبصر

« ١٦٢ »

لطالما قسونا على اولئك الذين لايبصرون بعيونهم .. فقلنا عنهم انهم عميان .. رغم انهم يبصرون ببصيرتهم بعد أن خذلهم بصرهم ..

الأعمى شيء .. والكفيف شي آخر ..

الأعمى هو ذلك الذى ترتد بصيرته لابصره .. فيتجاهل ما حولها .. وترتطم بالأشياء ارتطاما مروعا رغم ابصارها له .. وتلمسها اياه ..

اما الكفيف فهو ذلك الذى يتحسس الأشياء ببصيرته .. يلامسها .. يراها .. يتحاشى الارتطام بها .. رغم انطفاء شعلة الرؤية فى عينيه ..

وشتان بين من يبصرون فما يتبصرون .. وبين من يتبصرون ومايبصرون .. ان احتجاب الرؤية عن المآقى والاحداق ليست كافية لاثبات عاهة العمى عند صاحبها .. وان اتساع الرؤية ووضوحها فى العينين أيضا ليست كافية كدلالة على صحة الرؤية ووضوحها ..

لكم وجد من بيننا كفيف استغرق كل مرئيات الحياة وصورها بمشاعره اللاقطة فحدثنا عنها حديث المبصر البصير ..

ولكم وجد من بيننا من تتسع عيناه المفتوحتان لكل الصور والأخيلة من حوله دون ان يحس بجمالها .. وجلالها ..

الاول هو المبصر « الكفيف » أما الثانى فانه الأعمى « المفتح » .

« انها لاتعمى الأبصار .. ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » ..

النظافة من الايمان

« ١٦٣ »

« يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد »

هكذا علمنا الاسلام .. بل وهكذا الزمنا .. فهل إننا جميعا نأخذ زينتنا عند كل مسجد ؟!

لو أن أحدنا قيل له :

« انك على موعد مع ملك .. أو أمير .. أو وزير أو حتى مع رجل ثرى كبير لذهب يفتش فى ادراجه كل أدراجه بحثا عن أحدث وأغلى ثوب يملك وحين لايجد فانه سيهرع الى السوق لشراء مالايجد استعدادا للمقابلة .. بل انه أحيانا يستعير عباءة حين لايملك ، يستعيرها من جاره أو صديقه .. اذا كانت تلك حالنا عند مقابلة مخلوق .. ترى ماذا يجب أن تكون عليه عند مقابلة الخالق ..

ان من بيننا الكثير من يأتى إلى مسجده وقد أرتدى خير ثيابه .. إلا أنه يوجد أيضا من بيننا من يأتى إلى الصلاة بثياب تفوح منها رائحة اللحم إذا كان جزارا مثلا .. أو رائحة الزيت اذا كان يعمل فى ورشة .. فيزكم أنوف المصلين ويؤذيهم .. ليس هذا فحسب بل إنه بما علق بثيابه يترك بصمات أوساخه عالقة على أرضية المسجد .. وفى سجاجيده .. وحصره .. حبذا لو نبه أمثال أولئك المصلين غير المبالين بنظافة ثيابهم . حبذا لو نبهوا الى تصحيح أوضاعهم ليأخذوا زينتهم عند كل صلاة .. لكى يكون رصيدهم من الحسنات أكثر من رصيدهم من الوزر لقاء ماألحقوه من أذى وما اخالهم الا متجاوبين .. ومستجيبين .. لأخذ زينتهم عند كل مسجد ومع كل صلاة ..

المادة .. باشغالها

« ١٦٤ »

حتى ونحن نصلى أمام محراب الله يأبى جذبنا للدنيا ومشاغلها ومشاكلها الا ان يشدنا اليه مسيئا الى خلوتنا واستذكارنا .. وذكرنا ..

دون حكم جازم قاطع أكاد أقول ان نسبة الذين يستحضرون فى صلاتهم خشوعا .. وتجردا من كل خاطرة مادية تشغلهم قلة .. قلة من بين المصلين ..

هذا يفكر فى بضاعته متى تصل وبكم ستباع ؟ رغم انه واقف يصلى ..

هذا يفكر فى شراكته فى الأرض .. وهل ستربح ؟ رغم أنه مطرق الرأس كما لو كان يستمع الى الخطيب وهو يتحدث على منبره ..

وذاك يتململ بطول خطبة الخطيب لأن نادى متجره يرن فى اذنه مستعجلا ـ مستعجلا خواطر تذكرتها .. وانا ألمح أحد المصلين يوم جمعة .. لقد سقط من جيبه العلوى الصغير قطعة نقدية .. عشرة قروش لاأكثر ..

وهو يهم بالسجود .. سقطت أمامه واستقرت على الارض .. لم ينتظر الركعة او الركعتين المتبقيتين من صلاته ليلتقطها وقد صلى لكنه اسرع إلى التقاطها اثناء سجدته وإعادتها إلى جيبه وبشكل مخل بالتوازن والهدوء يدعو الى الاثارة .. أو الرثاء .. حتى .. ونحن فى خلوتنا أمام الله لبضع دقائق نبقى عاجزين عن أن نتجرد عن مادياتنا التى استغرقت من يومنا اليوم كله ..

نبقى عاجزين عن الانتصار لوقفة الحق .. فى موقف الحق .. دون أن يشدنا التفكير إلى الدنايا .. عوضا عن البقايا ..

قلة .. قلة هم أولئك الذين يستجمعون أفكارهم يعايشون صلاتهم .. ويعيشونها استذكارا .. واستنفارا .. وتجردا عن كل ماسواها .. قليلون قليلون وأرجو أن يكون تقديرى على خطأ .

ونجح الثالث

« ١٦٥ »

يقولون .. والعهدة على القائل .. إن ثلاثة فقراء اجتمعوا تحت ظل حائط وقد مد كل واحد منهم عصقوله .. وراح يتمنى ..

اولهم كان أقلهم ثقافة .. وربما فى تقديره أكثرهم حبا للثروة ..

قال :

اتمنى ثروة كثروة « فلان » وسمى احد كبار أثرياء بلده ..

أما الثانى فكان يعرف بعض الشئ عن اثرياء العالم .. قال : اتمنى مالا كمال هيوبرت هيوز ..

والتفت الثالث الى زميليه .. بعد ان سوى جلسته .. كانت على قسمات وجهه ابتسامة ساخرة لاتخلو من دعابة .. قال لهما بعد ان افرغا امنياتهما فى حصيلة اللاشىء قال :

« أما أنا فاننى أتمنى نقودا بعدد كلمات خطب .. وتصريحات .. ومقابلات زعيم عربى معاصر آثر . ان يكون إفطاره خطبة .. وغذاؤه تصريحا .. وعشاؤه مؤتمرا صحفيا .. ومابين افطاره .. وغذائه .. وعشائه أيضا مقابلات كلامية لا تنقضى » ..

واحتكم الثلاثة .. أيهم الأكثر اثراء بامنيات .. والأكبر عددا برغباته .. احتكموا الى حكيم القرية .. وكان الجواب ..

« لقد فاقكم ثالثكم .. انه الأكبر .. والأكثر عددا .. لو أن شيئا من هذا تحقق .. ولكن .. مادام الأمر مجرد أمان سرابية .. فانكم الأفقر جميعا فى المال .. اما فيما سواه فقد تكونوا الأغنى جميعا من كل من تمنيتم .. ومن كل ما تمنيتم ..

بين زفتين

« ١٦٦ »

كيوم زفافها الى زوجها .. كان زفافها الى قبرها ..

الحد الزمنى الفاصل بين زفافها الى الحياة .. وزفافها الى الموت اقل من أعوام ثلاثة .. شاركت فى عرسها .. كما شاركت فى تأبينها ..

الكراسى التى رصفت فغطت مساحات الغرف لاستقبال المهنئين عند أول زفاف .. كانت هى نفسها الكراسى التى رصفت فغطت مسافات الدار لاستقبال المعزين حين الوفاة ..

كانت وحيدة امها .. وكانت زهرة متفتحة على الحياة بآمالها .. انهت دراستها الجامعية قبيل زفافها الأول الى زوج لم يقدر لها ان تجد السعادة فى احضانه .. كان زواجه منها طمعا فيما تملكه هى .. وما تملكه امها من بقايا ارث .. وحين استنفذ منهما كل ذلك قذف بقناع الحب بعيدا .. وكشف عن حقيقته .. كانت وقفاته الأخيرة معها جائرة ظالمة مستعبدة .. كان عليها ان تختار بين صنوف العذاب .. او الطلاق .. واختارت بعد ان خسرت الحب وبقايا المال العودة الى بيت امها . العودة محطمة باكية ..

كانت ارادتها الشابة اضعف من ان تحتمل كل الذى جرى فتناولت حبوبا لتضع حدا لحياتها .. وامكن انقاذها فى آخر لحظة .. ولكن بعد ان تركت الحبوب فى اعماقها بصمات مرض عضال اخذينهش جسدها الريان الممتلىء ليتحول الى ما يشبه الشبح .. ولم يستطع الطب رغم كل المحاولات ان ينقذها من النهاية .. عام ونصف كانا فى عمرها .. وفى عمر امها أطول من جيل ونصف .. لأنه كان فترة آلام مبرحة .. وترد رهيب ..

ويوم ان ماتت كان صوت امها المخنوق المولول يملأ جنبات الدار .. تماما كصوتها يوم أن زفت لأول مرة .. الفارق ان ولولتها الأولى كانت للاستقبال اما الثانية فانها للرحيل الطويل الذى لاعودة منه ..

نظرة الى مابعد النصر

« ١٦٧ »

البعض ممن يقضى مرحلة التشاؤم فى دخيلة نفسه يقول :

كنا أقوى .. وأصلب جبهة قبل انتصارنا فى أكتوبر .. كان لنا موقف محدد .. وكان لنا موقف موحد ..

كان رفضنا قاطعا لكل وجود طارىء على ارضنا كانت كرامة العربى فى السماء رغم هزيمته عسكريا .. لان كرامته نفسها ظلت خارج اطار الهزيمة تحلق طليقة مع طموحاته وامانيه القومية ..

اما اليوم وبعد انتصار !! اكتوبر ..

فقد انحسرت موجة الصلابة .. وراء ركض لاهث نستجديه يمينا ويسارا .. كل معطياته بضع لقاءات تكرر نفسها وبضعة آلاف من التصريحات تناقض نفسها تارة يشدها الوعد ..

واخرى يقتلها الوعيد ..

ومع هذا وذاك تمزق فى الكيان العربى الواحد تمزق يرفع لوحة تشوهاته حمراء قاتمة بعناوينها .

- الاغتيالات ..
- القطيعة ..
- الرفض ..
- الركض وراء السراب ..
- المجرى الدائم من الدم ..

ولاشىء بعد انتصار أكتوبر حتى الآن الا هذا ..الا هذا فقط .. ومن يدرى حقا تحبل الايام .. ومفاجآتها كثيرة .. ومثيرة ..

الفنانون محظوظون

« ١٦٨ »

الفنانون محظوظون . اولئك الذين تلعلع حناجرهم بالاغنيات أنهم أوفر حظا ونصيبا من زملائهم الفنانين اصحاب الكلمة .. أو أصحاب اللوحة .. أو حتى أولئك الذين يتعاملون مع الفكر إبداعا وفلسفة .. وعطاء ..

ان نصيبهم من الشهرة أكثر .. وان نصيبهم من الاغداق والعطاء اكبر .. صفحات الصحف التى تتحدث عنهم .. كبيرة وكثيرة .

حتى ليكاد يخيل إلى القارىء أن زاوية الفن سوف تطغى على كل ماعداها .. لانها تستحوذ وبشكل أخطبوطى على الحيز الأكبر من صفحات صحفنا ومجلاتنا ..

العطايا السخية لهذا المطرب او لتلك المطربة تتكرر وتتلاحق .. وبشكل مثير فى حجمها .. او فى نشرها .. وكأن الرعاية تكاد تنحصر فيهم .. دون سواهم من الفنانين الذين أعطوا فكرا .. ونتاجا يستحق التقدير ..

أذكر شاعرا كبيرا معاصرا من بلد عربى يعانى من ضائقته المالية .. ومن عجزه ومرضه ينهش الاهمال بقايا عمره دون أن يلتفت اليه احد رغم ماكتب عنه .. وأعرف مؤلف أغان فى نفس البلد قامت الدنيا من اجله ولم تقعد .. اهتماما بشكواه وعلاجه .. ورعاية شؤونه وبشكل مثير ..

بل ان موت مطرب او مطربة يفتح سجلا ضخما من عبارات الرثاء والمذكرات والذكريات ..

بينما يموت المفكر .. أو العالم .. أو الفنان دون أن يحس بموته أحد ودون أن يهتم بمعطياته أحد ..

ليس ما أعنى انتقاصا لحق فنانى الطرب .. فهم كغيرهم من الفنانين لهم حق الرعاية .. الا ان اسرافنا فى تدليلهم وتكريمهم دون غيرهم ظاهرة تبعث على الأسف وعلى الرثاء ..

أكرموا كل من أعطى دون تحيز .. والذين يعطون الافكار الحية لايقلون بحال من الاحوال عن الذين يحركون الأوتار على خشبات المسرح .. أو يرفعون أصواتهم عبر كلمات مموسقة .. قد تثيرنا .. وقد تستثيرنا ..

« ١٦٩ »

في متاجرنا اسلوب جديد للبيع والشراء .. لا يصح الاعتـراض عليه ..

ان مجرد سؤالك عن ثمن بضاعة يفضى بك الى الطرد .. ورفض البيع .

ان عليك فقط ان تختار ماتريد شراءه .. ان تجمعه .. وبعد ذلك ان ترضى بما يحدده لك صاحب المتجر من سعر هو فى معظم الاحيان سعر خيالى باهظ الارباح ..

ليس هذا فحسب .. بل ان عينة واحدة من بضاعة واحدة يتفاوت ثمنها بشكل مخيف بين متجر وآخر .. وكم وددت لو ان الجهات المعنية بهذا الامر عملت على الحد من فوضى البيع .. وفرض الجشع سيما فى اشياء تعد ملازمة لاحتياجات الناس كل الناس .. هى للضروريات اقرب منها الى الكماليات فان بمقدور اى واحد منا ان يقبل فى رضا دفع مايطلبه البائع لو كان هناك تنظيم لعملية الارباح والاسعار .. او الالتزام الاخلاقى من قبل صاحب المتجر لسعر واحد لا يتعداه الا ان الموافقة القهرية من المشترى على شراء بضاعة مادون سؤال او مراجعة تقضى بالمستغل لاستنزاف مايريد من جيب ضحيته ..

لون من التعامل يجب ان يصحح .. ان يوضع له حد .

الصداقة المصلحية

« ١٧٠ »

نمط غريب يحكم جانبا من علاقاتنا الاجتماعية قد نطلق عليه اسم « الصداقة المصلحية او الصداقة الوقتية المشروطة » ..

ويتمثل هذا اللون من العلاقات بين طرفين يرتبط احدهما بالآخر ارتباطا ماديا بحتا .. ينتهى بانتهاء السبب الفاعل لهذه العلاقة .. فمثلا الزيارات الكثيرة لغير حاجة اليها ومثلا الاستقبال او التوديع لغير ضرورة اليه ..

ومثلا الدعوات بمناسبة او بغير مناسبة .. كل هذا وغيره يتلاحق ويتسابق ويتشابك فى عمر المصلحة .. وفى عمر الرغبة او الرهبة .. وما ان يترك العنصر المؤثر مركزه حتى يختفى كل شىء .. فلا أحد يزور .. ولا أحد يستقبل او يودع .. ولا أحد يقيم الدعوات .. بل ولا أحد يسأل ..

إن هذا الضرب من السلوك المادى يقوم على ركائز وقتية لا جذور لها .. ولا أصالة فيها .. ومن هنا فانه سرعان ماينهار ويتلاشى كظل عاجلته الشمس ..

ان أنقى الصداقات وأبقاها ذلك الرباط الذى يشد الواحد منا بالآخر بعيدا عن الاطماع .. وبعيدا عن النفاق .. وبعيدا عن قتل الكبرياء فى نفس صاحبها ..

إن أنقى الصداقات وأبقاها هو ذلك السلوك المتجرد عن كل رغبة أو رهبة .. هو ذلك الذى يبرز فى سويعات الشدة وحين يكرب الكرب ويبتعد الطفيليون عن مسرح الصداقات الزائفة .

إن مظاهر التصنع بالصداقة .. والأخذ بالشكليات لها لون من زيف العملة فى التعامل كزيف النقود لا يمكن صرفه .. ولا الركون اليه .. وهذا مايجب أن نبتعد عنه ..

حين يتحول الفكر الى تجارة

« ١٧١ »

حضر ما على الفكر أن يباع فى السوق السوداء بضعف الثمن على مرأى
منهم من كل الناس دون اكتراث او معالجة ..
امام مفترق شارعى المطار .. الجامعة طلبت من احد الباعة جريدة
الجزيرة ونقدته ريالا .. وانتظرت منه ان يعيد الباقى . الا ان صاحبنا وضع
الريال فى جيبه ومضى ..
وسألته .. وهو يتحرك قائلا :
ان سعر الجريدة عشرة قروش اى نصف ريال .
وطلبت منه ان يعيد النصف الباقى ..
ونظر الى نظرة ملؤها الاستخفاف والاستنكار . وقال :
ان عليك ان تختار بين ريالك وبين الجريدة .
واعترف اننى اخترت ريالى على الجريدة لسبب واحد اننى رفضت ان اقبل
سويا اقل مايقال فيه انه عملية ابتزاز رخيص مرفوض شكلا وموضوعا ..
ان الحكاية ليست حكاية نصف ريال .. انها حكاية التلاعب والتحدى
لمشاعر الناس .. واذواقهم .. بل وذكائهم .
انها عملية قرصنة على مستوى خطير .. يجب ان تتداركها المؤسسات
الصحفية .. وتضع حدا للطفيليات التى تسىء وتستغل ولا ترضى بالسعر
المحدد ..
الموضوع موضوع مبدأ اكبر منه موضوع مادة .. ومتى تساهلت امام
حدى المبدأ فان اجتياحا سوف يجرفنا .. نكون نحن اول ضحاياه حتى على
مستوى بيع الافكار ..

الجدل البيزنطى

« ١٧٢ »

تطالعنا صفحات صحفنا بين الحين والآخر بجدل بيزنطى يرقى إلى درجة المهاترات أقل مايقال عنه انه عرض مرضى مرفوض لا يليق بحامل قلم أن يقع فى شراكه أيا كان حامل ذلك القلم .. وأيا كانت قيمته العلمية أو الفكرية .. ذلك أن النقد كما نفهمه طرح أمين هادىء للافكار .. واجتلاء نزيه للحقائق .. وحين يخرج من مداره العلمى إلى مداه الشخصى يتحول إلى سفه .. وتحامل .

ولقد شعرت بحزن عميق وانا اطالع حربا سجالا من الكلمات النابية الجارحة بين كاتبين شابين طالما كانا منى بمنزلة الشقيقين .. وتساءلت مع نفسى ..

لمصلحة من هذا الذى يكال .. ويقال ؟!

ولفائدة من هذا الذى يطرح .. ويجرح ؟!

وخرجت من كل هذا التساؤل .. بجواب واحد لا ثانى له .. جواب يقول : إن سقطة القلم مرة اعتى وأشد من سقطة القدم الف مرة ..

وخرجت أيضا بنتيجة تؤكد اننا فى حاجة إلى عقلانية الكلمة .. فنحن نملكها داخل اعماقنا .. ولكنها تملكنا حين تنفلت من عقالها وتخرج إلى دائرة الضوء ..

وبعد .. رفقا بالاقلام .. ورفقا بمشاعر القراء .. ورفقا بقدسية الكلمة .. وإذا كان لابد .. فلنقل خيرا .. او لنصمت ..

« ١٧٣ »

في بيوت الله يتبارى المسلمون .. فيرتلون القرآن .. كلهم يرتلون في تظاهرة روحية روحانية محببة الى القلب .

ولعل أيام الجمع حيث يجتمع المصلون هي الأكبر والأكثر مناسبة لاندفاع الأصوات مرتلة لكتاب الله .

وتبقى ملاحظة أود هنا الاشارة إليها .. هذه الملاحظة انه يوجد من بيننا من لا يحسن قراءة القرآن .. فيلحن .. ويحرف الكلم احيانا عن جهل .. وعن غير قصد .. ويقع بذلك في المحظور .

ناهيك بارتفاع أصوات القراء واختلاطها بعضها البعض مما قد لا يتيح للمستمع التركيز على الانصات والمتابعة .. والتأمل ..

ترى .. وهذه فكرة اطرحها على علمائنا الاجلاء .. وفي قولهم الفصل .. ترى لو اختير لكل جامع مقرىء متمكن مجود .. وجيد .. وعهد اليه ان يرتل القرآن على مسمع من المصلين .. كل المصلين .. أليس في ذلك تلافيا لاخطاء البعض ممن لا يحسنون التلاوة .. ثم اضفاء جو من الصمت الوقور المؤمن يكفل لكل المستمعين المتابعة والتأمل لما يقرأ في هدوء .. ووعي .. دون ان ينقص بذلك من أجرهم شيء .

وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه الكريم : « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » .

بين الحصاد والابراض

« ١٧٤ »

كل شيء فى هذا الكون ينتقم .. الا « الرحم »

الحروب تنتقم فتحصد الارواح .. وتحرق ..

الفيضانات تنتقم فتجتاح الارض .. وتغرق .. البراكين تنتقم فتقوض البنيان .. وتدمر

الاعاصير تنتقم فتجتاح الانسان .. وتميت ..

الجوع ينتقم .. فيمتص الاجسام .. ويفنى ..

المرض ينتقم .. فينهش الاجساد .. ويقتل كل شيء فى هذا الكون ينتقم الا « الرحم » فانه يخصب هذا الكائن .. وينميه كما لو انه فى سباق محموم مع احداث هذا الكون وحوادثه « الرحم » وحده يتدفق بعطائه .. ونمائه اسرع من حصاد الحروب .. والفيضانات .. اكبر من حصاد البراكين والاعاصير .. اكثر من حصاد الجوع وضحايا المرض ..

واذا كانت مناجل القتل المختلفة .. ومعاول الهدم المختلفة .. وعوامل الدمار المختلفة لا تشبع من ضحاياها .. ولا تكف عن ملاحقتهم .. ومداهمتهم تارة على غرة .. واخرى على المكشوف فى مواجهة معها فان سنبلة الرحم المخصبة الخصبة تفرز حبوبها فى تكاثر .. وتعاظم .. يجهد كل ادوات الحصاد .. مهما جنت فى الحركة .. واسرفت فى الاجتثاث .. وسارعت فى الحصاد ..

وتلك سنة الحياة منذ الازل .. حين يتعرى عود سنبلة ويتهاوى امام صفعة الخريف لا تلبث الارض طويلا ان ينشق ترابها السخى الوفى على عدة نبتات جديدة تورق وتغدق .. وتتحدى !!

وعلى مسار الزمن كان الصراع .. وكان النزاع ومايزال .. وكانت الحياة هى الابقى والاقوى .. دائما ..

حين تشرق الشمس

« ١٧٥ »

حين تشرق الشمس أحس أن ميلاد أمل جديد قد وجد ..

وعلى الرغم من أن كوكبنا الأرضى هو الذى يركض لاهثا فى بحره .. وفى بحثه عن هذا الجرم المتوقد المتوهج المشع .. فان هذا البحث سواء أكان منا أم منه يمثل رابطا أزليا للحياة .. وأسباب وجودها .. وعناصر استمرارها وبقائها ..

ان اشراقة الشمس تعنى للوجود كل وجوده ..

تعنى للطير زقزقته .. واغاريده وانتشاره خارج عشه ..

تعنى للشجر نماءه .. ونموه .. وتفتح ازهاره .. وثماره ..

تعنى للصقيع ذوبانه .. وجريانه .. لكى تطفىء منه الأرض غلها .. وظمأها .. تعنى للظلام انهياره .. واندحاره .. ولو الى حين ..

تعنى للانسان صحوته من سباته وغفوته .. وغفلته ..

تعنى لدولاب العمل الصامت ان يتحرك من جديد .. ليعطى من جديد ..

تعنى للبصر المرتد أمام حائط الليل أن يمتد ليستغرق أبعاد الرؤية فى وضوح .. وصفاء .. وجلاء ..

تعنى أن وجه الحياة الصبوح أطل .. وأن وجهها الكالح الحالك قد تولى .. تعنى ان دفعة الأمل التى ولدت وان دفعة الضوء التى امتدت مع الصباح اجراس حالمة معلقة محلقة .. تقرع اذاننا لكى نتحرك . ونسدل ستر التثاوب .. ونطوى أغطية الاسترخاء الثقيلة ..

ان اشراقة الشمس بالنسبة الينا عالم متجدد بكل نداءاته وبكل معطياته .. لو اننا قدرنا قيمة الزمن فما أضعناه .. واستثمرنا ساعاته ودقائقه وثوانيه .. فى رصد العمل الجاد المثمر .. الخير .. ولكن هل تنفع شيئا ..؟

« ١٧٦ »

قال.. وهو يقدم صديقه لآخر ..

سعادة مدير عام الادارة فلان الفلانى ..

وما ان انتهى الآخر من سلامه حتى بدأ فى كلامه .. قال مخاطبا ذلك الصديق .. ليت أنك اكتفيت من عبارة التعريف بشطرها الأخير .. أنا لايهمنى أن يكون فلانا مدير عام ادارة و لا حتى مدير عام وزارة .. أنا لا أحترم الموظف لوظيفته .. وانما أحترم الوظيفة فى شخص صاحبها .. الموظف هو الذى يشرف الوظيفة .. وليس العكس ..

وفلانا عرفته بالسماع قبل أن يكون شيئا فى دنيا الوظيفة .. عرفته بالذكر واستعدت صورته الآن أمامى بالذاكرة .. وبالذكر الحسن..

واردف فى حديثه موجها كلماته الى صديقه وتحت مظلة المثل القائل : « اياك اعنى .. واسمعى ياجاره » قال : « الموظف الاصيل هو ذلك الذى لا تجد الوصولية طريقها الى تصرفاته .. وممارساته ..

الموظف الاصيل .. هو ذلك الذى لا يسرق وقد اؤتمن على المال ..

هو ذلك الذى لايرتشى .. وقد اؤتمن على الامانة ..

هو ذلك الذى لايتغطرس ولاينظر الى الآخرين بمنظار التعالى ..

هو ذلك الذى يفهم الوظيفة على أنها خدمة تقدم للشعب من أجل تسهيل قضاياه واموره ..

هو ذلك الذى يقاوم إغراءات الوظيفة .. ولايساوم .. حفاظا على نزاهتها ..

قال .. وهو يتحرك من مقعده ليستأذن ..

« الويل لموظف تكبره وظيفته .. يكون دون حجمها استشعارا بالمسؤولية والعطاء ..

الويل.. ثم الويل .. ثم الويل .

« ١٧٧ »

كل ما غاب طفلى عن ناظرى ساعة صحوة منه واحتجب عن سماعى صوته .. واغرقنى صمته الهارب تيقنت انه يعمل يديه نثرا .. ونشرا .. وتكسيرا أيا وجد .. وايان وجد .. ومن أجل هذا فاننى لاأحب لصوته الاحتجاب .. ولالحركاته المنظورة التوارى .. ومن أجل هذا فاننى أفزع وأهرع باحثا عنه حين لا أقع له على صورة وحين لايهز أذنى صراخه .. وصوته .. وعبثه المشاهد ..

أكثر من مرة افتقدته فوجدته متلبسا بجرم العبث المشهود الشقى .. ان جاز لعبثه الشقى تسمية الجرم ..

ان الطفل - أي طفل - فى عامه الثانى والثالث لايتورع فى تناول الاشياء بخفة وقذفها او تكسيرها بسرعة وتلذذ .. انه ينطنط كالعصفور الصغير الذى نبت ريشه متسلقا .. ومتزحلقا .. لايجهده جهد .. ولايثنيه كد .. ولاتصده صيحات استنكار .. او تنبيه ..

انه يتعرف على الأشياء .. يرسمها فى ذاكرته كما لو كانت بالنسبة اليه خزينة ذكريات مطلوب استذكارها واحضارها ثم يلاحقها شيئا فشيئا لينثرها .. ويبعثرها .. ويكسرها فى نهم .. وجوع ظالمين ..

احذروا شقاوة اطفالكم فيما بين العامين الثانى والثالث .. انهم عفاريت صغار يجدون سلواهم فى الاثارة .. ومتعتهم فى أن تكون تلك الاثارة لافتة للنظر .. مثيرة للانتباه .. بل ومثيرة للأعصاب أيضا ..

احذروا منهم صمت الانفراد .. انه مقلق ومتعب ومرهق للجيب .. ان أى هروب صامت لطفل يعنى أن مشرط العملية المميت فى يديه يقصُ به .... ويقتص به .. ولن تكون الضحية الا ما نخشى .. ونخاف أن تطاله الأيدى الصغيرة العابثة ..

احذروا صمته الانفرادى .. وتحركوا .. حماية له .. وحماية منه لكى لايضار .. وقبل أن يضر .. وقبل أن ينضر ..

فدائية الحب

« ١٧٨ »

اذا كان للفداء والتضحية فى الحب معيار فاننى لاأجد معيارا أفضل ولا اكمل مما سمعت وهذه هى القصة :

تزوجا عن حب ..

هى ابنة عمته .. وانجبا اطفالا مازالوا فى عمر الورود .

عاشا اعواما تظللهما السعادة بأفيائها الوارفة .. كانت احلامهما مشرقة متدفقة يموج بها بيتهما السعيد ..

وتدخل الزمن .. وما أقسى الزمن حين يتدخل بعصاه الغليظة ..

لقد اصيب صاحبنا بالشلل .. وافتقد كل قدرة على الحركة .. وفى صراع رهيب مع مرضه .. انتصر مرضه على كل محاولة للشفاء ..

وبدأ صراع جديد لايقل عنه خطورة .. صراع الانسان بين مايحب .. ومايختار .. بين مايريد .. وهو العاجز عنه .. وبين مايريد وهو القادر عليه ..

إن زوجته شابة .. ومن حقها أن تسعد مع زوج يملك القدرة على الاسعاد .. وهو عاجز عن منح هذه السعادة .

ماذا يعمل ؟!

إنه يحبها فى جنون .. فهل يستبقيها لحبه .. وهو العاجز .. أم يطلقها من أجل حبه لكى لايحرم شبابها من نصيب أخر يمنحه الدفء .. والحنان والعوض ..

وقرر أن يضيف إلى جراحاته جرحا عميقا عميقا بأن يطلق أم أولاده دون تردد كانت دموعه تسبق كلماته ..

وكانت فدائيته تسبق خياراته ..

وكانت انسانيته تسبق طموحات ذاته .. فمن أجل حبه لها .. افتداها .. رغم أنها لاتريد .. الا أنه صمم على مايريد .. وربما أيضا ما لاتكره هى .. وكانت النهاية للقصة .. او البداية لحياة انسان يحب .. ويفتدى من أجل الحب ..

- الذين أكملوا فى دراساتهم ..
- والذين أهملوا فى دراساتهم ..

ما كل اكمال باهمال .. الا ان كل اهمال يعنى الاكمال .. أو السقوط ..

من هنا فان علينا أن يكون تعاملنا مع أولادنا مميزا .. ومتميزا .. ولايخلطه بين ما يجب التنبيه عليه .. ومايجب التحذير منه .. بين مايجب العتب الرقيق الدافع من اجله .. وبين مايجب المساءلة .. والمحاسبة عليه ..

وأحيانا .. نقسو نحن الآباء على ابنائنا لمجرد أنهم أكملوا فى مادة .. او اكثر من مادة لعوامل قهرية .. وقسرية ليس الاهمال أحد اسبابها .. احيانا نقسو فنضاعف من معاناتهم .. ونضيف الى حملهم حملا قد ينوءون به فى النهاية فيجهدون ويخسرون ..

ولو اننا استبدلنا تهديدنا .. ووعيدنا بأن نساعدهم فى توجيه صائب على استعادة الثقة فى النفس .. واستجماع شتات ما تفرق .. ولملمة ماضاع لكان اجدى واجدر .. وادعى الى النتيجة المرجوة ..

وقد تضطرنا بعض المواقف الى القسوة .. والصرامة حين يتأكد لاحدنا اهمال متعمد وجنوح عن جادة التحصيل .. ورغم ما فى القسوة والصرامة من مخاطر .. الا أنها قد تكون آخر البدائل بعد أن تفشل كل البدائل الأخرى ..

وأيا كان .. الاكمال او السقوط .. نتيجة عوامل ضاغطة .. أو تخلف فى استيعاب القدرات لدى الطالب .. أو أهمال مقصود .. فان عنف الصدمات التى قد توجه اليه على شكل تجريح .. أو عقاب .. أو تهزئة .. هى دون شك سلاح ذو حدين .. قد يكون جرحه امضى من علاجه .. ونتائجه المدمرة اكبر من حصيلته المنشودة .. والباب الموصد يمكن فتحه فى هدوء ودون كسر .. دون قسر ..

الاهدار المرفوض

« ١٨٠ »

كثيرا ما نسمع عن حفلة اقيمت بمناسبة زواج صرفت فيها عشرات الالوف دون حساب ..

المطربة وحدها او المطرب وحده يتقاضى العشرين الف ريال او يزيد من اجل وصلة غنائية لاتتجاوز الساعتين ..

والمطربة وحدها .. او المطرب وحده يمثلان فقط حيزا متواضعا من مصاريف هذا الحفل الذى لايقدم ولايؤخر بالنسبة لواقع الزوجين .. بل انه فى احيان كثيرة يكون البداية لمنغصات تصطدم بها الحياة الزوجية التى لاتقوم على البساطة .

والبعد عن التهريج فى الظهور او التحكم فيه ..

وفلسفة الحياة علمتنا .. « ان ماهان تبارك » .. وان زيجات كثيرة اخذت شكلا واقعيا ومنطقيا كانت اسعد الف مرة ومرة من زيجات قامت على الاسراف فى الظهور .. والاسراف فى الانفاق الذى لاضرورة له .. والمشكلة هنا انه يوجد فى مجتمعنا من يأخذ بمبدأ التقليد والمحاكاة .. فما عمله جاره او زميله اصبح لزاما عليه ان يعمله والا قيل عنه انه دون جاره ودون زميله مكانا وقدرا وكرما وسخاء ..

أليس من الأنسب بدلا من إهدار عشرات الألوف فى اقامة حفل غنائى من اجل زواج .. واقامة وليمة ربما يكفى عشرها للمناسبة .. ان يوجه هذا المبلغ لتأثيث بيت الزوجية .. او يقدم جزء منه على الاقل لمشروع خيرى او انسانى .. و يقدمه لمعوزين فقراء تكريما لمناسبة هذا العرس .. واحياء له ..

لعل فى بعض ما أقول مالايعقله البعض ..

« ١٨١ »

ومن المسؤول عن ضعفها بل عن موتها ؟!
دون تردد .. الأدباء هم المسؤولون وحدهم عن كل ماعانته وتعانيه من
شلل او ضعف في معطياتها الفكرية .. اما الاسباب فكثيرة وخطيرة ..
لعل من الاسباب ابتعاد الكثير من ادبائنا عن ممارسة واجباتهم ..
واحجامهم عن اداء دورهم وراء عوامل وظيفية ..
او مادية .. ولعل من الاسباب ايضا ان البعض من هذه الانـدية كـان
اختياره مزاجيا لما اقدم على طبعه من كتب بحيث كان الاختيار حصيلة مماطلة
ذاتية صرفة مفتقرة الى التقويم الموضوعي للنوعية الصالحة ومع هذا فان
البعض من هذه الاندية استطاع ان يقدم لونا من النشاط وبعضا من العطاء
ينم عن رغبة صادقة في العمل ..
لقد اعطت الدولة مشكورة بيد سخية هذه الاندية كل ما تحتاج اليه ووفرت
لها كل العـوامل والمقـومات المـادية التى تسـاعد عـلى التحرك .. وتحقيق
الهدف ..
ان الدور الآن هو دور الادباء والمفكـرين الذين عليهم ان يعيروا بنـاء
الصرح الفكرى كل اهتمامهم بعيدا عن السلبيات ـ والهروب خلف اى سبب
من الاسباب ذلك ان لا أمة دون فكر ولاحياة دون أدب .

الموارد .. وكيف نستثمرها ؟

« ١٨٢ »

مواردنا المادية الضخمة يجب ان ننميها ونستثمرها بأساليب علمية مدروسة لكى تفى بمستلزمات المستقبل ومتطلباته ولكى تمثل موارد قومية ثابتة بعد ان ينضب معين البترول واستثمارنا لهذه الموارد وحصرنا لهذا الاستثمار على بناء الفلل والعمارات ومضاربات الاراضى لايمثل ولايمنح حصانة المستقبل على النحو الذى نطلبه ونريده .. ونشعر جميعا ان الدولة تدرك خطورة هذا النحو من الاستثمار السريع الفائدة والمحدود المستقبل فبدأت تعنى بالتصنيع الصناعى والزراعى ..

وأشعر أن الدولة معنية بأن توجه اغنياءنا وهم كثرة والحمد لله على استثمار ثرواتهم استثمارا علميا مخططا له على أساس احتياجات المستقبل من كساء وغذاء وغيره .. ولكى نضمن على المدى المنظور اكتفاء ذاتيا يؤمن لنا احتياجاتنا .. ان لم نقل يؤمن لنا أيضا القدرة على تغذية الاسواق المجاورة بما نصنعه فى بلادنا ..

ان الثروة البترولية كمصدر للاقتصاد القومى عمرها محدود .. ومن هنا فان علينا ان ننمى موارد جديدة وثابتة تدعم لنا البنية الاقتصادية .. وتؤمن لنا ركيزة الحياة الثابتة القوية ولابنائنا من بعدنا ..

وكل يوم يمر محسوب لنا .. وعلينا .. ويجب ان لايضيع سدى ..

لابد من ضوابط للحركة

« ١٨٣ »

فى بلادى حركة دائبة مندفعة .. تتخطى مراحل التصور .. فلم تعد الملايين بالشىء الذى يسيل اللعاب . باتت الأرقام الضخمة شيئا عاديا نتحدث عنه كما كنا قبل سنوات نتحدث عن عشرات الآلاف ..

كل شىء يتضاعف .. ويقفز .. ويتحرك .. العمارات الشاهقة .. الطرق .. المراكب .. الأرصدة .. المتاجر الواسعة الأنيقة شىء واحد بدا متخلفا فى تصورى . قصور قدراتنا المعنوية عن اللحاق بقدراتنا المادية .. وهذا دون شك يشكل خطورة بالغة التأثير على مستقبلنا .. ومستقبل أجيالنا ..

ان تطلعاتنا الى المستقبل عبر منظار مادى حرى بأن يدفع بقافلة سيرنا الى متاهات بالغة التأثير على تكويننا الاجتماعى .. وبالتالى على سمعتنا الشخصية والأخلاقية ،ان أى مجتمع يقوم على ركيزة المادة البحتة لابد وأن يقع المحظور ، وأن يجد نفسه فجأة وقد تخطى حاجز الأمان .. وراح يتصارع مع تناقضاته ..

ومع جموح ذاته وجنوحها .

ومن هنا فان المادة فى طفرتها تخلق ظاهرة خطرة على بنية المجتمع مالم توضع لها الضوابط المنظمة القادرة على استيعاب الزخم الهائل من مؤثرات التغيير والتعامل معه .. فى وعى واقتدار ..

القرد حين يقهقه

« ١٨٤ »

لابى الطيب المتنبى بيت من الشعر قاله فى كافور الاخشيدى ..

واذا اشـار مـحـدثـا فـكـأنـه
قـرد يـقـهـقـه او عـجـوز تـلطم

ترى لو بعث أبو الطيب حيا من قبره ماذا سيقول مع اكثر من كافور فى عالمنا اليوم يقهقه ويلطم .. بل ويستفرغ من حوصلته كل افرازات السموم .. والبذاءة ..

وددت لو ان المتنبى كان حيا .. ليجد ان كوافير اليوم اكثر كفرا بالمنطق والذوق وآداب المخاطبة ممن سبق .. وليضيف الى شعره ـ وماقصر ـ اثراء جديدا لوصف الذين لاهم لهم الا نهش القيم .. والازدراء بكل اصالة تربطهم بامجادهم .. وتاريخهم بل وبحضارتهم ..

وليت كوافير اليوم .. كل كوافير اليوم .. كوافـير السياسـة .. وكوافـير الصحافة او السخافة ليت كل واحد منهم أمسك بيده مرآة وشخص الى وجهه ليرى الى أى دمامة وقبح انتهى به المطاف لامع من حوله فحسب .. وانما مع نفسه أيضا .. ومع تاريخه .. ماضيا .. وحاضرا .. ومستقبلا ..

ان عصر الجعجعة التى لاتعطى طحنا قد انتهى .. ولم يعد جيلنا يتقبل التزييف .. او التحريف .. فحقائق الاشياء تفرض نفسها حتى لو حجبت وغلفت بألف دثار ودثار ..

ان الوعى يرفض اللغى .. وان الامانة لايمكن لها ان تتعامل مع الزيف مهما كان اطاره منمقا بالخدع والمغريات ..

وكفى .. فقد مل السماع .. وكلت العين .. وصدع الرأس .. ولم نعد فى حاجة الى كوافير جديدة تلطم كالقرد .. او تقهقه كالعجائز ..

« عيتانيا » الرمز

« ١٨٥ »

« عيتانيا » قرية وادعة صغيرة تربض بجوار نهر الليطانى الحزين فى جنوب لبنان .. روعها العدو الاسرائيلى ذات ليلة بجحيمه واحال بيوتها الترابية الى مقبرة للابرياء .. أمرآتان .. وأربعة اطفال تحت سقف واحد .. هد عليهم السقف دون رحمة .. وكأن شيئا لم يكن ..

لم يتحرك ضمير العالم لهذه المجزرة لأن العالم يعيش دون ضمير ..؟

فلا الغرب الذى زرع السرطان الاسرائيلى فى جسد الأمة العربية استنكر وأدان .. ولا الشرق الذى طرح شعار السلام انتصر للسلام .. وللضحايا الابرياء ..

الامر لايعنيه مادامت اسرائيل هى الفاعلة .. لكن الامر يعنيه دون شك لو أن اسرائيل نفسها كانت الضحية ..

ألف « عيتانيا » تقف شاهدة على بشاعة العدو الذى يطلبون منا اليوم ان نبارك سلامه المزعوم .. حتى ولو كان ذلك على حساب حقنا .. وكرامتنا .. وتاريخنا .. ووجودنا .. « القدس » عاصمة موحدة لكيانه الغير شرعى .. هكذا يقول :

« المستوطنات » من حقه ان يزرعها .. وأن يوسعها .. كيفما شاء .. وانى شاء .. « الامن » ضرورة فى قاموسه السياسى للبقاء عليه فى الضفة والقطاع .. ماذا بقى .. ليأخذ .. بل ماذا بقى ليعطى ؟! ..

ومع هذا فما زال يوجد من بيننا من يصدق ان اسرائيل تبحث عن السلام وتمد يديها المسالمتين .!!! لمن ينشد السلام ..

اذا كان سلامنا مع اسرائيل يعنى الاستسلام لها .. والركوع الذليل لشروطها المذلة .. فان من الخير لنا .. ولتاريخنا ان نبحث عن سلام أخر لاتصنعه الاتفاقيات والمعاهدات وانما تخطه دماء الشهداء حتى ولو كانت مدننا وقرانا « عيتانيا » جديدة .. ان ذلك اشرف وارحم فى كل حسابات الربح والخسارة التى تطرحها مادة الكفاح « المشروع المقدس » ..

العلم والايمان

« ١٨٦ »

الدكتور مصطفى محمود ببرنامجه الناجح .. (العلم والايمـان) الذى انتجته الشركة العربية للانتاج الاعلامى بالرياض نموذج رائع للعالم الذى قدم على طبق علمى وجبة غذائية روحية عناصرها الايمان بوعيه .. ومدى استيعابه لكل جديـد .. والعلم بكل مـا تفتق عنه من ابتكـار واستكشاف لغوامض هذا الكون .. واسراره ..

ولقد شدنى هذا العالم العربى شدا وثيقا عميقا بأسلوبه السهل الممتع الممتنع .. وبالطريقة البسيطة التى تتسلط على كل افكارك وحواسك .. وتقفز بك من مشاهد مستعص .. الى مشاهد مشارك منفعل منجذب ومستفيد ..

ان برنامج (العلم والايمان) قفزة علمية واعلامية مطلوبة على مستوى الثقافة الانسانية بما اعطته من ذخيرة صالحة واعية مدادها العلم والايمان بكل ما يعنيانه من فلسفة ومفاهيم متجددة .. وعطاء دافق مستمر لا يقف عند حدود الشكليات .. ولا داخل سراديب العجز .. والاتكال .. والحيرة ..

فبـالايمان .. والايمـان وحده تنحسر المسـافات .. وتتـلاشى الابعاد .. ويستكشف المجهول ليتحول الى واقع من المعرفة يزيد فى ايماننا بقدرة الخالق وعظمته وجبروت صنعه وملكوته ..

وبالعلم والعلم وحده يقف الانسان عملاقا خلاقا يقدم لعـالمه اضـافات جديدة تثرى ذخيرته .. وتفتح بصيرته وتحرك عبقريته (مصطفى محمود) بما أعطى يستحق التهنئة .. وبالذى أعطى فاننا نامل فى أكثر من مصطفى محمود واحد أيمنحنا المزيد والمزيد مما لانعرف .. ومما يجب ان نعرف ..

والذى نعرف بالكاد يسير .. يسير .. يسير فى حسابات العلم الذى لاحدود له .. لأنه لاينتهى ولأنه لايقف عند حد ..

« ١٨٧ »

● فى افغانستان احتلال .. فى ايران قلاقل .. فى الشام مشاكل .. فى كمبوديا ابادة .. فى لبنان حرب اهلية .. فى فلسطين ابادة وقهر .. فى أوغندا وبنجلاديش مجاعة .. فى القرن الافريقى صراعات .. فى تشاد صدامات دموية .. فى اسبانيا قنابل .. ومتفجرات .. فى تركيا هتافات .. ومظاهرات ساخنة .. فى قبرص حظر مواجهة بالقوة .. فى الصحراء الغربية صراع جنونى بين الاشقاء .. فى تشيلى والسلفادور مجابهة مرة .. فى اكثر من عاصمة اوروبية قلق على المستقبل .. فى بكين ثورة على ثورة ..

عالم حضارى يخشى على حضارته من الانهيار بسبب توقف الطاقة ونضوبها وتفشى البطالة ..

وعالم نام يعانى من حالته الاقتصادية الخانقة .. وتخلفه وتكاثره .. وبطالته .. الاول يطمع فى الطاقة ولايشبع .. ويطلب من الثانى ان يكون مستوردا لبضاعته ليس الا ..لامستوردا لصناعته ..

والثانى يطلب الثمن تصنيعا لااستهلاكا .. ومشاركة عادلة فى حل قضاياه المستعصية .. وبين الاثنين تقف الفجوة واسعة فى الحوار الشمال بالجنوب والجنوب بالشمال ..

البحار الدافئة من حولنا تحولت الى بحيرات تطفو عليها قلاع نووية متحركة تنذر بالصدام والدمار .. بعض ملامح لعالم اليوم الذى يندفع فى سرعة الى الهاوية لأن ابصاره للأشياء مبتورا .. موتورا .. مخمورا ..

لاشىء يحكم العجلة سوى الاندفاع الأرعن .. ولاشىء يوقفها سوى الارتطام بالقاع لتنتهى .. وهذا مانخشاه .. ونخافه على عربتنا التى تتحرك بنا دون مسار أمين .. كل شىء فى عالمنا يتحرك دون رابط .. ودون ضابط .. لأنه عالم مغبون .. مغبون .. ولانه عالم مجنون .. مجنون ...

لاتظلموا التاريخ

« ١٨٨ »

لاتظلموا التاريخ ..

ايّاكم أن تقدموه شريحة على طبق المغالطات ..

التاريخ وعاء حضارى انسانى يستوعب مايتقبله العقل .. ويركن اليه الضمير .. وترتاح له النفس .. التاريخ ليس طابع بريد يلصق على كل ظرف .. حتى ولو كان الظرف يحمل قنبلة زمنية مدمرة .. او وثيقة كلام او سلام مزيفة ..

ماكل مبادرة تاريخية ..

ماكل معاهدة تاريخية ..

ماكل اتفاق .. ولاكل وفاق تاريخى ..

بل ماكل لقاء على مستوى القمة او السفح تاريخى ..!

واذا كان معيار البعض .. واذا كان مقياسهم ان صحافة هناك .. أو تلفزة هناك .. أو مراسلون أجانب هناك .. أو زعماء ليس لهم عير أو نفير فى القضية قالوا عن الحدث انه تاريخى .. فان هذه الشهادة وهذا المعيار يفتقد وجوده لسبب بسيط وواقعى .. وهو أن أصحاب القضية كل أصحاب القضية يرفضون ما لايتفق ومنطق التاريخ الانسانى الحضارى ذلك المنطق الذى يقوم على حسابات لاتصدم بالحقوق .. ولاتنال من الكرامة ..

ومهما زايد المزايدون .. ومهما غالط اولئك الذين يضفون على الحادثة المؤلمة رداء الحدث التاريخى .. فان التاريخ ابدا لن يتسامح .. ولن يتقبل فى صفحاته سطرا واحدا لايكتبه أصحاب القضية .. لا اعداءها .. ولا المزمرين .. وراء جوقتها .. ولا الضاربين على طبولها .. وفم التاريخ .. وبلاغته أقوى من كل تهريج ...

الكيان المصطنع

« ١٨٩ »

الكيان الصهيونى المزروع فى جسد الأمة العربية يعزف على وترين خطيرين ..

- سن الأنظمة الظالمة والجائرة ..
- شن الحروب المباغتة الغادرة ..

والمائة وخمسون مليون عربى والثمانمائة مليون مسلم لايملكون امام هذا العزف الجائر القادر الا التظلم .. والاستنكار .. والاحتجاج .. ومناشدة المنظمات الدولية التدخل لوضع حد للشكوى والظلم ..

منتهى الضعف .. والوهن ان يصرخ المائة وخمسون مليون عربى .. وان يستصرخ الثمانمائة مليون مسلم الضمير العالمى لانقاذهم .. وانجادهم .. من براثن ثلاثة ملايين صهيونى ..

وماذا بعد ان اعلنت دويلة الصهاينة ان القدس العربية عاصمة موحدة وأبدية لكيانها المزعوم ؟!

إن الصراخ .. والاستصراخ سلاح العاجزين الضعفاء ..

ولن يحل قضايانا .. غيرنا .. فلقد شبعنا واتخمنا ندبا .. وشكوى ومناشدة .. وليس امامنا على درب النصر .. وجادة الكفاح غير اسلوب واحد لاثانى له .. اسلوب الكفاح المسلح .. والمواجهة الجادة .. ليس مع اسرائيل فحسب وانما مع جميع القوى التى تساندها ..

فالحديد لايفله الا الحديد .. ذلك هو منطق الاقوياء .. وذلك هو منطوق العصر منذ عرف الانسان ان له قضية اغتصبها دخيل لايؤمن الا بالمواجهة والمجابهة ..

وتقدرون . فتهزأ الأقدار

« ١٩٠ »

« وتقدرون ..! فتهزأ الأقدار ! »

شطر من بيت شعر يلخص كل الحكاية .. أما تفاصيل الحكاية فانها كالتالى :

شاب فى الثالثة والعشرين من عمره .. وهو أكبر أولاد ذلك الأب الذى اصيب بمرض عضال ميئوس منه .. لقد شارف الأب على الموت او كاد بعد طول معاناة وكان على ابنه أن يستعد للنهاية الموجعة المفجعة .. وليس هناك استعداد أكبر من إيمانه بقضاء الله .. ثم من حفر قبر يورى فيه جثمان والده بعد أن يموت .. ويستريح من عنائه ..

وذات صباح ذهب الابن البكر يحمل فأسه على كتفيه الى مقبرة المدينة ليحفر القبر .. وحفر القبر بدموعه وعرقه .. وسواعده المفتولة المبلولة .. وفى طريقه الى العودة فاجأته سيارة تنهب الأرض وتطويها بعجلاتها المجنونة وصدمته .. وقتلته .. وكان الضحية الأسبق الى القبر الذى حفر ..

لقد دفن جسده .. حيث شقت سواعده قبرا لجسد آخر .. وبقى الأب ينتظر من يحفر له قبرا لحظة رحيل منه ..

أما ذلك الأب الموجع المفجوع فى فلذة كبده .. وأبرهم اليه .. فقد قال وهو يصارع آلامه وقد علم بالحادث ، والدموع تبلل عينيه :

كل ما ارجوه وقد شارفت على النهاية ..ان يحفر لى قبر الى جوار ولدى .. ولكى تكون مسيرتنا الى الآخرة عن قرب .. وتلاصق . وعناق ..

ومن يدرى .. فقد تكون على لائحة الغيب مفاجأة أخرى لأحد يدريها .. أو يتوقعها .. من يدرى .. فنحن نقدر .. ونريد ..

وتبقى القدرة .. والارادة أولا .. واخيرا .. لله وحده ..

« ١٩١ »

الأغانى الهابطة الساقطة المسفة والسفيهة لاتقل خطورة عن أذواق شبابنا وعلى أخلاقهم من المخدرات .. وحبوب الهلوسة .. ان لم أقل انها الأخطر لاتساع دائرة تأثيرها .. وتدميرها .. فاذا كانت الأخيرة تقتل الجسد وتبلد الحس فان الأولى تجهز على الحاسة الجمالية والسلوكية تماما لدى السامع .. وتشده من حيث لايدرى الى مواقع الخطأ ..والخطل .. ليلتصق بتراب الخطيئة .. ويتغطى بغبارها ..

واذن السامع كثيرا ما تصطدم بكلمات اغنيات ممجوجة تنحدر بسماعه الى تلك الزوايا التى يعشش فى اوكارها الشيطان بجنونه .. ومجونه .. باباحيته .. وسقطاته .. حتى لايكاد يصدق ان مثل هذه الكلمات الرخيصة يمكن أن يباح سماعها .. أو يستباح استماعها .. ومن الخطأ الفادح أن يكون قلم الرقيب بعيدا عن هذه الفجوة .. أو النقطة السوداء .. فى جبين الفن ..!!

ذلك ان الفن بلوحاته .. ومسلسلاته .. وأغنياته .. ارتقاء بالذوق الى الأفضل ..لا انحدار به إلى الأتفه .. والأسفه ..

ان الأغنية تفعل فعل السحر لدى سامعها .. والمستمعون ليسوا على درجة من التمييز .. ليسوا على درجة واحدة من الحصانة والحصافة .. ليسمعوا على درجة واحدة من حيث التقبل والرفض .. من هنا فان على أجهزة اعلامنا أن تحكم سيطرتها .. وأن تظهر قدرتها على فرض ما يجب أن يجاز .. .. ومالايجوز .. حماية لأذواق شبابنا الذين مازالوا فى طور المراهقة .. والذين يتأثرون بالسماع .. والذين ان لم نحمهم كمسؤولين واعين .. فان مواقع أقدامهم لن تكون بعيدة عن موطن الخطر والسقوط وهذا ما نخشاه .. ونحذر منه .. ونرجو أن لايقع ..

مفكرة للذكرى

« ١٩٢ »

اذا لم يكن لك ذاكرة قوية تختزن افكارك .. وتقيها شر التآكل .. وخطر النسيان فان البديل لذاكرتك هى مفكرتك التى يمكن لك ان تودعها ماتريد لتعود اليها عندما تريد قد يقول القائل :

ومالجدة فيما تقول ؟! كلنا نعرف هذا ..! ان ماتحكيه هو تحصيل حاصل .. وهذا صحيح ..

الا ان الجديد فى الامر ان جاز ان نسمى ذلك جدة هو أن الكثيرين ممن يحسنون الظن فى ذاكرتهم الضعيفة .. ويعتمدون عليها فى استذكار الأشياء .. فتخونهم الذاكرة .. ويقعون فى شر اعمالهم ..

وسأضرب من نفسى مثلا لأولئك الذين ينعمون أو يشقون - لاأدرى - بذاكرة ضعيفة تخذلهم حتى فى استذكار طعام افطارهم عند الظهر .. وغذائهم وقد دلف الليل .. وعشائهم وقد انقضت عليه بضعة سويعات ..

لقد كنت ممن يحسنون عن بسذاجة ظنهم فى ذاكرتهم الخاملة البليدة .. وكثيرا ما ابرح البيت لشراء حاجة من الحاجات .. وحين اصل الى السوق اجد ان اسم تلك الحاجة طمس من ذاكرتى تماما ولم يعد لها فى رأسى من اثر .. واحتار الى اين أذهب .. ولماذا جئت ؟

وتجهد خطواتى .. وتتيه خطواتى ..

أملابس هى .. لاتجه الى حيث تباع ..!

أخضار أو فاكهة لأقصد سوق الفاكهة ؟! والخضار ؟!

أدواء لكى أتجه الى الصيدلية ..؟

أحذاء لابتاعه من متجر الأحذية ؟!

ولأكثر من مرة أعود الى الدار بخفى حنين .. لسبب بسيط اننى اهملت من حسابى بديل الذاكرة لم ادون فى مذكرتى ماسعيت من اجله .. ومن أجل هذا تعبت ..

حتى الكثير مما يطلب الى ابلاغه للآخرين .. اننى أنقله بشكل معكوس يسبب لى الكثير من الحرج .. وأحيانا السخرية والتندر ..

وحتى لايحرج ضعاف الذاكرة أمثالى .. وحتى لايسخر منهم أحد أنصحهم برصد مايريدون فى مفكراتهم ليلقوها عندما يريدون لأنها البديل الأمين الوحيد عن ذاكرتهم .. نصيحة مجرب .. لكى لاتخرجوا .. ثم تنسوا

حين أجنح فأجرح

« ١٩٣ »

النفس الجانحة الى الضعف والسخافة لطالما استيقظت فى اعماقى ولعبت لعبتها الهزيلة .. واجتذبتنى الى حلبة رقصها المجنون لكى أرقص فى خيلاء .. وغرور يكاد ينسينى حقيقتى .. واننى شىء صغير تافه لاأقل .. .. واكثر ..

لطالما اجتذبنى العجب وشدنى الى حائطه وأن أسمع كلمات أعجاب قد تكون المجاملة وحدها .. أو النفاق وحده مبعثها .. ومنطلقها ..

لطالما هزنى الغرور والتعاظم وأنا أقرأ سطورا حملت أسمى .. منى .. أو عنى .. قد تكون جسورها متداعية .. وقد تكون أفكارها فارغة المحتوى .. ومايشبع غرورى وحده .. هو أن اسمى وجد .. وان رسمى وجد .. وهذا وحده يكفى فى قاموس المتعاظمين ..

ولطالما أيضا احسنت فى هندامى .. وتصنعت ابتسامى أمام عدسة التصوير لاوهم نفسى .. ولأخدع غيرى بالهندام .. .. وبالابتسام .. وكأن السطح الذى يطفو هو البديل عن كل ماتحجبه الثياب .. وماتخفيه الابتسامة المصطنعة .. لقد انتصرت سخافتى .. وخرافتى ..

انها تهزمنى .. وتهزنى فى أكثر من موقف ضعيف .. وفى أكثر من نقطة مساومة ..

ان المقاومة أمام كبرياء النفس تتلاشى .. وتموت حين لايستيقظ العقل ولكن ..

أليس من خصائص تكوين البشر .. انهم ضعفاء .. وجبناء أمام ما يدغدغ حواسهم .. وعواطفهم .. ونزعاتهم الأمارة بالسوء ..؟! الا من رحم ربك .. ومن كل قلبى أنشد رحمة ربى ..

لاتظلموا الحمير

« ١٩٤ »

لاتظلموا الحمير .. فما تعودت فى حياتها العصيان .. فلتقوها شر لسعات العصى الظالمة ..

عبر التاريخ كله لم يذكر ان حمارا واحدا تمرد على صاحبه .. أو اشتكى ..

لم يذكر ان حمارا تظلم وقد ناء كاهله تحت وطأة الظلم اللهم الا اذا كان نهيقه نوعا من التوجع لم يذكر ان حمارا احتج وقد أثقله حمله .. لم يذكر ان حمارا ضج وقد شط به الجوع أو العطش .. كان أبدا مسالما طيبا يتحمل كل المشاق فى صبر .. وصمت ومع هذا فاننا نظلم الحمير ..

نظلمها حملا .. ونظلمها تحملا .. نحكم فى جسدها السياط والعصيان دون عصيان منها .. ولاتقصير ..

لقد شاهدته يهوى على حماره المثقل بالحمل .. يهوى عليه بقطعة خشبية صلبة لتستقر على جدار وجهه جوار عينيه تاركة وراءها جرحا ناتئا ينزف بالدماء ..

وحين استنكرت عليه ذلك فى هدوء .. وفى غير اثارة .. كان رده المحتج الثائر ..

– وانت مالك .. حمارى وانا حر فيه .. اتفضل ..

وحين حاولت ان ارد .. قاطعنى محتدا ..

– ماتروح احسن بلاش مشاكل .. وقبل ان اقفل راجعا كانت عيناى تسترق نظرة خاطفة خائفة .. حامت من حول وجه الحمار الصامت .. وكأنما كان بصمته المفجع يدلل .. ويؤكد ان الحمار الصامت الأعجم اعقل .. وانبل بكثير من الحمار الناطق ..

وشتان بين حمارين .. وبين موقفين وبين حكمين ..

العطسة المنبهة

« ١٩٥ »

قال : وهو يستغرق فى ضحكه مشيرا بسبابته الى فراش مكتبه ..

- صاحبى هذا لايسمعنى .. ولايستجيب لندائى الا حين اعطس .. كثيرا ما ادعوه .. الا ان استجابته عن طريق الدعاء بطيئة .. بطيئة .. واضطر أحيانا الى أن اقترب منه خارج باب المكتب واهتف فى حدة .. لأوفر على نفسى عناء النداء .. وعلى من حولى لجاجة الهتاف المتواصل ..

الا اننى مع طول تجربة معه أدركت أن أقصر الطرق الى خيبر .. والى فتح بابها المغلق هو ان اعطس مرة واحدة .. ليهب ملبيا مستجيبا دون ابطاء ..

- وسألته وأية حكمة فى أن صوت الكلام لايقرع أبواب سمعه .. بينما صوت الزكام وحده هو الذى ينفذ الى الأسماع فيحركها ..؟!

ضحك صاحبى .. وقال :

- أنا اقول لك .. أن صاحبنا كبير السن .. مجهد ثقيل السمع .. وهو لهذا لايحركه الا القوى القوى .. وصوتى مهما اشتط واشتد فى ندائه يقف ضعيفا هزيلا عاجزا عن ان ينفذ الى مسالك سمعه الواهية الواهنة .. أما حين أعطس .. وهذه حقيقة لاأنكرها .. فان حيطان مكتبى تكاد تهتز لقوتها .. ولفرقعتها ..

قلت له :

- الآن أدركت لماذا يهرع اليك مستعجلا من أول عطسة .. انه يخشى أن تكررها ثانية وثالثة فيتداعى الجدار من حوله .. وتحدث المأساة ..

وضحك .. وشاركته الضحكة .. وأوشك ان يعطس ليستضيفنى بشىء يأتى به فراش المكتب .. فاستمهلته .. ورضيت من كرمه بأن لايعطس كمن رضى من الغنيمة بالاياب .. وما أكثرها تلك المواقف الضاحكة ..

النشرات الموجعة

« ١٩٦ »

قال :

هل انت مثلى تسمع نشرات الاخبار ؟!

أجبته :

غالبا ما اسمع نشرات الأخبار .. أى شىء تقصد ؟!

وكان رده :

فى غـالب النشـرات لأسمـع الا عن أخبـار الحـروب .. القتـلى .. الاغتيـالات .. الفيضانـات وضحايـاها .. الزلازل وكـوارثهـا المـدمـرة .. اللاجئين والمشردين .. الأوبئة التى تفتك بالآلاف كل يوم .. والجوع الذى يحصد الملايين كل شهر لا أكاد أسمع أخبارا غير هذه .. أخبارا سارة تتحدث عن وئام وحب عن سلام .. وحلول للمشاكل ..

قلت :

لكنها سنة الحياة ..

وقاموسها الازلى ..

لابد لكل زرع من حصاد .. لابد لكل طريق من نهاية ..

ولكنها أيضا أخلاق البشر وعوامل الشر .. الكامنة فى أعماق البعض .. انها تندفع كالبراكين تبحث عن الضحـايا .. أى ضحـايا حتى ولو كـانوا ابرياء ..

ثم ألست معى فى أن هذا الكوكب الأرضى سيضيق بأهله .. وسيتآكل مع من فيه لو أن عجلة الموت ظلت واقفة لاتتحرك .. انها طبيعة الأشياء منها مايملى علينا .. ومنها مانمليه على الغير .. منها ما نندفع معه الى حيث لانختار ومنها ما ندفع به الى حيث النهاية ..

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره .. تنوعت الاسباب والموت واحد ..

المبالغة الغير معقولة

« ١٩٧ »

كثيرا ما تحكم احاديثنا المبالغة الغير معقولة .. والتى تتجاوز فى ابعادها حدود التصور والمنطق .. أمثلة كثيرة على تلك المبالغات الشاطحة الى أعماق الخيال والضاربة فى متاهاته .. منها :

- أحسن مليون مرة
- أذكى من العطر .
- أشهى من العسل
- أرق من النسيم

مجرد نماذج لما نطرحه من أوصاف مبالغ فيها .. تصطدم بالمعايير .. وترتطم بالمقاييس ..

وعلى الرغم من أن هذه المبالغة قد لاتحمل ضررا لأحد .. بل وربما تسعد عاطفة صاحبها .. حين تقربه من رغائبه وأمانيه السرابية .. الا انها فى نفس الواقع المحدود التصور .. الى الخيال المطلق الذى لا تطاله تصورات التصور .. ولارؤياه او رؤاه المحدودة .. والمبالغة .. وحتى ولو كانت غير جارحة أو ضارة الا انها جنوح قد يسترسل مع صاحبه فيسلمه الى متاهات قد يرفضها العقل وقد يلفظها المنطق لانها حصيلة اسراف لا مبرر له .. حتى حين نتحدث .. فكما ان للتصرف عقلا .. فان للنطق عقالا .. وكلاهما العقل والعقال لا زمان للحركة .. وللكلمة .. كما أتصور ..

الحظ حين يتحدى

« ١٩٨ »

أعرفه جيدا .. بل أكثر من معرفة تشدنى اليه .. فهوَ أحد اقربائى شاب رغم انه فوق الخمسين من عمره .. الصدق فيه عنوان والهدوء فيه عنوان والوفاء فيه عنوان مشكلته الوحيدة ان حظه يشاكله .. هكذا قال لى .

قبل سنوات كان فى الاسكندرية يواصل دراسته الجامعية .. له حكاية مع المواصلات .. ما ان يصل الى محطة حتى يجد المواصلات التى يطلبها قد غادرت ويبقى دقائق وأحيانا اكثر من الدقائق فى الانتظار .. وحين لايطلبها فان سيارات الأجرة وسيارات النقل تتراقص أمام عينيه فى عرض كثيف .. ليس مشكلة حظه مع المواصلات فقط . وانما مع المادة ايضا ..

جرب مرة أن يساهم فى احدى الشركات الاجنبية .. كان لديه بضعة آلاف من الريالات ادخرها من وظيفته التجارية .. اشترى بها حفنة من الدولارات لتنتقل الى أسهم فى تلك الشركة ..

وما ان تم العقد .. حتى تزعزعت قيمة الدولار ليس فقط هبوطه .. وانما ايضا هبوط قيمة اسهم تلك الشركة ..

ولقد اقترح عليه بعض اصدقائه فى خبث ان يتصل بجهاز المقـاطعة فى جامعة الدول العربية ليمنحه بعض مال يسهم به فى كل شركة صهيونية . ان مشاركته فى الاسهام بهذه الشركات سيخلق متاعب اقتصادية لها تعطى/ اثرا اكبر من أثر المقاطعة ..

قلت له .. وكان يحدثنى عن حظه المشاكس :

من يدرى .. فلو ان الحظ ابتسم لك لكان على حساب رصيدك الضخم من الاخلاق .. انك اكبر من حظك .. اغنى من ذلك الحظ الذى يترصد لك امام محطات المواصلات .. وامام أسهم الشركات انك أكبر .. وأغنى ..

« صحافتنا متهمة »

« ١٩٩ »

ولعل احد الذين يشيرون الى هذه الصحف باصابع الاتهام اما التهمة فهي ايصاد ابواب صفحاتها امام اقلام البراعم الشابة من شبابنا وسد الطريق امام محاولاتهم الخلاقة المبكرة .. وهذا يعنى قتل هذا الطموح المبكر .. والاجهاز عليه في مهده .. وبالتالى اسدال الستار على كل محاولة طرح او تعبير شاب دغدغت احلامه الامانى فى ان يكون شيئا على مسرح المستقبل ..

اكثر من هذا .. فان مانسمح بنشره لشبابنا .. وهو النذر اليسير ينشر ممسوخا .. او مسلوخا .. او مقتولا بحكم الدكتاتورية الصغيرة التى تمارسها السلطات الصحفية ..

وهذا يعنى نزع فتيل الجذوة الطموحة عند الشباب . وبالتالى اسلامه الى مايشبه اليأس والقنوط امام اية محاولة اخرى .. بل اننا احيانا نتعمد فى ردودنا على مايكتبه القراء من الشباب .. نتعمد ان يكون ردنا قاسيا غليظا يفتقر الى التهذيب .. والترغيب والمثابرة .. وكلها عوامل قاتلة .. ومعاول مدمرة للآمال الطليعية التى تعمر بها جوانح ابنائنا ممن يطمحون .. ويطمعون فى تسلق سلم الطرح والتعبير من أولى درجاته .. ان صحافتنا واقولها بكل ألم تحتكر ابوابها للأسماء المشهورة وحدها وحسبها أن تدرك ان هذه الاقلام المعروفة ماكان لها ان تعرف لو أن صحافة الأمس أوصدت أمامها ابواب المحاولات ... كما نفعل اليوم ..

إن الأمانة الفكرية وهى ملزمة تحتم على صحافة اليوم ان تفتح أبواب صحافتها لأقلام الشباب ..

راعية ناشرة وموجهة وبانية للثقة مع كل محاولة وعند كل عطاء مهما كان حجم ذلك العطاء .. ومدى اهميته ..

ان مجرد فتح الباب .. وكلمة ترحيب بالطارق .. تكفى لأن تكون الاستضافة برة .. وكريمة .. وناجحة ..

وهذا مانطلبه من كل صحافتنا .. لكل شبابنا ممن يطمعون يطمحون فى استضافة صحافتنا باقلامهم وافكارهم ..

الاخطاء الشائعة فى كتاباتنا

« ٣٠٠ »

الاخطاء الشائعة فى كتاباتنا .. او فى نطقنا للاسماء اخذت شكل الواقع المتعارف عليه حتى لا يكاد يوجد من يقارن بين الخطأ والصحيح ..

او يشير على الاقل الى مواطن هذا الخطأ ولو من باب التنبيه والاشارة وحدهما ..

صحيح ان بعض المسميات لا تعرف .. وربما لانها وجدت كما هى دون ان تعنى صفة او وصفا .. الا ان فى اسمائنا الكثير المتعارف عليه والمتداول .. راح ينطق على شكل مغاير لحقيقته ولمدلوله .. الذى وضع من أجله .. فمثلا يطلق احدنا على ابنته اسم « تاره » بفتح الراء كشىء ألفناه الا ان الصحة هى « سارة » بتشديد الراء من « السرور » ومثلها « نوره » اسم مشاع ايضا .. وصحته « نورا » من النـور و« هيلة » والصحة « هـالة » لا هيلة .. كهالة القمر .

وكلمة سعد بفتح العين لكل صفة للسعادة . الا أنها تظل علما بسكون العين « سعد » مجرد نماذج وأمثلة لبعض الأخطاء الشائعة التى نتداولها فى تسميتنا للأشياء .. كنت وددت لو أن المختصين فطنـوا اليها واعـادوا لها الاعتبار كمسميات ذات مدلول ومعنى لا مجال لتحريفه .. ولا الابتعاد عنه .. وحبذا لو أمكن جمع هذه المسميات وهى كثيرة جدا فى كـراس على شكـل قاموس للأسماء .. وإلى جانب كل اسم من الاسماء ماذا يعنيه ..

وماذا يشير إليه ..

وأظن الجامعات فى بلادنا .. وأقسامها المتخصصة فى حفظ التراث قادرة على حفظ الأسماء وحمايتها من التحريف عن طريق جمعها .. وتفسيرها .. ومايعنيه هذا الجمع والتفسير من وعى جديد يضع الاشياء فى مواضعها .

الحب الايجابى

« ٢٠١ »

لا يوجد انسان لا يحب وطنه .. ولا يتغنى به شوقا .. وتحنانا .. وفداء .. فالوطن هو الانتماء .. هو التراب .. وهو التراث .. هو الوجود .. والمحصلة لتاريخ الانسان .. اى انسان ..

الا ان فينا من يغالى فى هذا الحب الى درجة الانانية الصارخة .. والى درجة استفراغ العبارات على شكل هذيان محموم يمجه الذوق .. ويأباه المنطق ..

خذ مثلا هذه العبارة فى مقطع من اغنية وطنية حديثة ..

(يالى ترابك كحل العين)

وخذ مثلا هذا المقطع من اغنية وطنية اخرى

(وطنى الحبيب .. ولا احب سواه)

فى المقطع الاول تتمثل المبالغة الممجوجة .. فما كان تراب الوطن ولا غبار الوطن اى وطن كحلا ولا دواء للعين .. ان حبات من التراب او الغبار تصيب العين وتسلمها للرمد .. وللنكد .. والسهد ..

اما المقطع الثانى فتتمثل فيه الذاتية المرفوضة .. فالانسان يحب وطنه .. يفضل حبه لوطنه على غيره .. الا انه لا يمكن ان يكون كارها لاوطان الآخرين ..

قديما يقولون :

(الهوى يعمى ويصم) ..

ولعل هوى الاوطان فى النفوس القاصرة اعماها .. واصمها فاسرفت فى متاهات خيالها الى درجة الاغراق فى الخيال .. واسرفت فى متاهات الانانية الى درجة الجحود والنكران لما هو خارج دائرة هواها الضيق ..

حب الاوطان من الايمان .. ولكنه الحب الذى لا يعرف التطرف الى درجة فوضى الكلمة .. والى درجة الانطلاق المشدود الى قيد حديدى من التعصب الصارخ لا يمنح لصاحبه حرية الابصار ولا حرية الحركة ..

المعلم العظيم

« ٢٠٢ »

المعلم العظيم هو ذلك الذى لا يمن بما أعطى ..

المعلم العظيم هو ذلك الذى يتمنى لتلامذته ان يفوقوه علما .. ودراية ..

المعلم العظيم هو ذلك الذى ينظر الى المعرفة على أنها بحيرة يغترف منها كل ناهل دون أن تكون ارثا لأحد .. أو وقفا على أحد ..

أقول هذا بمناسبة مايطرحه بعض حملة الأقلام فى الشقيقة العربية الكبرى بدعوى انهم كل شئ وان ماسواهم ليس بشئ ..

انهم عمالقة الفكر .. والثقافة .. وان ماعداهم اقزام صغار .. مازالوا يحبون فوق بساط الطفولة الفكرية الضحلة ..

نحن لا ننكر لاشقائنا أنهم ساعدونا فى إنماء الفهم .. وفى صقل الثقافة كغيرهم من اشقائنا فى اقطار عربية اخرى ..

نحن لا ننكر ان العالم العربى وحدة فكرية متفاعلة مع غيرنا تعطى .. وتأخذ .. الا ان الذى ننكره ونرفضه أن ينظر الينا أولئك الاشقاء من حملة الأقلام فى أرض الكنانة على أننا مازلنا أطفالا بعد لم نشب عن الطوق .. نبصر أقل مما يبصرون .. وندرك أقل مما يدركون .. وننفعل أقل مما ينفعلون .. ان الرؤية للأحداث .. وللحياة ليس حكرا ولا وقفا على بلد بعينه .. كما أن الرؤية الصادقة للأشياء لا يمكن تصورها من خلال قناة واحدة فقط .. لأن هذه القناة كانت الاسبق .. أو كانت الأكبر فى مرحلة ما ..

مانريد أن نهمس به فى أسماع أولئك الذين مابرحوا عبر كلماتهم يمنون علينا بما أعطوا .. ويتهموننا بالقصور فى الرؤية والتصور .. ويرموننا بالعجز حتى فى طرح أفكارنا وما تعبر به وعنه اقلامنا ..

انهم مابرحوا أسرى ماضيهم .. بأفكارهم البالية الضيقة .. لقد تخطينا عتبة ذلك الماضى .. علما .. وفهما .. ورشدا .. بل وتحديا .. لكل قيود الارث الفكرى المزعوم .. لأن الفكر مشاركة واعية وليس إرثا ..

الصوت الموسيقى

« ٢٠٣ »

مامن مرة استمعت فيهـا إلى غازى عـلى وهو يغنى إلا وهـزنى بحلاوة صوته .. وبطراوة الحانه ..

وأشعر أن الفنان هو ذلك الذى يفرض فنه على المشاهد او المستمع بما يدفع به من صور واخيلة صادقة بعيدة عن التكلف والاجترار ..

وليست العبرة ابدأ بكثرة الاغانى وانما العبرة بصدقها فى الطرح والتعبير والتصور ..

وبالمعيار الحسى فان الفنان هو ذلك الذى لا يقدم على عطاء قبل ان يمر عبر قناة حسه اكثر من مرة .. مراجعة .. واختيـارا .. حتى اذا ماطرحـه كان خميرة صالحة للهضم والاستيعاب ..

وعلى الرغم من أن صوت الفنان غازى على ليس أفضل الأصوات .. وليس أسوأها بالقطع .. الا ان موهبته الفنية .. واذنه المـوسيقية جعلت منـه فى نظرى اطرى صوت .. واحلى لحن .. ذلك أنه فنان يحسن الاختيار ..

وماأحرى الكثيرين ممن ركبوا موجة الفن أن يبتعدوا عن الثرثرة .. وعن الاسهال فى كثرة ماتلوكه ألسنتهم .. وتقذف به حناجرهم .. ذلك ان المهم هو الكيف .. وليس الكم ..

واغنيـة واحدة ذات كلمـات مختارة .. وذات لحن مميـز .. وذات أداء هادىء واثق افضل من مائة اغنية تشبه الفقاقيع المتناثرة فى الفضـاء من أيدى الأطفال .. لا تكاد تبرق .. حتى تتلاشى .

حين نختار المادة

« ٢٠٤ »

– ليس لدى وقت لان اكتب .. ان هنـاك صفقـة تنتـظرنى فى طريق خريص .. قال هذا على مسمع من أحد أصدقائه وقد جاء اليه يطلب منه مقالة لنشرها فى صحيفة ..

بعض ازمة الفكر التى بدأت تستشرى .. وتباعد بين المفكر وفكره .. بين الاديب ورسالته .. بين الكاتب ومجتمعه ..

وهذه الظاهرة الصارخة بـدأت تطفـو على السـطح .. وتبتلع الكثير من المواهب والقدرات الخلاقة وتخضعها لمساومة المادة ومساوئها .. إلى الحد الذى بتنا نخشى فيه على البقية الباقية من ادبـائنا ومفكـرينا التحـول الى واجهات عقارية تحصد المال .. وتحطم الآمال ..

إن رسالة الفكر أكبر من ان تنظر عبر ثقب ضيق لا يبصر إلا واجهة الخزنة الحديدية المليئة بالنقود .. او المسالك المؤدية إلى البنوك ..

لا أحد ينكر على المفكر احقيته كغيره فى ان يحتفظ برصيده من المال .. فالثروة مطلب بشرى .. إلا أن هذا المطلب يجب أن لا يكون على حسـاب مدخراته الفكرية .. وعلى حساب قتل مواهبه .. ومعطياته الخلاقة ..

ان ضريبة المـادة التى ندفعهـا اليوم فى بشـاعة عـلى حساب التـزامنا الأخلاقى أمر لا يمكن قبوله .. فهناك أقلام وأقلام تكسرت بصخرة الهوس المادى .. وأخشى ماأخشاه .. أن تتهاوى اقلام اخرى مازالت تتصارع مع المؤثرات المادية من حولها .. فلا نجد مانقرأ ..

ويبقى الحديث وحده بلغة البنوك .. والارصدة فى عالم يحتاج الى علم ..

كلمات .. لا نريد سماعها

« ٢٠٥ »

على الكثير من الحيطان وجدران البيوت صفعتنى هذه العبارات النابية :

الأهلى ...

النصر ...

الهلال ...

الشباب ...

عبارات غير مؤدبة .. لا ذوق فيها .. ولا عقل معها ..

والذى يفهمه كل عاقل ان الرياضة فى مفهومها الصحيح وعى سليم قبل كل شىء .. وذوق سليم قبل كل شىء

واذا كان لا مندوحة من ان انجذب الى ناد رياضى معين بحكم عاطفتى او موقعى ..

فان هذا لا يعنى ابدا ان انزل الى مستوى الغوغائية والصبيانية بعبارات لا حشمة ولا ادب فيها ..

ان الذوق الرياضى ذوق جمالى ينمى فى النفس خصائص الحب .. والتنافس الكريم .. بل انه يقرب بين الاندية المتسابقة والمتنافسة عن طريق اللقاءات والمباريات التى تقام ..

وكم اود ان نرتفع بحسنا الرياضى الى مستوى يجعلنا نكرم اللاعب الافضل .. والفريق الافضل .. نكرم المفهوم النبيل لهذه الرياضة المحببة بعيدا كل البعد عما يخدش كرامة الفريق - اى فريق .. سواء أكان منتصرا او مهزوما ..

والرياضة الحقة ليس فيها منتصر ومهزوم .. بل فيها منتصر .. ومنتصر .. وهذا هو المفهوم الواعى للتنافس الشريف ..

الآثار .. قيمة تاريخية

« ٢٠٦ »

لكل حقبة من التاريخ معالم يجب المحافظة عليها .. وابقاؤها كرمز حي شاهد على هذه الحقبة ..

وفي العالم المتحضر تحظى الآثار باهتمامات المسؤول والمواطن العادي معا .. ترصد من أجل حمايتها الملايين .. واذا ماتآكلت رممت او اعيد بناؤها كما كانت قديما وكما لو كانت لم تتآكل ..

وفي الرياض .. كما في غيرها من المدن بعض البيوت التي اقيمت من الطين .. وعلى طراز عربي جميل توحي وتكشف عن ماضينا القريب .. كيف كنا .. وكيف اصبحنا .. وكيف امسينا .. ولو كنت مسؤولا لأبقيت على بعض هذه القصور القديمة .. لدفعت لاصحابها تعويضا ماديا مناسبا .. وجعلت منها مايشبه المتحف .. لفرشتها على النمط الماضي .. بالبساط وبالبساطة التي كنا عليها منذ عشرين عاما ..

ان اقل ماسيقال عنا وقد احتفظنا بهذا اللون من تراثنا المعماري بمحتوياته البسيطة .. اننا امناء على ماضينا القريب .. امناء عليه بحفاظنا وبمحافظتنا .. وبتكريسنا للروح الجمالية التي تعشق كل جديد ومتطور .. الا انها لا تغفل الجميل البسيط في ماضيها ولا تدع لخطوة اليوم ان تمحو الامس ..

ماتمناه ان لا تتآكل صورة الامس بما تحويه وانما ندع لها ركنا هادئا متواضعا في متحف تاريخنا ينبىء عن حياتنا .. كل حياتنا .. غدنا .. ويومنا .. وامسنا ومن لا امس له .. لا غد له .. فالتاريخ حلقات يرتبط بعضها ببعض .. ومتى انفكت حلقة .. تناثرت بقية الحلقات .. وضاعت في مهب الزمن ..

اليمين .. واليسار

« ٢٠٧ »

لا اليمين متفق مع نفسه ولا اليسار متفق مع نفسه .. كلاهما ينهش بعضه حين تصطدم مصالحه وترتطم مع بعضها ..

واستقراء لوضع العالم اليوم بايديولوجياته المختلفة يؤكد ان المبـادىء المرسومة لخط سيره ولاتجاهاته رغم كل مايطرحه من شعـارات ومسميات مستقاة من منطلق المادة وحدها .. وبها وحدها تتحرك خطاه وتتفاعل خطاياه موزعة العالم الضعيف الى ضحايا .. واسرى .. ومستعبدين .. فالمعسكـر الشرقى بزعامة موسكو .. وبكين .. منقسم على نفسه .. متصارع مع ذاته رغم وحدة الشعارات .. لان المؤثرات والعوامل التى تحركه تنطلق من مبدأ السيطرة والالتفاف على ماحوله ..

والمعسكـر الغربى تتلون عـلاقاتـه وصداقـاته مـع واقع مـايستجد .. ومايتبلور من أحداث تتفق مع مصالحه أو تتصادم معها .. وهذا يعنى أن الصداقات فى قاموس أى من الكتلتين ليست صداقات دائمة .. وأن العداوات أيضا ليست عداوات دائمة .. انها تتغذى بافرازات مايمكن ان تمنحه من سيولة فى فم هذا أو ذاك دون النظر إلى توافق الاتجاه .. وتطابق المبادىء .

فالذى يحكمه وحدها هو ان يجد الذئب ضحية ليستريح اليها .. وان يجد الثدى الذى يرضع منه حتى ولو كان فى استنزافه موت الضحية ..

المصلحـة .. او العلاقـة الماديـة وحدهـا هى التى تفرض اليـوم مسار التاريخ .. وتقيم له خيمة سلوكه .. ومبادئه .. وتحركاته ..

اما ماعدا ذلك فمجرد امنيات تقبع فى مخيلة المتفائلين ..

الطموح .. وحده لا يكفى

« ٢٠٨ »

الطموح يحتاج أحيانا إلى عوامل التشجيع لدفعه نحو الوصول إلى الاهداف المرسومة ..

والتشجيع الذى أشير إليه هنا لا يتعدى المساواة بين مستوى نستورده .. ومستوى نوجده ..

ونظرة إلى واقع بعض كفاءاتنا الشابة النادرة نجد ان وضعها الوظيفى يحتاج إلى شيء من التصحيح قياسا الى مثيلاتها من الكفاءات التى نستعين بها من خارج حدودنا ..

الاطباء مثلا .. المهندسون مثلا .. الخبراء أيضا .. وغيرهم .. ان هناك تفاوتا كبيرا ومؤثرا من دخولات من نستوردهم .. ومن دخولات نظائرهم من ابناء الوطن .. وحتى فى المركز الوظيفي نفسه يوجد تفاوت كبير بين مستويين متماثلين فى الكفاءة .. بعبارة أوضح فانه يوجد على رأس بعض الأجهزة او المراكز . أشخاص استقدمناهم للاستعانة بهم فى حين يوجد فى هذه الاجهزة او المراكز نفسها كفاءات وطنية تماثل الكفاءات المستوردة من حيث المؤهل العلمى والتخصصى لم تاخذ فرصتها كاملة وهى جديرة فى قيادة العمل .

كما انها لا تنال ماديا الا البعض مما يناله نظيرها ممن يستعان به ..

وكم وددت لو ان الجهات المعنية مشكورة اعادت النظر فى تقرير بعض الاوضاع الوظيفية على اساس :

١) مساواة الكفاءات النادرة دون فارق بين كفاءة مستوردة او كفاءة محلية من حيث المرتبات والاجور والامتيازات ..

٢) الافضلية - ان وجدت - للكفاءة المحلية فى قيادة العمل انطلاقا من المثل القائل ..

« جحا أولى بلحم ثوره »

ولعله أيضا الادرى والاصدق .. والاكثر عطاء .. واذا ماأردنا أن نوجد جيلا متخصصا يتسابق على نهل كؤوس المعرفة والخبرة بشغف وحب فان علينا ان نزرع الثقة فى نفسه عن طريق إعطائه أفضل الفرص ماديا وقياديا . إننا بهذا نفتح ميدانا واسعا للتسابق وللتنافس .

التميز بين مخطىء ومخطىء

« ٢٠٩ »

حتى فى صفحة الحوادث ترتكب بعض صحافتنا العربية الخطأ تلو الخطأ وتنهج مبدأ التمييز بين مرتكب .. ومرتكب ..

وكان نشر غسيل الأول مباح .. والثانى محرم . فى إحدى تلك الصحف العربية تقرأ مثلا ..

قبض على اللص الفلانى .. وتسميه باسمه واسم أبيه وجده قبض عليه بعد ان سرق عدة جنيهات .. أو عدة قروش أو ملاليم ..

بعد تسلل إلى أحد البيوت فى محاولة للسرقة أو بعد أن قذ ع فى سبابه لفلان واعتدى عليه بالضرب ..

وهذا امر طبيعى لا اعتراض على نشره .. ولكن غير الطبيعى ان تعمد هذه الصحف وهى كثيرة .. فتنشر مثلا وربما فى نفس الصفحة .. وفى ذات اليوم .. قبض على موظف كبير بتهمة الاختلاس .. او بتهمة الرشوة ..

دون ان تشير الى اسمه وربما دون ان تشير الى الجهاز الذى يعمل فيه ذلك المختلس او المرتشى الكبير ..

ظاهرة غير عادلة نعانى منها فى بعض صحافتنا على مستوى العالم العربى يجدر بنا ان نضع لها حلا فاما ان لاننشر واما ان ننشر.دون مفاضلة بين مخطىء ومخطىء ..

فالناس سواسية أمام العدل .. أمام الحق .. وأمام الشر أيضا .. .. أيضا ..

بعضا من التجرد والانصاف ياحملة الاقلام ويامسؤولى الصحف.

الردة

« ٣١٠ »

مابين وعيه .. وعودة وعيه تبدو ردة الفكر .. وانحساره تكلمت العصا على لسانه فكان لها نطق العقلاء ..

وتكلم حماره على لسانه فكان له فصاحة الحكماء ..

وحين تكلم هو عن نفسه حديثا كان يتعثر فى بلاهة التائهين .. وفى بلادة المرتدين مجد بالامس تلك الصورة التى ارتبط بها .. ولكنه ماان ابصر الصورة الاخرى حتى مزق مامجد .. ووقف كالكاهن المسحور امام بخور الصورة الثانية ..

كان وعيه فى الماضى منطلقا من وعيه الممتد .. وعيه القومى .. وعيه الدينى .. وعيه العربى وعيه الانسانى ..

وحين تقوقع على ذاته ومع ذاته جاء صوته مبحوحا .. متهدجا .. يرزح تحت اثقال قيوده وحدوده الضيقة ..

فى وعيه الماضى وقرأنا له ..

وفى عودة وعده الجديد المرتد أشفقنا عليه كما يشفق الانسان على كهل شاخت روحه .. وشاخت أفكاره .. علق بها الصدأ ..

وماأروع القلم الذكى ..

حين يجف لحظة انعطافة خطرة تأتى على كل مكتسبات عمره ..

بل ماأروع القلم حين يتحطم قبل أن تتحطم أفكاره .. ان تتناثر دون وعى ..

إننا نحب وعيه الماضى وعى عصاه وحماره فقط ولعل ذلك رصيده الذى أبقى عليه رغم ردة الوعى رغم تحطم الصورة .. وانبهارها .

فلسفة صديق

« ٣١١ »

لا ضير أن تكون هذه الكلمة كلمة استراحة مع كوب قهوة بالحليب .. او كوب حليب بالقهوة ايهما سمح به صاحبنا الذى سنتحدث عنه .. هو صديق يجمع فى شخصه بين الظرف والغموض والفلسفة .. وهو جاد دائما حتى فى هزله ..

له نمط من التعامل يتميز به عن غيره يراه اناس شدا لحزام الصداقة .. ويراه آخرون فكا لهذا الحزام ..

اسلوبه .. او بعض اسلوبه الساخر فى الحياة يشدنى اليه .. وان كان بعض اسلوبه ايضا يعجزنى الفهم .. ويردنى خائبا ..

من ألطف ماعرفت عنه ذلك المقياس الذى ابتكره لزواره فى المكتب،المقياس الذى يميز بين صديق صديق .. وآخر دون ذلك مقياس اشبه باللغز لا يفهمه الا هو .. وصانع قهوته الطاعن فى السن !

كان اذا زاره من يراه محبا الى نفسه .. طلب حليبا بالقهوة .. وكان اذا زاره من يراه دون ذلك طلب قهوة بالحليب وكلاهما يخرج من عنده وقد شرب ماشرب دون ان يدرى ان مضيفه قد صنفه فأغدق فى اكرامه او تواضع فى هذا الاكرام،ولكى تكتمل الصورة لهذه الفلسفة على مستوى القهوة والحليب .. فان مدلول طلب الحليب بالقهوة لمن يريد ان يكرم تعنى ان يكون الحليب هو الاصل .. والقهوة هى الاضافة .

وعلى النقيض من ذلك فان طلب القهوة بالحليب لمن هو دون ذلك يعنى ان القهوة هى الاصل .. اما الحليب فهو الاضافة نمط من الفهم الخاص المميز لصاحبنا .. فيه شى من الذكاء .. وخفة الدم .. وفيه ايضا الكشف عن جوانب لحياة صديقنا الذى يراه اناس بمعاييرهم انه .. حليب بالقهوة .. ويراه آخرون انه قهوة بالحليب كغيره من الناس الذين تتفاوت فيهم الاحكام .. وتختلف بالنسبة اليهم النظرات ..

وهو بالنسبة اليّ رغم الغازه حليب بالحليب .. لاننى احب فيه اولا واخيرا نزاهته .. وعزة نفسه .. رغم انقباضه فى احيان كثيرة الى حد مزعج .

مع القيثارة الشاعرة

« ٣١٢ »

على أوتار قيثارتك الحزينة غنيت ..

ومع شعرك الرصين النابع من الوجدان كانت روحى تهيم فى عالم يموج بالاحلام والاطياف والرؤى الجميلة المنجذبة الى عالم عميق الغور والابعاد ..

قرأت لك ..

ومع كل مرة احسست ان الشاعر الانسان هو ذلك الذى يشدك اليه دون قيود .. ويحببك اليه دون استجداء .. ويقربك منه دون مسافة !

كنت أبصر فى مضـامين شعـرك مشاعـر الذين يعانـون .. وينفعلون .. يبكون .. ويبتسمون .. ويهرولون .. بل واحيانا تشـدهم الوقفة إلى وقفـة ثانية ..

كنت مع رؤاك الضاربة فى دروب الفلسفة اتجسد الحقيقة .. بل اتقمصها داخل اعماق نفسى فى استشعار بدمعة السعادة .. وسعادة الالم .. وكانما بين الانسان وبين ابصاره نقلة تحركها اوتـار وفدت من البعيـد البعيد .. لتذكره ان الشعر لم يعقم .. وان صحراءنا العربية .. وان ارض القداسات مازالت تلد .. وتلد .. واشعر انك بارقة امل فى دنيا الشعر .. الشعر الذى لا تخنقه الظواهر .. ولا تقتله المظاهر .. وانمـا يقف على قـدميه يتحـدى .. ويتعدى حدود الذات ..

معك يامحمد حسن فقى مع شعرك الانسانى كان لى اكثر من وقفـة .. واكثر من لقاء .. واكثر من رغبة فى المزيد من العطاء ..

واحيانا السم فى الدسم

« ٣١٣ »

الصيدليات احيانا تكون سببا فى زيـادة صداع الرأس .. بـل وفى فتح جبهات جديدة من المعاناة والآلام لمراجعيها والسبب فى ذلك ان احساس اى فرد منا بأى ألم يدفعه دون استشارة طبيب الى صيدلية ليطلب منها حبوبا مهدئة او شرابا مسكنا .. وتستجيب الصيدلية للطلب دون تقدير للنتائـج ويبتلع الشاكى حبوبه او شرابه دون اكتراث ..

وتكون الحصيلة فتح جبهة داخلية تزيد فى معاناتـه وشكواه بـل وربما تضاعف فى تدهور حالته الصحية ..

فـالمضادات الحيـوية .. والمهـدئـات والمسكنـات تشكـل خـطورة عـلى صاحبها .. اذا ماتناولها تلقائيا دون استشارة طبيب .. ودون وصفة طبية تسمح بتناول هذا الدواء .. او ذاك ..

وفى هذا على ماحسب خطورة مابعدها خطورة وتسيب .. بل وتسبب فى خلق اوضاع صحية متدهورة يجب ان يوضع لمعاناتها حد حفاظا على حياة المواطن وسلامته،حبذا لو عالجت وزارة الصحة هذه الظاهرة وسنت قانونا يحرم على اية صيدلية اعطاء اى دواء مالم يكن هذا الدواء مضمون العاقبة والنتيجة او بأمر الطبيب المختص

الدواء دون مرض .

دون حاجة اليه مرض ..

والدواء دون تشخيص لحالة صاحبه ضار قد يخلق تفاعلات عكسية تزيد فى رقعة الشكوى ..

وسلامة المواطن دائما فى ان يكون تناوله للدواء عن وعى وعن ضرورة .

وعن استشارة تحسب للخلفيات .. وتحسب ايضا للنتائج ..

روافد جديدة للفكر

« ٣١٤ »

لا ادرى اين هو المحظور فى عدم السماح لاقامة دور الترفيه البرئ كالسينما والمسرح مثلا .. مادامت محطة التلفزة فى بلادنا تعرض الافلام والمسرحيات .. بل وان اندية رياضية وغير رياضية كثيرة تعرض الافلام بشكل منتظم وفى مدن كثيرة ..

قد يقول قائل :

ومادام جهاز التلفزة يقدم الافلام ومادامت الاندية تقدم الأفلام ايضا فلم الطلب ؟ وهذا شئ موجود فى متناول المشاهد .. ؟

والحق ان ماا عنيه هو ان ايجاد دور عرض للسينما متخصصة وتحت اشراف الاجهزة المختصة يتيح للانسان العادي هو يشكل النسبة الساحقة المجال لقتل فراغه .. بل وربما الاستزادة ثقافيا مما يعرض عليه من افلام او مسرحيات سيما اذا ماكان الاختيار لما يعرض اختيارا ناضجا بعيدا عن الاثارة .. وافساد الذوق والسلوك ..

ان صالات العرض كما ادرى لا يكاد يخلو منها بلد فى العالم .. وهى الى جانب انها مدرسة ثقافية متى احسن انتقاء مادتها وسيلة للترفيه وقتل الفراغ سيما ونحن هنا نفتقر الى الكثير مما يمكن ان نقتل فيه وقت فراغنا .. ونرتاح فيه من عناء العمل الجاد .. وحين توجد .. فان تنظيما لاوقات العرض يمكن ان تحدد فيه الحفلات الرجالية .. والحفلات النسائية كما هو موجود فى بعض البلاد المحافظة .. الى جانب مراعاة أن تكون ساعات العرض غير متعارضة مع مواعيد الصلاة ..

وهذا أمر ممكن حسب ماأتصور ..

الخيارات في دنيا الطفل

« ٣١٥ »

لعلها بذرة الايمان المبكر تلك التى ألمحها على ملامح طفلى الصغير الذى تجاوز عامه الأول بقليل وهو يقف فيما يشبه خشوع الأطفال وهجوعهم أمام الشاشة الصغيرة وقد انطلق أذان الصلاة مرددا ..

(الله اكبر .. الله اكبر)

لعله الوجه الآخر لعملة الانسان المتمثلة فى كينونته .. وكيانه .. الوجه المضىء لتلك العملة حيث النقاء المبكر .. وحيث الايمان الطفولى الفطرى الذى يستيقظ مع الانفاس مبكرا وترك اجراسه مع كل خلية من خلايا جسمه .. ومع كل خلجة من خلجات نفسه ..

ان صغيرى يقف مشدودا ينصت الى صوت المؤذن .. لا يقطعه .. ولا يقاطعه وماان ينتهى الاذان حتى يردد من فمه عبارة صغيرة مختلطة تشعرك بان انصاته كان عن استجابة .. وان خشوعه كان عن رضى .. وان سماعه .. واستماعه كان عن تقبل .. وعن فهم ..

واذا كان جانب الرفض مازال يمثل شريحة عريضة فى طباعه .. تتمثل فى لاءاته المتكررة فيما يقبل ومايرفض .. فان بذور صحوته الايمانية المبكرة .. وتعلقه الفطرى لداعى الله .. يضع معادلة عادلة تبين ان الطفل اى طفل يتجاذبه تياران متضادان.. متصارعان ..

تيار يشده الى الهداية .. حيث الايمان عن اقتدار .. ووعى .. واداء وآخر يشده الى الغواية .. حيث التمرد .. والعصيان .. والجنوح .. والسلبية .. والرفض ..

ومابين التيارين تتأرجح الخطى .. متأثرة بالمؤثرات من حولها سلبا .. وايجابا .. خطأ .. او صوابا .. لتستقر فى النهاية حيث تكون الغلبة .. وحيث ينتصر تيار على آخر ..

ومن واجبنا كآباء ان نقف الى جانب اولادنا فى صراعهم مع الخيارات .. ان ننتصر لهم بان نعينهم على الابصار وعلى حسن الاختيار .. وان لا ندع للحيرة .. او الشك التفرد بهم فى عمر مبكر هم فيه احوج مايكونون الى من يدلهم .. ويعينهم .. ويعتنى بهم حتى اجتياز مرحلة الخطر او الاخطر ..

العشق موجة تسبق الحب ..

« ٣١٦ »

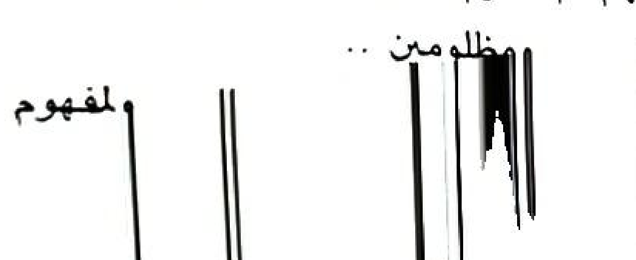
العشق موجة عاطفية تسبق الحب قد تؤدى بصاحبها الى الحب .. وقد تنتهى به الى الحب .. كثيرون عشقوا فاندفعوا بعشقهم الى صخرة المفاجأة بالفشل .. وارتطموا .. وكثيرون ايضا اخذتهم الموجة فى رفق .. واسلمتهم الى شاطىء الحب فى سلام .. واذا كان الحب نهاية ينتهى عندها قطار الامانى .. فان العشق هو ذلك القطار المندفع فى جنون يجتاز محطات رحلته تارة يقطع الدرب حتى النهاية .. وتارة يوصل الى منتصف المسافة .. واخرى تتوقف عجلاته بعد ان تنزلق وتبتعد عن مسارها المرسوم .. وعن قضبانها الحديدية ..

والعشق اكثر ضجيجا وانفعالا واشتعالا من موجة الحب نفسه .. وبالتالى فهو اسرع الى الخمود والجمود والانطفاء من جذوة الحب التى تشتعل فى هدوء بمقدار ماتدفىء وتتواصل .. واكثر ضحايا العشق اولئك الصغار الذين يحكمون على الحب حكما ظاهريا تجسده الصورة او الوصف .. فيندفعون إلى اقتناص الهدف بعاطفة مشبوبة متسرعة لا يحكمها بعد الرؤية..ولا أبعاد التفكير .. وحين تنحسر موجة المراهقة المفاجئة ولا تبقى الا الرمال على شاطىء الامانى يستيقظ القلب فجأة ليتعرف على مسلك أخر للحب أكثر آمانا .. واقل مجازفة وأهدأ نبضا ..

والحب لا يكون فاشلا مهما كانت صدماته .. ودموعه .. ان ذكرى الحب حتى ولو كانت مؤلمة تمثل فى اعماق صاحبها ربطا وثيقا لامل مازال يعيش معه .. ويجيش فى خواطره .. حتى تلك الحالات التى تحكم عليها الظروف بالبعاد والفراق .. ان احساسها بالوجود فى الوجدان يتعاظم .. كما لوان ذلك نبضات قلب تهزه مفاجاة غير عادية مختطرة .. ان اى حب تتصور انه فشل .. لا يعدو ان يكون عشقا متسرعا ضل سبيله بعيدا عن ابصار القلب المفتوح .. والعامر بالحب ..

وماكثرهم .. اولئك الذين غنت لهم ام كلثوم .. وبلسان حالهم ..

مظلومين ..



ولمفهوم

الداعية الذى هزنى

« ٢١٧ »

لكم شدنى هذا الرجل باحاديثه .. وبمضامينها الدينية الواعية .. وافرغ فى ذهنى مالم اكن اعرف .. واضاف الى حسى احساسا ايمانيا قرآنيا جديدا .. بان المنهل الذى نغترف منه يتحدى الماضى .. ومساحة الحاضر .. الى ابعاد المستقبل بكل مافيه .. وبكل ماله .. وبكل ماعليه ..

فى حديثه الدينى استنباط واع لمضامين السور ..

وفى تفسيره المستجد المتجدد اضافة حية لما يجب عليه ان يكون فهمنا .. وادراكنا .. واستيعابنا .. ان « محمد متولى شعراوى » ظاهرة لن تتكرر كثيرا .. لتميزها بعدة عوامل وعناصر اساسية يجب توافرها للداعية المتمكن من دعوته .. لكى يترك بصماته ظاهرة على اذهان الناس ومفاهيمهم :

- المامه الرائع باللغة العربية نحو .. وبلاغة ..
- ثراؤه الدينى ..
- تمكنه الجيد من الادب العربى شعرا .. ونثرا ..
- خميرته الفكرية الذاتية المتجددة ..
- اسلوبه السهل فى الطرح والتعبير .. ومزجه بين الوقائع والاخيلة .. بين المرادفات والمشبهات .. فى اطار فنى رائع ممتع يشد المستمع فى جذب محبب الى النفس ..

واذا كان الشعراوى يمثل مدرسة فى العظة الدينية المتجددة فان مدرسته تلك ضمت الى صفوفها شتى مستويات الاعمار .. رجالا .. وشبابا .. واطفالا .. وهذا وحده يمثل شهادة على نجاح المدرس الذى ينتقل بين صفوف تلاميذه من محراب الى محراب .. ومن جامع إلى آخر .. فى لقاء الايمان .. وفى عظة القرآن ..

وماأحوجنا فى هذا العصر إلى من يشدنا شدا داعيا واعيا إلى قيمنا وإلى أصولنا وفصولنا ..

ثم ماذا بعد ؟!

« ٣٦٨ »

كثيرون ولاشك سيمطون شفاههم استغرابا .. وربما تندرا لكلمتى عن الفضاء .. وغزو الفضاء .. حين لا تكون كلمتى على وفاق مع العلم فى مضمار سباقه لاكتشاف المجهول .. ومع هذا فهو رأيى .. ومن حقى أن أعرضه لا أفـرضه .. مئـات المليارات من الدولة - ان لم تكن الآلاف انفقت فى بنـاء منصات الاطلاق .. وبناء العربات الفضائية .. وبناء الصواريخ الدافعة .. واعداد الاجهزة العلمية المتحكمة .. واللاقطة ..

أرقام خيالية مهولة انفقت .. ومازالت تنفق حتى يومنا هذا .. وستنفق غدا .. وفى بعد غد .. فى سباق محموم لاكتشاف الاجـرام .. والمجرات .. وطبيعة الحياة فى عالمنا العلوى .. الضارب فى ابعاد البعد اللا نهائى ..

ثم ماذا قدم كل هذا الانجاز العلمي الفضائي للانسان ؟!!!

اية اضافة مؤثرة فى حياته .. وفى معاشه اعطتها له المعلومات عن زحل .. وعن عطارد .. وعن المريخ .. وعن القمر .. وترابه وشعابه الرمادية .. ؟ او المرجانية .. ؟

لا اظن شيئا اضيف الى ذاكرة الانسان اللاهث على هذا الكوكب الارضى والذى يصارع مشاكله .. ويقاوم من أجل بقائه .. ورغيف عيشه .. ان غزو الفضاء علم من ذلك النوع الذى لا يضر .. ولا ينفع لانه لم يأت باضافة مؤثرة على حياتنا واحتياجنا .. ومعاشنا ومعادنا .. انه مجرد سباق الى المجهـول يكتشف اشياء العلم بها غير ضار .. والجهل بها ايضا غير ضار ..

ولو ان ما انفق .. وماسوف ينفق على غزو الفضاء انفق على غزو الفقر .. والجهل .. والمرض .. فى كوكبنا الارضى لكانت الاضافة علمية .. وانسانية كبيرة .. كبيرة .. ولكن يأبى تيار الموج الا ان يحرق زورق الصياد البائس ليحطمه ثم ليصطدم بعد ذلك بصخور صماء .. لا حياة فيها .. ثم .. لا شىء لاشىء البتة ..

لا مكان لحمارين فى مكان واحد

« ٣١٩ »

لعل اندر طرفة ـ وان كانت لا تخلو من خصوبة مغرقة فى الخيال شاطحة فيه .. ـ هى تلك التى سمعتها عن التحالف بين الدجاج .. والكلب .. والحمار .. والاتفاق فيما بينهم على الهجرة والهجر لاسباب سوف نتعرف اليها فى حينها ..

القصة .. او النكتة .. او الاسطورة الواقعية انطلقت من بلد شرق اوسطى لا يبعد عنا كثيرا .. تقول :

زار احدهم صديقه الفلاح فوجده مستغرقا فى تفكيره .. وحين سأله السبب اجاب :

كل من حولى سوف يهجرنى .. ويهاجر .. الدجاج .. الكلب .. وحتى الحمار .. لقد اتفقوا وعقدوا العزم .. اما السبب فسوف اسمعك اياه من افواههم ..

وامسك بيد صاحبه .. وامام حظيرة الدواجن وقفا ليستمعا الى حكيم الدجاج يشرح لهما اسباب الهجرة ..

– بعد ان شحت اللحوم الاخرى ولم يعد لها وجود اعملت فينا السكين الذبح باسراف ونهم الى درجة خشيتنا من الانقراض ..

وكان علينا ان نبحث عن طريق للنجاة .. ولن يكون ذلك الا الهجرة .. وفى خلسة .. وامام الكلب الحزين الرابض الى جوار جذع شجرة يابس .. قال :

– اما انا فلم اعد اجد ماآكل .. حتى العظم الذى كنت اعرشه وامرشه اختفى باختفاء اللحمة ..

وبقى الحديث لهيهاك .. للحمار الساخر الماكر .. لقد كان رده على صاحبه وقد سأله اسباب الهجر .. والهجرة الى ماهو ابعد ..

– لقد قررت السفر لسبب واحد .. هو انه لا يمكن لحمارين ان يجتمعا فى مكان واحد ..

وكان رد الحمار على صاحبه اقسى وقعا وألما .. وربما أكثر حكمة مما سبق ان سمع من الآخرين ..

فهرس الكتاب

الموضوع — رقم الصفحة

إصدارات إدارة النشر بتهامة

سلسلة : الكتاب العربي السعودي

صدر منها :

• الجبل الذي صار سهلا (نقد)	الأستاذ أحمد قنديل
• من ذكريات مسافر	الأستاذ محمد عمر توفيق
• عهد الصبا في البادية (قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• التنمية قضية (نقد)	الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا (نقد)	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
• الظمأ (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
• الدوامة (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• غداً أنسى (قصة طويلة) (نقد)	الدكتورة أمل محمد شطا
• موضوعات اقتصادية معاصرة	الدكتور علي بن طلال الجهني
• أزمة الطاقة إلى أين ؟	الدكتور عبدالعزيز حسين الصويغ
• نحو تربية إسلامية	الأستاذ أحمد محمد جمال
• إلى ابنتي شيرين	الأستاذ حمزة شحاتة
• رفات عقل	الأستاذ حمزة شحاتة
• شرح قصيدة البردة	الدكتور محمود حسن زيني
• عواطف إنسانية (ديوان شعر) (نقد)	الدكتورة مريم البغدادي
• تاريخ عمارة المسجد الحرام (نقد)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• وقفة	الدكتور عبدالله حسين باسلامة
• خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) (نقد)	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار بلا زمن	الأستاذ عبدالله الحصين
• كتاب في علم إدارة الأفراد	الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
• الإبحار في ليل الشجن (ديوان شعر)	الأستاذ محمد الفهد العيسى
• طه حسين والشيخان	الأستاذ محمد عمر توفيق
• التنمية وجها لوجه	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
• الحضارة تحد (نقد)	الدكتور محمود محمد سفر
• عبير الذكريات (ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• لحظة ضعف (قصة طويلة)	الأستاذ فؤاد صادق مفتي
• الرجولة عماد الخلق الفاضل	الأستاذ حمزة شحاتة
• ثمرات قلم	الأستاذ محمد حسين زيدان
• بائع التبغ (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ حمزة بوقري
• أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة (تراجم)	الأستاذ محمد علي مغربي
• النجم الفريد (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• مكانك تحمدي	الأستاذ أحمد محمد جمال
• قال وقلت	الأستاذ أحمد السباعي

العنوان	المؤلف
• نبض	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
• نبت الأرض	الدكتورة فاتنة أمين شاكر
• السعد وعد (مسرحية)	الدكتور عصام خوقير
• قصص من سومرست موم (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عز يز ضياء
• عن هذا وذاك	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
• الأصداف (ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
• الأمثال الشعبية في مدن الحجاز	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار تربوية	الدكتور ابراهيم عباس نتو
• فلسفة المجانين	الأستاذ سعد البواردي
• خدعتني بحبها (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبدالله بوقس
• نقر العصافير (ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
• التاريخ العربي وبدايته (الطبعة الثانية)	الأستاذ أمين مدني
• المجاز بين اليمامة والحجاز (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالله بن خميس
• تاريخ الكعبة المعظمة (الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• خواطر جريئة	الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
• السنيورة (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• رسائل إلى ابن بطوطة (ديوان شعر)	الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
• جسور إلى القمة (تراجم)	الأستاذ عز يز ضياء
• تأملات في دروب الحق والباطل	الشيخ عبدالله عبدالغني خياط
• الحمى (ديوان شعر)	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
• قضايا ومشكلات لغوية	الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار
• ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة	الأستاذ محمد علي مغربي
• ز بد الخير	الأستاذ عبدالعز يز الرفاعي
• الشوق إليك (مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبدالله سراج
• كلمة ونصف	الأستاذ محمد حسين ز يدان
• شيء من الحصاد	الأستاذ حامد حسن مطاوع
• أصداء قلم	الأستاذ محمود عارف
• قضايا سياسية معاصرة	الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
• نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي	الأستاذ بدر أحمد كريم
• الإعلام موقف	الدكتور محمود محمد سفر
• الجنس الناعم في ظل الإسلام	الشيخ سعيد عبدالعز يز الجندول
• ألحان مغترب (ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• غرام ولآدة (مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبدالله سراج
• سير وتراجم	الأستاذ عمر عبدالجبار
• الموزون والمخزون	الشيخ أبوتراب الظاهري
• لجام الأقلام	الشيخ أبوتراب الظاهري
• نقاد من الغرب	الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
• حوار.. في الحزن الدافيء	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
• صحة الأسرة	الدكتور زهير أحمد السباعي
• سباعيات (الجزء الثاني)	الأستاذ أحمد السباعي
• خلافة أبي بكر الصديق	الشيخ حسين عبدالله باسلامة

العنوان		المؤلف
• البترول والمستقبل العربي		الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة
• إليها ..	(ديوان شعر)	الأستاذ حسين عبدالله سراج
• من حديث الكتب	(ثلاثة أجزاء)	الأستاذ محمد سعيد العامودي
• أيامي		الأستاذ أحمد السباعي
• التعليم في المملكة العربية السعودية		الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
• أحاديث وقضايا إنسانية		الدكتور عبدالرحمن بن حسن النفيسة
• البعث		الأستاذ محمد علي مغربي
• شمعة ظمأى	(ديوان شعر)	الدكتور أسامة عبدالرحمن
• الإسلام في نظر أعلام الغرب		الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• حتى لا نفقد الذاكرة		الأستاذ سعد البواردي

تحت الطبع:

العنوان		المؤلف
• تاريخ القضاء في المملكة العربية السعودية		الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
• معجم اللهجة المحلية في منطقة جازان		الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
• قصص من تاغور	(ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• ماما زبيدة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عزيز ضياء
• مدارسنا والتربية		الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
• عام ١٩٨٤ لجورج أورويل	(قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• وجيز النقد عند العرب		الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
• هكذا علمني ورد زورث		الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري
• وحي الصحراء		الأستاذ عبدالله بلخير الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه
• الطاقة نظرة شاملة		الدكتور عبدالهادي طاهر
• طيور الأبابيل	(ديوان شعر)	الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• عمر بن أبي ربيعة		الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• رجالات الحجاز	(تراجم)	الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• لا رق في القرآن		الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• من مقالات عبدالله عبدالجبار		الأستاذ عبدالله عبدالجبار
• دعوة ودفاع		الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• إليكم شباب الأمة		الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• لن تلحد		الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري
• سرايا الإسلام		الشيخ أبو تراب الظاهري
• رحلات وذكريات		الأستاذ عبدالله حمد الحقيل
• التنمية قضية	(الطبعة الثانية)	الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا	(الطبعة الثانية)	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
• غداً أنسى (قصة طويلة)	(الطبعة الثانية)	الدكتورة أمل محمد شطا
• تاريخ عمارة المسجد الحرام	(الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• خالتي كدرجان (مجموعة قصصية)	(الطبعة الثانية)	الأستاذ أحمد السباعي
• الحضارة تحد	(الطبعة الثانية)	الدكتور محمود محمد سفر
• الجبل الذي صار سهلا	(الطبعة الثانية)	الأستاذ أحمد قنديل

سلسلة :

الكتاب الجامعي

صدر منها :

الكتاب	المؤلف
الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية	الدكتور مدني عبدالقادر علاقي
الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الإنجليزية)	الدكتور فؤاد زهران الدكتور عدنان جمجوم الدكتور محمد عيد
النمو من الطفولة إلى المراهقة	الدكتور محمد جميل منصور الدكتور فاروق سيد عبدالسلام
الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا	الدكتور عبدالمنعم رسلان
النفط العربي وصناعة تكريره	الدكتور أحمد رمضان شقلية
الملامح الجغرافية لدروب الحجيج	الأستاذ سيد عبدالمجيد بكر
علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية)	الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
مبادىء القانون لرجال الأعمال	الدكتور محمد ابراهيم أبوالعينين
الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية	الأستاذ هاشم عبده هاشم
قراءات في مشكلات الطفولة	الدكتور محمد جميل منصور
شعراء التروبادور (ترجمة)	الدكتورة مريم البغدادي
الفكر التربوي في رعاية الموهوبين	الدكتور لطفي بركات أحمد
النظرية النسبية	الدكتور عبدالرحمن فكري الدكتور محمد عبدالهادي كامل
أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الإنجليزية)	الدكتور أمين عبدالله سراج الدكتور سراج مصطفى زقزوق
المدخل في دراسة الأدب	الدكتورة مريم البغدادي
الرعاية التربوية للمكفوفين	الدكتور لطفي بركات أحمد
أضواء على نظام الأسرة في الإسلام	الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
الوحدات النقدية المملوكية	الدكتور سامح عبدالرحمن فهمي
الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية)	الدكتور عبدالوهاب علي الحكمي

تحت الطبع :

الكتاب	المؤلف
هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم	الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر
تاريخ طب الأطفال عندالعرب	الدكتور محمود الحاج قاسم
المنظمات الاقتصادية الدولية	الدكتور حسين عمر
الاقتصاد الاداري	الدكتور فرج عزت
التعلم الصفي	الدكتور محمد زياد حمدان

سلسلة :

رسائل جامعية

صدر منها :

- صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) — الدكتور بهاء حسين عزي
- الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول — الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت — الأستاذة موضي بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود
- العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن — الأستاذة أميرة علي المداح
- القصة في أدب الجاحظ — الأستاذ عبدالله باقازي
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف — الأستاذة فوزية حسين مطر
- النظرية التربوية الإسلامية — الأستاذة آمال حمزة المرزوقي
- نظام الحسبة في العراق .. حتى عصر المأمون — الأستاذ رشاد عباس معتوق
- المقصد العلي في زوائد أبي يعلي الموصلي (تحقيق ودراسة) — الدكتور نايف بن هاشم الدعيس
- الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية — الأستاذة ليلى عبدالرشيد عطار
- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية — الأستاذ نبيل عبدالحي رضوان
- دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام — الأستاذة فتحية عمر الحلواني

تحت الطبع :

- دور المياه الجوفية في مشروعات الري والصرف بمنطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فايز عبدالحميد طيب
- دراسة اثنوغرافية لمنطقة الحسا (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فايز عبدالحميد طيب
- افتراءات فيليب حتى وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي — الأستاذ عبدالكريم علي باز
- الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار — الدكتور فاروق صالح الخطيب
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام — الأستاذة نورة عبدالملك آل الشيخ
- تقييم النمو الجسماني والنشوء — الدكتورة ظلال محمود رضا
- العقوبات التفويضية وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة — الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي
- العقوبات المقدرة وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة — الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي



صدر منها :

العنوان	ملاحظات	المؤلف
حارس الفندق القديم	(مجموعة قصصية)	الأستاذ صالح ابراهيم
دراسة نقدية لفكر زكي مبارك	(باللغة الانجليزية)	الدكتور محمود الشهابي
التخلف الإملائي		الأستاذة نوال عبدالمنعم قاضي
ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية		إعداد إدارة النشر بتهامة
ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودي	(باللغة الانجليزية)	إعداد إدارة النشر بتهامة
تسالي	(من الشعر الشعبي) (الطبعة الثانية)	الدكتور حسن يوسف نصيف
كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني	(دراسة وتحقيق)	الشيخ أحمد بن عبدالله القاري الدكتور عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
النفس الإنسانية في القرآن الكريم		الأستاذ إبراهيم سرسيق
واقع التعليم في المملكة العربية السعودية	(باللغة الإنجليزية) (الطبعة الثانية)	الدكتور عبدالله محمد الزيد
صحة العائلة في بلد عربي متطور	(باللغة الإنجليزية)	الدكتور زهير أحمد السباعي
مساء يوم في آذار	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد منصور الشقحاء
النبش في جرح قديم	(مجموعة قصصية)	الأستاذ السيد عبدالرؤوف
الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام		الدكتور محمد أمين ساعاتي
الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك		الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
الدليل الأبجدي في شرح نظام العمل السعودي		الدكتور عاطف فخري
رعب على ضفاف بحيرة جنيف		الأستاذ شكيب الأموي
العقل لا يكفي	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي الشيخ
أيام مبعثرة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ فؤاد عنقاوي
مواسم الشمس المقبلة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي قدس
ماذا تعرف عن الأمراض ؟		الدكتور اسماعيل الهلباوي
جهاز الكلية الصناعية		الدكتور عبدالوهاب عبدالرحمن مظهر
القرآن وبناء الإنسان		الأستاذ صلاح البكري
اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية		الأستاذ علي عبده بركات
الطب النفسي معناه وأبعاده		الدكتور محمد محمد خليل
الزمن الذي مضى	(مجموعة قصصية)	الأستاذ صالح ابراهيم
مجموعة الخضراء	(دواوين شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
خطوط وكلمات	(رسوم كاريكاتورية) (الطبعة الثانية)	الأستاذ علي الخارجي
ديوان السلطانين		الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
الامكانات النووية للعرب وإسرائيل		الدكتور صدقة يحيى مستعجل
رحلة الربيع		الأستاذ فؤاد شاكر
وللخوف عيون	(مجموعة قصصية)	الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
البحث عن بداية	(مجموعة قصصية)	الأستاذ جواد صيداوي

تحت الطبع :

- قراءات في التربية وعلم النفس — الأستاذ فخري حسين عزّي / الدكتور لطفي بركات أحمد
- الموت والابتسامة (مجموعة قصصية) — الأستاذ عبدالله أحمد باقازي
- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف — الدكتور حسن محمد باجودة
- الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية — الأستاذ أبو هشام عبدالله عباس بن صديق
- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي — الدكتور جميل حرب محمود حسين
- ملامح وأفكار — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- المذاهب الأدبية في شعر الجنوب — الدكتور علي علي مصطفى صبح
- النظرية الخلقية عند ابن تيمية — الدكتور محمد عبدالله عفيفي
- الكشاف الجامع لمجلة المنهل — الأستاذ عبدالله سالم القحطاني
- ديوان حمام — الأستاذ محمد مصطفى حمام
- رحلة الأندلس — الدكتور حسين مؤنس
- فجر الأندلس — الدكتور حسين مؤنس
- الماء ومسيرة التنمية — الأستاذ مصطفى نوري عثمان
- الدفاع عن الثقافة — الدكتور عبدالعزيز شرف
- من فكرة لفكرة — الأستاذ مصطفى أمين
- المجنونة اسمها زهرة عباد الشمس (ديوان شعر) — الأستاذة منى غزال
- الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث — الأستاذ على مصطفى عبداللطيف السحرتي
- ذكريات لا تنسى — الأستاذ محمد المجذوب

كتاب الناشئين

صدر منها :

مجموعة: وطني الحبيب

- جدة القديمة — الأستاذ يعقوب محمد اسحق
- جدة الحديثة — الأستاذ يعقوب محمد اسحق

مجموعة: حكايات ألف ليلة وليلة :

- السندباد والبحر — الأستاذ يعقوب محمد اسحق

- الديك المغرور والفلاح وحماره — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الطاقية العجيبة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الزهرة والفراشة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- سلمان وسليمان — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- زهور البابونج — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- اليد السفلى — الدكتور محمد عبده يماني / الأستاذ يعقوب محمد اسحق

تحت الطبع :

- سنبلة القمح وشجرة الزيتون — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- نظيمة وغنيمة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- جزيرة السعادة

كتاب للأطفال

صدر منها :

• الصرصور والنملة	الأستاذ عمار بلغيث
• السمكات الثلاث	الأستاذ عمار بلغيث
• النخلة الطيبة	الأستاذ اسماعيل دياب
• الكتكوت المتشرد	الأستاذ عمار بلغيث
• المظهر الخادع	الأستاذ عمار بلغيث
• بطوط وكتكت	الأستاذ اسماعيل دياب

مجموعة : لكل حيوان قصة للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

• القرد • الكلب • السلحفاء • الأسد • الحمار الأهلي • الفرس • الغزال • الوعل • الضفدع
• الضب • الغراب • الجمل • البغل • الفراشة • الدجاج • الحمار الوحشي • الجاموس • الدب
• الثعلب • الأرنب • الذئب • الفأر • الخروف • البط • الببغاء • الحمامة • الخرنيت

• البوم • البجع • الهدهد • الكنغر
• الخفاش • النعام • فرس النهر • التمساح

مجموعة: حكايات كليلة ودمنه إعداد : الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

• عندما أصبح القرد نجارا • أسد غررت به أرنب
• الغراب يهزم الثعبان • المكاءالتى خدعت السمكات

تحت الطبع

• لقد صدق الجمل • سمكة ضيعها الكسل
• الكلمة التى قتلت صاحبتها • قاض يحرق شجرة كاذبة

مجموعة: التربية الإسلامية للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

• الله أكبر • الصلاة • صلاة العيدين • صلاة المسبوق • الشهادتان • التيمم
• قد قامت الصلاة • الاستخارة • صلاة الجمعة • أركان الاسلام • الوضوء
• صلاة الجنازة • صلاة الكسوف والخسوف

مجموعة: حكايات للأطفال نقلها إلى العربية الأستاذ عزيز ضياء

• سعاد لا تعرف الساعة • ضيوف نار الزينة
• الحصان الذى فقد ذيله • الضفدع العجوز والعنكبوت
• تورتة الفراولة

كتب صدرت باللغة الانجليزية

Books Published in English by Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.

  By : F. M. Zahran
  A.M.R. Jamjoom
  M.D. EED

- Zaki Mubarak: A Critical Study.

  By Dr. Mahmud Al Shihabi

- Summary of Saudi Arabian
  Third Five year Development Plan

- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference **Second Edition'**
  By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.

- The Health of the Family in A Changing Arabia
  By Dr. Zohair A. Sebai

- Diseases of Ear, Nose and Throat

  By : Dr. Amin A. Siraj
  Dr. Siraj A. Zakzouk

- Shipping and Development in Saudi Arabia
  By Dr. Baha Bin Hussein Azzee

- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.
- Who's Who in Saudi Arabia.



تصميم الغـــلاف : عبـد المجيـد عيـاد

هذا الكتاب

نحن ننسى .. وأحياناً نتناسى ..

وقدرة ذاكرتنا على الاختزان والرصد أقل كثيراً من قدرتنا نحن على التجاهل والإنكار .. وإذا كانت حقائق الأشياء تبدو أمامنا صوراً مجسمة متحركة .. وناطقة .. تعبر عنا .. وتشير إلينا .. وتدل علينا .. تبتلعها بئر النسيان .. أو التناسي .. حتى لا نكاد نلحظ منها .. ولا النزر اليسير .. إلا بمقدار ما نشتهي .. وبالقدر الذي يروق لعواطفنا ..

إذا كانت الحقائق أسيرة قيد الذاكرة المقيدة .. فإن الأجدر بنا أن نسجل ولو على الأقل بعض هواجس الضمير .. وشيئاً من وساوس النفس .. حتى ولو كانت تلك الهواجس والوساوس باردة الحس .. أو محروقة الحس ..

وحتى لا نفقد الذاكرة .. تأتي هذه الثرثرة .. شاهداً لنا .. أو علينا ..

المؤلف

نبذة وافية عن حياة المؤلف في كتابه «فلسفة المجانين» الكتاب العربي السعودي رقم ٤٢

طبعت في دار العلم للطباعة والنشر - جدة - المملكة العربية السعودية